أسماء السور القرآنية
دلالات وإشارات

تأليف :

الدكتور. سيف راشد الجابري

طباعة ـ تنسيق ـ إخراج

نـايـل بـدوي آدم

تصميم الغلاف / محسن المعموري

الطبعة الثانية

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

أصل هذا الكتاب :

أطروحة بحث نال بها المؤلف درجة الدكتوراه بتقدير ممتاز ،

من جامعة أم درمان الإسلامية كلية أصول الدين،

في العام ٢٠٠١م/ ١٤٢٢هـ.

وقد أشرف عليها :

الدكتور أحمد محمد وراق .

وناقشها :

١ - الدكتور عمر يوسف حمزة .

٢ - الدكتور السر محمد الأمين .

٣- الدكتور محمد آدم محمد صديق .

إهـــداء

إلى .. والدتي الحانية ووالدي في مثواه ... براً . ودعاءً . ورحمة .

إلى .. أســرتي المباركة ... هــدىً ونــوراً ودعوة .

إلى .. أستاذي الفاضل الدكتور أحمد محمد وراق ... وفاءً وتقديراً وشكرا .

إلى .. من حثني على العلم أو أعانني فيه ... عرفاناً ومنةً وفضلا .

إلى .. كل الأحبة والأصفياء ... حباً وإكراماً وعزا .

د . سيــف الجابري

تقـديم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه أجمعين وبعد.. فقد وصف الله كتابه العزيز بأوصاف عدة، وأخبر عز وجل أن هذا الكتاب يحتاج - لحسن فهمه - الى تدبر يوصلك الى غاية المراد من الآيات، وتفكر يجزّى الآية الواحدة الى أجزاء، ليفهم كل جزء منها على حدة، وتعقّل يجمع تلك الأجزاء لتفهمها مجتمعة، وفي ذلك الاسلوب المتنوع تحصل المعرفة القرآنية: ﴿وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها﴾ والمعرفة متدرجة على خلاف العلم الثابت أصلاً.

وكما جاء في الكتاب جاء في السنة من حيث وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم للقرآن الكريم بعدة أوصاف، منها: «أنه لا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه» ومن هنا سوف يبقى العلماء والباحثون على مدى العصور والى يوم القيامة يجدون في كتاب الله سراً جديداً، وفكرة تضاف، ومعنى يكتشف، وإشارة لطيفة، وملحظاً لم يلحظه أحد من قبل، لأن هذا الكتاب العزيز تتكشف معارفه على وفق حاجات الناس، وتطور حضارتهم ونمو معارفهم في الكون.

وعلى هذا المنهج جاءت هذه الرسالة (أسماء السور القرآنية...دلالات وإشارات) من الباحث الدكتور سيف راشد الجابري، تتناول موضوعا جديداً من المواضيع القرآنية التي لم تصادف من يعنى بها أو يبحث فيها علي غاية أهميتها...وقد فتح الباحث بهذه الرسالة المبتكرة باباً يتسع للكثيرين بعده أن ينهجوا هذا النهج الواعد في إبراز الأسرار والحكم واللطائف في المناسبة بين اسم السورة ومحتواها، وهو ما فعله الباحث مفتتحاً به هذا الباب الواسع الذي سيتبعه آخرون حتى يصبح هذا الباب من علوم القرآن الكريم.

فجزى الله الباحث خيرا على ما بذله من جهد في رسالته التي نال فيها درجة الدكتوراه.. وفقه الله لخدمة القرآن الكريم.

د. / أحمد الكبيسي

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي فتح لنا أسرار التعرف على أسمائه وجعلها وسيلتنا في التقرب والتبتل للوصول إلى رحمته ، له سبحانه الاسم الأعظم الذي أخفاه على عباده وأطلع عليه أصفياءه، وأسماء أخرى ذكرها في كتابه ليتقرَّب بها عباده إليه سبحانه وتعالى. والصلاة والسلام على سيدنا محمدﷺ عبده ورسوله الذي ذكره الحق تعالى بأسماء معجزة، يحمل كل اسم منها معانٍ ظاهرة واضحة، ومعانٍ أخرى عميقة لا يعرف سرها إلا الله، ومن فتح عليه، وكشف بصيرته لمعرفتها.

وبعد: فمن المعلوم أن الاسم له علاقة مع المسمى . وأسماء السور في القرآن الكريم تدل على رفعتها وسموها وعلو قدرها لأنها تشكل كلام الله عز وجل ولأن دلالات الاسم على المسمى نوع من الإعجاز البلاغي للغة القرآن التي تحدى بها الله جل جلاله أهل البلاغة الذين تميزوا ببلاغتهم وفصاحتهم ، ومن هنا كان القرآن الكريم يتحدى بأسلوبه المعجز وروعة بيانه أهل اللغة وأرباب الفصاحة والبلاغة والبيان فكانت عناوين السور باسمائها رمز التحدي والإعجاز.

إن الإسلام أعطى للأسماء أهمية كبيرة، لأنها تحمل قدراً كبيراً من المعاني للمسميات، وقد كانت أسماء السور في القرآن الكريم نموذج خاص للإيحاء بالمعاني العظيمة التي صرح ببعضها وترك البعض الآخر مدعاة للإجتهاد والعبادة في استكشاف ما خفي منها، ولقد سُميتْ سور القرآن، المائة والأربع عشرة، بأسمائها لتعكس سمو ورفعة تلك السور وبالتالي سمو ورفعة منزلها ألا وهو الله عز وجل.

ولقد حاولت في هذه الدراسة أن أتعرف على أسرار الأسماء، وهي محاولة متواضعة للوصول إلى أسباب ارتباط الاسم بالمسمى، ومعرفة مادلت عليه هذه الأسماء في ترابطها وتناسقها وتقسيمها في المصحف الشريف، ثم إن الكتابة في

أسماء السور القرآنية جهد قديم اقتصر فيما نعلم (والعلم عند الله تعالى) على الخلاف في كون تلك الأسماء توقيفية، أو اجتهادية ؟ والبحث في التناسب بين الآيات والسور، ولم نر "فيما نعلم" من كَتَبَ في الأسماء أو إشاراتها ودلالاتها الغنية بالرموز، والإشارات الناطقة بعديد من المعاني المفيدة في شتى ميادين المعرفة وسبل الهداية والإصلاح، على النحو الذي نراه مختصراً جداً في مخطط هذا البحث، فالقرآن مائدة لايشبع منها أحد، ولو عكف عليه العمر كله، كيف لا وهو مدد متصل من خزائن العلم الإلهي الذي لا تفنى كلماته، وصدق الله سبحانه وتعالى إذ يقول: **﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ،إن الله عزيز حكيم﴾**(١) ،

ويقول الله تعالى: **﴿قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا﴾**(٢).

ولما كانت غاية القرآن الكريم هي هداية الناس، وإرشادهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، كانت وسائله هذه هي أوجه إعجازه، فأوجه الأعجاز وبيانها والبحث في جوانبها ودراسة أبعادها والكشف عن أسرارها، إنما هي وسيلة نحو غاية. ولاتقف هذه (الوسائل) عند حدٍّ علم معين أو عند حدّ قوم مخصوصين أو عند حدّ عصر معين، بل تمتد هذه الوسائل عبر الزمان والمكان والإنسان، حتى يرث الله الأرض ومن عليها. ولأجل بيان بعض الآفاق كان عنوان الكتاب (أسماء السور القرآنية دلالات وإشارات) وذلك لبيان بعض الدلالات الإشارية لتكملة منهج الدعوة إلى الله، وفتح آفاق قد لا تكون واضحة اليوم ، وتكون جسراً فكرياً لمن يأتي بعدنا ويشاهد مالم نشهده، لأن القرآن العظيم لا منتهى لعظيم معانيه إلى يوم

---

(١) آية [٢٧] سورة لقمان.

(٢) آية [١٠٩] سورة الكهف.

القيامة، ليبقى القرآن بكراً في معانيه المطلقة والمقيدة رغم استفادة أهل كل عصر بما يكفيهم، لا ينقص من معين جوده ومدده الذي لا ينفذ.

ولا أدعي أني استطعت أن استنفد الأغراض القرآنية لأن القرآن كلام الله المعجز الذي يستفيد منه أهل كل عصر، ويأتي يوم القيامة بكراً كما أنزله الله.

ولقد كان تبويب السور حسب المحاور والموضوعات التي اشتملت على مجموعات: اشتملت على المعجزة، والكرامة، والاستعداد والانتباه إلى الميعاد، والقدرة والإشارة إلى التحولات الكبرى، والانبياء والاقتداء بهم، ومعاني ومعالم الألفاظ، ودلالات القوة، والأحكام التشريعية، ودلالات الأسماء في الأخلاق، ودلالات الأسماء في السياسة.

ولئن كان هذا العمل يعد حصراً للمواضيع القرآنية المجملة في أسماء السور، لكني أجزم أنه ما من سورة في القرآن إلا ولها شخصية مستقلة تحتاج إلى بحث مستقل.

لقد جرت العادة بتقديم الاسم في كل شيء يبدأ به أو بتعريفه، وعند الحديث في هذا البحث عن مطالب البحث التي يمر بها سوف نجد شيئاً على غير المعتاد حيث إنه كان ينبغي أن يكون المطلب الأول هو اسم السورة... ؛ ؛

ولكن لمقتضيات المبحث ولارتباط المطالب ببعضها: جعلت المطلب الأول فضل السورة وأهميتها، والمطلب الثاني اسماءها وذلك لأن أصل البحث في دلالات اسم السورة، ولارتباط المطلبين بالاسم والدلالة رأينا وضع الاسم المطلب الثاني ليبدأ بعده المطلب الثالث لنستوحى منه الدلالات والإشارات، لهذا وجب التنبيه على هذه الملاحظة حتى لا يجد القارىء قلقاً عند أول مفاجئة لفقده الربط الواضح بين الموضوعات، مما يفقد التسلسل والترابط الذهني.

تمهيد تفصيلي

ويشتمل على أربعة مباحث

المبحث الأول : تعريف موجز لعلوم القرآن الكريم.

المبحث الثاني : الإعجاز القرآني علم متطور.

المبحث الثالث : أسماء السور والإعجاز القرآني.

المبحث الرابع : أسماء السور بين التوقيف والاجتهاد.

المبحث الأول

[تعريف موجز لعلوم القرآن الكريم]

لقد تم ذكر العديد من التعريفات المختلفة عن علوم القرآن الكريم، لأن علوم القرآن يتعذر تحديدها، لأنه لم يحدث في تاريخ البشرية أن كتابا من الكتب المقدسة نال من العناية والرعاية والتقدير والإجلال والتقديس والاحترام كما ناله (القرآن الكريم)، كذلك لم يصل إلى مسامعنا أن أمة من الأمم اعتنت بكتابها السماوي كما اعتنت هذه الأمة الإسلامية بكتابها، لأنه منهج الحياة لسعادة البشر في الدنيا والآخرة، وقد تضمن من النظم والقوانين ما شمل كل نواحي الحياة على كثرتها واتساعها، ولقد أخذت العلوم المتعلقة بالقرآن الحظ الوافر في الدراسة والبحث، لأن الدارس يجد ضالته المنشودة في بحرها العميق.

إن القصد من هذا المبحث الوجيز، هو فهم مقاصد القرآن الكريم من خلال العلوم المتعلقة بنواحيه المختلفة، واستخدام الأدوات التي يتوصل بها إلى فهم معانيه وتذوق أسراره.

وقد عُرّفت علوم القرآن بتعريفات كثيرة منها:

١- ما نقله الإمام الزركشي عن القاضي أبي بكر العربي:

قال رحمه الله: (ذكر القاضي أبوبكر بن العربي[١] في كتاب(قانون التأويل): أن علوم القرآن الكريم خمسون وأربعمائة وسبعة آلاف وسبعون ألف علم (٧٧٤٥٠)، على عدد كلم القرآن، مضروبة في أربعة. قال بعض السلف: إذ لكل كلمة ظاهر وباطن، وحدٌ ومقطع، وهذا مطلق دون اعتبار تراكيبه وما بينهما من

(١) هو أبوبكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله المعافرى، المعروف بابن العربي أحد فقهاء إشبيليه وعلمائها، وفي سبيل العلم رحل إلى المشرق ثم عاد إلى المغرب وتوفى سنة (٥٤٣) هـ، (الصلة لابن بشكوال٢/ ٥٩١).

روابط ، وهذا مالا يحصي ولايعلمه إلا الله عز وجل ، وقال : وأمّ علوم القرآن ثلاثة أقسام : (توحيد وتذكير ، وأحكام) .

- فالتوحيد : تدخل فيه معرفة المخلوقات ، ومعرفة الخالق بأسمائه وصفاته وأفعاله .
- والتذكير : منه الوعد والوعيد والجنة والنار ، وتصفية الظاهر والباطن .
- والأحكام : ومنها التكاليف كلها وتبين المنافع والمضار والأمر والنهى والندب(١) .

٢ـ ما ذكره الشيخ الزرقاني :

قال : نُعرِّفه : (بأنه مباحث تتعلق بالقرآن الكريم من ناحية نزوله ، وترتيبه ، وجمعه ، وكتابته ، وقراءته ، وتفسيره ، وإعجازه ، وناسخه ومنسوخه ، ودفع الشبه عنه ونحو ذلك)(٢) .

٣ـ ما ذكره الشيخ محمد علي الصابوني :

قال : ما المقصود بعلوم القرآن ؟

(يقصد بعلوم القرآن الأبحاث التي تتعلق بهذا الكتاب المجيد الخالد ، من حيث النزول ، والجمع ، والترتيب ، والتدوين ، ومعرفة أسباب النزول ، المكي منه والمدني ، ومعرفة الناسخ والمنسوخ ، والمحكم والمتشابه ، وغير ذلك من الأبحاث الكثيرة التي تتعلق بالقرآن العظيم ، أو لها صلة به - والغرض من هذه الدراسة فهم كلام الله عز وجل على ضوء ماجاء عن رسول الله عليه الصلاة والسلام من توضيح وبيان ، ومانقل عن الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين ، حول تفسيرهم لآيات القرآن ، ومعرفة طريق المفسرين وأساليبهم في التفسير مع بيان مشاهيرهم

(١) البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ص: ١٦ - ١٧) ط . دار المعارف بيروت الطبعة الثانية ١٣٩١هـ - ١٩٧٢ .

(٢) مناهل العرفان في القرآن للزرقاني (ج١ / ٢٠) ، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م . دار ابن عفان للنشر والتوزيع . طبعة أخرى وهي الثالثة سنة ١٩٤٣م . دار إحياء الكتب العربية عيسي البابي الحلبي وشركاؤه .

ومعرفة خصائص كل من المفسرين وشروط التفسير، وغير ذلك من دقائق هذا العلم)[1].

وبهذا يتضح لكل باحث أهمية هذا العلم، وعليه أن يتعلم علوم القرآن المختلفة التي تتناول الأبحاث المتعلقة به من حيث معرفة تنزلاته، وأسباب نزوله، وجمعه، وترتيبه، ومعرفة مكيه، ومدنيه، وناسخه، ومنسوخه، ومحكمه، ومتشابهه، وقصصه، وأقسامه، وأمثاله، وتفسيره، وإعرابه، وغريبه، ورسمه، وقراءته، وغير ذلك من مباحث مختلفة مما لها صلة بالقرآن، تخدم منهاج القرآن الكريم، وتُقرِّب معانيه وتشرح مفاهيمه، لتزكية العقول وسعة أفقها، ونشر الدين، واستجابة الأعضاء وطواعيتها، وتصفية القلوب وتنويرها، وترقية الروح ووصولها إلى رضوان الله وحبه.

فعلوم القرآن بحر عميق لا يُدرك له قاع لأنه كلام رب العالمين القائل: ﴿**وما أوتيتم من العلم إلا قليلا**﴾[2]، وكلمة (قليلا) في الآية تفيد عدم شمولية عقل الإنسان وإدراكه لعلم الله الواسع وعجزه عن الإحاطة بمكنونه كما قال تعالى: ﴿**ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء**﴾[3].

ومهما اجتهد المجتهدون وتدارسوا علوم القرآن المختلفة فإنهم عاجزون عن الإحاطة به. لكي يستمر العطاء في الأمة ويصدق قول الرسول ﷺ فيه: «**لاتنفد عجائبه**»[4]، وبذلك يبقى القرآن الكريم الغذاء المتجدد لها والذي تجد فيه بغيتها على مر الزمان واختلاف العصور وعلى حسب الظروف المحيطة بكل إنسان.

---

(١) التبيان في علوم القرآن (ص: ٦) للشيخ الصابوني مكتبة الغزالي دمشق ١٩٨١م.

(٢) آية [٨٥] سورة الاسراء.

(٣) آية [٢٥٥] سورة البقرة.

(٤) هذه اللفظة من حديث رواه الترمذي وغيره عن رسول الله ﷺ، انظر: الترمذي (ج٤/ص: ٢٤٥ برقم(٣٠٧٠).

المبحث الثاني

[الإعجاز القرآني علم متطور]

إن كلمة التطور تشير إلى أن هذه المادة عندها استعداد لقبول المتغيرات والتكيّف معها على حسب الحاجة، لأن العلم يتطور بحسب مجهود أتباعه في البحث والتنقيب، والإعجاز القرآني علم متطور كذلك، لأن القرآن الكريم كتاب الله الذي استوعب كل العلوم المختلفة التي تظهر حسب جهود العلماء، فيتضح لنا إن هذا التطور العلمي حقيقة في إعجاز القرآن الكريم، وهذا العلم يدور مع الزمن حيث دار، ومع الإنسان أين وجد في هذا الكون الواسع.

ولقد اجتهد العلماء على مختلف مشاربهم في معرفة وجوه الإعجاز الكثيرة ومظاهرها العديدة وفنونها المختلفة بحسب ميول متذوقيها والناظرين في محاسنها وإبداعها، فهي كالوردة يختلف المعجبون بها والباحثون عنها باختلاف أحاسيسهم واتجاهاتهم، فمنهم من يعجب بريحها ومنهم من يعشق لونها ومنهم من يتلذذ بطعمها، ومنهم من تأخذه روعة تراكيبها إلى غير ذلك من النظرات المختلفة.

فالإعجاز القرآني علم متطور نلمسه من خلال الفقرات التالية: -

أ- شموليته. ب- إعجازه النقلي. ج- إعجازه العلمي.

أ- أما شموليته:

فهو المعجزة الخالدة لسيدنا محمد ﷺ إلى يوم القيامة، الذي قال الله تعالى فيه: ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾(١)،

---

(١) آية [٣٨] سورة الانعام.

وفي قوله تعالى: ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء﴾(١).

هذه الآيات تثبت أن القرآن أحاط بجميع العلوم المختلفة التي لا يمكن حصرها، وقد منحنا الله عقلاً نميّز به الأشياء ونبحث دائما في المفيد لنا وللأمة الإسلامية، وعلى مدى بحثنا في المفيد. فالله يعطينا من خزائنه التي لا تنضب ويفتح لنا أبواب العلم والمعرفة ويثبت لنا (أن القرآن الكريم في طريق عرضه للهداية والإعجاز على الخلق قد حاكم الناس إلى عقولهم، وفتح عيونهم إلى الكون ومافي الكون من سماء، وأرض، وبر، وبحر، وحيوان، ونبات، وخصائص، وظواهر، ونواميس، وسنن، وكان القرآن في طريق عرضه معجزاً أبهر الإعجاز لأن حديثه عن تلك الكونيات كان حديث العالم بأسرارها الخبير بحقائقها المحيط بعلومها ومعارفها، على حين أن هذا الذي جاء بالقرآن رجل أُمي، نشأ في أمة أمية جاهلة لاصلة لها بتلك العلوم وتدوينها، ولا إلمام لها بكتبها ومباحثها، بل إن بعض تلك العلوم لم تنشأ إلا بعد النبوة والوحي بقرون وأجيال، فأنىّ يكون لرجل أمي كمحمدﷺ ذلك السجل الجامع لتلك المعارف كلها إن لم يكن تلقاه من لدن حكيم عليم...؟.

قال سبحانه وتعالى مقرراً لهذا الإعجاز العلمي في قوله تعالى: ﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولاتخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون، بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم، وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون﴾(٢)(٣).

ومن جهة أخرى فإن الناظر في شمولية القرآن الكريم وإعجازه يتضح له

---

(١) آية [٨٩] سورة النحل.

(٢) آية [٤٨-٤٩] سورة العنكبوت.

(٣) مناهل العرفان في القرآن للزرقاني(ج١/ص: ١٨ - ١٩)ط، الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م. دار ابن عفان للنشر والتوزيع. طبعة أخرى وهي الثالثة سنة ١٩٤٣م. دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه.

(أهمية اتخاذ منهج محدد لدراسة الإشارات العلمية الواردة في آيات القرآن الكريم، تتأكد فيه ضرورة اختلاف هذا المنهج عن منهج دراسة هذه الآيات دارسة تشريعية لبيان الأحكام، والعبادات، والعقيدة، والأخلاق، بما تحتويه من مضامين علمية، ومزايا نفسية وصحية واجتماعية . . . فمنهج الأوامر والنواهي الإلهية هو وجوب الطاعة والتطبيق والتنفيذ عن إيمان ويقين وثقة واحترام وصبر ورضا تام، بأن ما فيها خير وصلاح للإنسان والمجتمع في الدنيا والآخرة، سواء أثبت العلم بتجاربه وبحوثه ومختبراته ذلك أم لم يثبت. وهذا بخلاف الإشارات العلمية، فالمنهج الذي ينبغي أن نقدم به هذه الإشارات هو المنهج البشري وهو المنطق العلمي، أي نقدم هذه الإشارات في صورة قضايا منطقية أو دعوة للإستقراء والاستدلال المنطقي تقبل المناقشة والاختبار)[1]، وعلى ما تقدم تتضح لنا شمولية القرآن الكريم وأنه معجز وعلمه متطور بحسب حال كل من اجتهد وقدم أفكاراً صالحة للاستفادة.

ب- أما إعجازه النقلي:

فلقد فاضت كُتب علوم القرآن بالبحث عن أوجه الإعجاز على وجه العموم وعن إعجازه النقلي على وجه الخصوص، لأن القرآن الكريم نزل على قوم عرفوا بالبلاغة والفصاحة وحسن الأداء وجمال المنطق وسلامة التعبير، نزل عليهم وهم في الذروة من البلاغة وفي القمة من البيان، فلما سمعوه انتبهوا وذهلوا، وهم ملوك الفصاحة، ووجدوا أنفسهم عاجزين أمام تحديه لهم بمشاكلته والإتيان بقرآن مثله، والحديث عن هذا الإعجاز يدعونا إلى التعريف بالمعجزة وبيان أنواعها وكيفية التحدى بها.

---

(١) الإشارات العلمية في القرآن الكريم لكارم السيد غانم (ص:٢٥٥)ط.دار المناهل للطباعة (٨٤٧٨/ ٩٤).

تعريف المعجزة

المعجزة لغةً:

هي: (اسم لما به الإعجاز أو صيغة المبالغة، مأخوذة من العجز المقابل للقدرة، من عجز يعجز عجزاً وعجوزاً وعجزاناً، إما من باب ضَرَبَ، يعني مفتوح العين في الماضي، ومكسور العين في المضارع، أو من باب سَمِعَ؛ يعني مكسور العين في الماضي ومفتوحها في المضارع؛ كفَرِح)(١).

وهي: (حقيقة الإعجاز إثبات العجز أستعير لإظهاره، ثم أُسند مجازاً إلى ماهو سبب العجز وجعل اسماً له فالتاء للنقل من الوصفية إلى الإسمية كما في «الحقيقة»، وقيل التاء للمبالغة)، وذكر إمام الحرمين الجويني(٢): (أن ههنا تجوزاً آخر وهو استعمال العجز في عدم القدرة كالجهل في عدم العلم وهو في الحقيقة ضد القدرة، وإنما يتعلق بالموجود وبما يقدر عليه، فلو تحقق العجز عن المعارضة لوجبت المعارضة الاضطرارية)(٣).

وهي: (واحدة معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام)(٤).

و: (معجزة النبي ﷺ ما أعجز به الخصم عند التحدي والهاء للمبالغة والجمع معجزات)(٥).

و: (معجزة النبي ﷺ ما أعجز به الخصم عند التحدي والهاء للمبالغة)(٦).

---

(١) تاج العروس لمرتضى الزبيدي (ج٤ / ص: ٤٩) ط. الأولى المطبعة الخيرية المنشأة الجمالية مصر سنة١٣٠٦هـ.

(٢) أبو المعالي إمام الحرمين هو الإمام الكبير شيخ الشافعية عبد الملك ابن الإمام أبي محمد عبد الله بن يوسف ابن عبد الله بن يوسف بن محمد بن حَيُّه الجويني ولد سنة ٤١٩هـ، وتوفي ٤٨٧هـ.

(٣) شرح المقاصد للتفتازاني (ج٥ / ص: ١١) ط. الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، مطبعة عالم الكتب بيرت.

(٤) مختار الصحاح للرازي (ج٤ / ص: ٤) ط - الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(٥) تاج العروس للزبيدي (ج١٥ / ص: ٢١٠ - ٢١١) ط - دار الجيل بيروت (١٩٧٥).

(٦) القاموس المحيط للفيروزابادي (ج٢ / ص: ٢٦٠) ط - دار احياء التراث العربي.

المعجزة اصطلاحاً وعرفاً:

هي: (أمر خارق للعادة داع إلى الخير والسعادة مقرون بدعوى النبوة قصد إظهار صدق من ادّعى أنه أُرسل من الله)(١).

وهي: (أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة، وقيل: أمر قصد به إظهار صدق من ادعى النبوة والرسالة، وزاد بعضهم قيد موافقة الدعوى، وبعضهم مقارنة زمن التكليف إذ عند انقراضه تظهر الخوارق، لا لقصد التصديق، والمعجزة في العرف أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة.

وإنما قال: "أمر" ليتناول الفعل، كانفجار الماء من بين الأصابع، وعدمه، كعدم إحراق النار، ومن اقتصر على الفعل، جعل المعجز هنا كون النار (برداً وسلاماً) وبقاء الجسم على ما كان عليه من غير احتراق، واحترز بقيد المقارنة للتحدي عن كرامات الأولياء والعلامات الإرهاصية(٢) التي تتقدم بعثة الأنبياء، وعن أن يتخذ الكاذب معجزة من مضى من الأنبياء حجة لنفسه، وبقيد عدم المعارضة عن السحر والشعبذة)(٣).

وقال الحافظ السيوطي رحمه الله: هي (أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدى، سالم عن المعارضة، وهي إما حسية أو عقلية)، وأكثر معجزات بني إسرائيل كانت حسية لبلادتهم وقلة بصيرتهم، وأكثر معجزات هذه الأمة عقلية لفرط ذكائهم

---

(١) التعريفات للجرجاني (ص: ٢٨٢) ط - دار الكتاب العربي بيروت.

(٢) الإرهاص: ما يظهر من الخوارق عن النبيﷺ، قبل ظهوره كالنور الذي في جبين أبي نبيناﷺ.
وقيل: إحداث أمر خارق للعادة دال على بعثة نبي قبل بعثته.
وقيل: هو مايصدر عن النبيﷺ، قبل النبوة من أمر خارق للعادة.
وقيل: إنها من قبيل الكرامات، فإن الأنبياء قبل النبوة لايقصرون عن درجة الأولياء.

(٣) شرح المقاصد للتفتازانى (ج٥ / ص: ١١).

وكمال أفهامهم)[1].

وقال العلامة التفتازاني[2]: (المعجزات جمع معجزة وهي: أمر يظهر بخلاف العادة على يد مدعي النبوة عند تحدي المنكرين على وجه يُعجز المنكرين عن الإتيان بمثله، وذلك لأنه لو لا التاييد بالمعجزة لما وجب قبول قوله ولما بأنَ الصادق في دعوى الرسالة عن الكاذب)[3].

(١) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (ج٢ / ص: ١٤٨). الحافظ السيوطي صاحب الإتقان هو العلامة الإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ولد عام ٨٤٩هـ وتوفي في ٩١١هـ.

(٢) هو العلامة الكبير مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازانى ولد سنة ٧١٢هـ وتوفى ٧٩٣هـ.

(٣) شرح العقائد (ج٥ / ص: ١١)، وشرح المقاصد (ص: ٩٨) للتفتازاني.

أنواع المعجزة

[حسية وعقلية]

أولاً: المعجزة الحسية:

وهي التي كانت ملموسة عند الأنبياء والأمم السابقة لأنها كانت معجزة (تتناسب مع العصر والزمان الذي بعثوا فيه، كمعجزة (موسى) عليه السلام، كانت (اليد والعصا) . . . وكذلك معجزة (عيسى) عليه السلام، (حيث كانت بإحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، والإخبار عن بعض المغيبات، لأنه بعث في عصر كثر فيه الطب والحكمة)(١).

ولهذا نجد أن المعجزة الحسية تأخذ دور المشاهدة الخارقة التي لا يقدر عليها أحد من البشر، فتأتي مصدقة للنبي المبعوث إلى قوم على حسب طلبهم، ونجد هنا أن المعجزة دارت على ثلاثة محاور [إيجاد معدوم . أو إعدام موجود . أو تحويل حال موجود].

١- إيجاد معدوم : كخروج الناقة من الجبل بدعاء صالح عليه السلام.

٢- وإعدام موجود : كإبراء الأكمه والأبرص بدعاء عيسى عليه السلام.

٣- وتحويل حال الموجود : كقلب عصا موسى عليه السلام ثعباناً.

وكل معجزة كانت لنبيٍّ من الأنبياء كان مثلها لرسول الله ﷺ، وكان إظهارها له ميسراً ومسلماً، وأفضل معجزاته وأكملها وأجلُّها وأعظمها (القرآن الكريم) الذي نزل عليه بأفصح اللغات، وأصحها، وأبلغها، وأوضحها، وأثبتها، وأمتنها، بعد أن لم يكن كاتباً ولا شاعراً ولا قارئاً ولا عارفاً بطريقة الكتابة مع التحدي لخطباء

(١) التبيان في علوم القرآن للصابوني (ص: ٨٦).

العرب العرباء - بلغائهم وفصحائهم - أن يأتوا بسورة من مثله، فأعرضوا عن معارضته، عجزاً عن الإتيان بمثله فتبين بذلك أن هذه المعجزة أعجزت العالمين عن آخرهم)(١).

ثانياً: المعجزة العقلية:

وهي التي تخاطب العقل وتحمله على التفكر والتدبر وهي آية بارزة لكل إنسان اهتدى إلى عقله الذي يقوده إلى الإيمان بالله تعالى، لأن المعجزة العقلية هي التي تدعو البشر إلى توحيد الله، وبما أن المعجزة الحسية محدودة بزمنها، مؤقتة بوقتها، وهي في نفس الوقت حجة على من شاهدها، ناسبت المعجزات الحسية الرسالة المؤقتة التي سبقت رسالة الإسلام، ولما كان الإسلام هو الدين الخاتم والرسالة الباقية على مر الزمان، ناسب أن تكون معجزته من نوع آخر.

فكان القرآن معجزة عقلية تخاطب العقل وتحاور وتحتكم إلى الحجة والبرهان والنزول عند سلطان الدليل في كل بيئة ومجتمع وفي كل عصر وزمان.

لقد توقف وحي السماء وانقطع تتابع الرسالات بعد رسالة سيدنا محمد ﷺ، وكان لابد للبشرية من معجزة باقية تحدو مسيرتها الإيمانية، وتأخذ بيد العباد إلى طريق الطاعة، فكان القرآن العظيم الذي هو معجزة العقل الباقي على مر الزمان، ليراها ذوو القلوب والبصائر فيستنيروا بضيائها، وينتفعوا بهديها في المستقبل والحاضر)(٢).

ومن شأن المعجزة العقلية، والتي تخاطب العقل الذي ورد ذكره في القرآن الكريم، أن وجه إلى قوم عرفوا بالذكاء، وسعة الحفظ، وبالنبوغ، ودقة الفهم، حتى يدركوا سر المعجزة، ويؤمنوا بها عن طريق العقل وهذه المعجزة لا تتوقف

---

(١) بصائر ذوى التميز (ج١ / ص: ٦٦ - ٦٧) للفيروزابادي.

(٢) التبيان في علوم القرآن (ص: ٨٧) للشيخ الصابوني.

بانتقال صاحبها إلى الرفيق الأعلى ، بل تبقى بعده إلى يوم القيامة ، لأنها معجزة خالدة تحاور العقول والأذهان، وتخاطب آياته القلوب والأفئدة ، لأنها كلام رب العالمين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، يقول رسول الله ﷺ : «**ما من الأنبياء نبي إلا أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليَّ فأرجو أن أكون أكثرهم تبعاً يوم القيامة**»(١) .

ويرى بعض العلماء أن المعجزة العقلية تستخدم (التفسير العلمي) وهو (الكشف عن معاني الآية في ضوء ما تثبت صحته من نظريات العلوم الكونية، فإن (الإعجاز العلمي) هو إخبار القرآن الكريم بحقيقة أثبتها العلم التجريبي أخيراً، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول ﷺ)(٢)، فتدور المعجزة العقلية على مايستخدمه العقل من اكتشافات كونية وعلمية من خلال ما أشارت إليه الآيات القرآنية من ناحية العلم وطلبه ومعرفة مايستجد.

ثالثاً: كيفية التحدى بها :

القرآن الكريم هو الكتاب المعجز الذي تحدى به النبي ﷺ العرب ، وقد عجزوا عن معارضته مع طول باعهم في الفصاحة والبلاغة ومثل هذا لا يكون إلا معجزاً ، فقد ثبت أن رسول الله ﷺ تحدى به العرب على ثلاث مراحل :

أولاً : تحداهم بالقرآن كله كما قال الله تعالى : ﴿ **قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا** ﴾(٣) .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب فضائل القرآن، باب نزول الوحي، رقم(٤٩٨١) وفي كتاب الاعتصام بالسنة، (ومسلم كتاب الإيمان، رقم (١٥٢) .

(٢) الإشارات العلمية في القرآن الكريم، د. كارم السيد غانم (ص: ٥٠) .

(٣) آية [٨٨] سورة الإسراء.

ثانياً: تحداهم بعشر سور منه. كمال قال الله تعالى: ﴿أم يقولون افتراه، قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين، فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله﴾(١).

ثالثاً: تحداهم بسورة واحدة منه كما في قوله تعالى: ﴿أم يقولون افتراه، قل فأتوا بسورة مثله﴾(٢)](٣).

فهذه التحديات التي ذكرها الحق سبحانه وتعالى وأنزلها على رسولهﷺ، ليتحدى به العرب وغيرهم لأنه متى ثبت إعجازه ثبت أنه ليس من عند محمدﷺ، وليس من كلامه. فإذا ثبت هذا القول وهو الحق ثبت كذلك الآتي:

١- أن القرآن الكريم هو كلام الله وحده جل جلاله.

٢- إثبات أن القرآن معجزة خالدة إلى يوم القيامة.

٣- إثبات معجزة سيدنا محمدﷺ.

٤- إثبات صحة الأديان والكتب السماوية كلها قبل التحريف والتبديل.

رابعاً: كيفية حصولها ووقوعها:

إن المعجزة عند أهل السنة والجماعة هي فعل الفاعل المختار(وهو الله تعالى) (يظهرها على يد من يريد تصديقه بمشيئته تعالى مقترنة بدعوى النبوة فمن أرسله إلى الناس ليدعوهم إلى ما ينجيهم ويسعدهم في الدارين، ولا يشترط لإظهارها استعداد - كما لا يشترط في النبوة على مامر - خلافاً للحكماء) النبوة عند أهل السنة ليست كسبية، وإنما هي وهبية محضة لمن علم الله استعداده بالاصطفاء لا بالاكتساب.

---

(١) آية [١٣-١٤] سورة هود.

(٢) آية [٣٨] سورة يونس.

(٣) مباحث في علوم القرآن لمناع القطان (٢٥٩).

(قال الفلاسفة: إن المعجزة تنقسم إلى: ترك، وقول، وفعل):

أما الترك: (فمثل أن يمسك عن القوت المعتاد برهة من الزمان بخلاف العادة، وسببه انجذاب النفس الزكية عن الكدورات البشرية، إما لصفاء جوهرها في أصل فطرتها، وإما لتصفيتها بضرب من ضروب المجاهدة، وقطع العلائق إلى عالم القدس وانشغالها بذلك، كالصور العلمية، وحاصل كلامهم في هذا القسم: أن سببها انجذاب النفس، إما بالفطرة كصاحب القوة القدسية أو بالاكتساب والرياضة، وهي تكون على ثلاثة وجوه: ١ـ محمود، ٢ـ مذموم، ٣ـ ومباح).

وأما القول: (فمثل الإخبار بالغيب، وسببه مامر في المقصد الأول من انجذاب النفس النقية عن الشواغل البدنية إلى الملائكة السماوية، فتتغشاها بما فيها من الصور الكلية والجزئية تنتقل إليها وإلى القوى المتخيلة والحس المشترك، كالأذهان المتعالية إلى الأذهان السافلة، وهي العقول العشرة وتسمى عندهم بالمجردات، وهذا مخالف للشرع).

أما الفعل: (فكأنْ يفعل فعلاً لانفي به منه غيره من نتق جبل وشق بحر وقد تقدم بيانه بأن نفسه لقوتها تتصرف في مادة العناصر كما تتصرف في أجزاء بدنه)(١) وكل هذا تزندق وإلحاد فإنه يؤدي إلى دعوى اكتساب النبوة، وهي أوهام نتيجة اختلال في وظائف العقل وانطماس نور البصيرة.

ج) أما إعجازه العلمي:

فلقد فتح العلم آفاقا كثيرة للعلماء، فنظروا في الكون والحياة فظهرت لهم اكتشافات علمية كثيرة حكت أسرار الكون ولغة الإعجاز في القرآن الكريم، وعندما نستعرض القرآن الكريم نجد أنه قد سبقهم في ذلك فأشار إلى تلك الظواهر الكونية

(١) شرح المواقف (٨/ص: ٢٢٧).

وأنه نبه العقل إليها وهذا شاهد بأنه من عند الله العليم الخبير، ورغم اختلاف العلماء في التوجه إلى القرآن الكريم بتفسيره تفسيراً علمياً فإننا نجد منهم المؤيد والمعارض كما أشار إلى ذلك الدكتور الجميلي حيث قال: (قد ثبت أن الفريقين، المؤيد والمعارض للتفسير العلمي، كل منهما قد أغرق في مذهبه وبالغ في رأيه. فالذين جنحوا للتفسير العلمي، قيل لهم إن الكشوف العلمية تتغير من جيل إلى جيل آخر لأن العلم ينقض اليوم ما أبرمه بالأمس، وغداً ينقض ما أبرمه اليوم، لكن القرآن الكريم ثابت لا يتغير، لأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من عزيز حليم، ومن الفساد المشين أن تربط متغيراً بثابت لا يتغير، ومن الخطأ أن تربط آيات القرآن الكريم، بمفاهيم تختلف فيها وجهات النظر اختلافاً شديداً، كذلك فالذي لاشك فيه أن التيار الآخر الذي أنكر الإشارات العلمية قد أخطأ الرأي والتقدير، لأنه يتجاهل جانباً بالغ الأهمية من الإشارات العلمية التي أشار إليها القرآن الكريم، وهي دعوة للتدبر في ملك الله سبحانه وتعالى وملكوته)[1]، والحقيقة أن ما توصل إليه العلم من حقائق كونية يقينية لا يمكن أن يتنافى أبداً مع القرآن في موضوعه، لأنه حاشا أن يتنافى كلام الله تعالى مع خلقه...

ولكن من غير المقبول تفسير بعض آيات القرآن بالنظريات العلمية القابلة للتغيير والتبديل فيما بعد، حتى لا تتعرض آيات القرآن الكريم التي تميز بالثبات وعدم التناقض مع هذه النظريات المتغيرة والمتبدلة.

و(الحديث عن إعجاز القرآن ضرب من الإعجاز لايصل الباحث فيه إلى جانب منه حتى يجد وراءه جوانب أخرى يكشف عن سر إعجازها الزمن)، فهو كما يقول الرافعي: (ما أشبه القرآن الكريم في تركيب إعجازه وإعجاز تركيبه بصورة كلامية من نظام هذا الكون الذي اكتشفه العلماء من كل جهة، وتحاوره من كل

(١) الإعجاز العلمي للقرآن، للسيد الجميلي (ص: ١١ - ١٢) ط، دار مكتبة الهلال: ١٩٩٢م.

ناحية، وأخلقوا جوانبه بحثاً وتفتيشاً، ثم هو بعد لا يزال عندهم على كل ذلك خلقاً جديداً، ومراماً بعيداً)(١).

و امتداداً لتصديق المعجزات القرآنية فإن القرآن الكريم لا تنتهي عجائبه لأن إعجازه وعطاءه علم متطور. ومن خلال الاكتشافات العلمية وحتى اليوم لم تكتشف إلا القليل من الظواهر الكونية والمعجزات الربانية، وكلما اجتهد العلماء في البحث فإن كتاب الله ينطق بالحق بينهم.

وسوف نتناول هنا بعضاً من هذه المعجزات لنرى مدى صدق القول بأن الإعجاز القرآني علم متطور.

وذلك من خلال استعراض بعض الآيات الكونية التي من خلالها نستفيد من الاكتشافات العلمية والمستحدثات الحضارية التي بلغت ما لا يتصوره عقل قبل ذلك ولم يخطرعلى قلب بشر، ولم يتوقف عند هذا الحد إنما لا يزال المتوقع الكثير، وأن المستقبل فيه من العلوم الطبيعية والتكنلوجيا المختلفة ما لايعلمه إلا الله.

وبما أن القرآن الكريم الذي جاء لإصلاح البشر حتى يلاقوا ربهم يوم القيامة، وعلى اختلاف عصور ثقافاتهم المتنوعة، يخاطب فيه الحق سبحانه وتعالى عقولهم على اختلاف مواهب التدبر والتفكير عندهم، وكلٌ ميسرٌ لما خلق له، فعلى كل إنسان أن يأخذ ما يطيقه وما ينتفع به، فإذا عجزت بعض العقول عن إدارك بعض المعاني لآيات القرآن الكريم، وجب عليها أن تستعين بمن يسر الله لهم وسماهم في كتابه بأهل الذكر عند قوله تعالى: ﴿فسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾(٢)، وأوجب سؤالهم كسنة من سنن التربية التكاملية للإنسانية.

---

(١) مباحث في علوم القرآن لمناع القطان (ص: ٢٥٨) ط، مؤسسة الرسالة: ١٩٨٠م.

(٢) آية [٤٣] سورة النحل.

أمثلة من الإعجاز العلمي:

أ- نشأة الكون:

قال الله تعالى: ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض أتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين﴾(١).

هذه الآية تناولت نشأة الكون والذي أعده الله سبحانه وتعالى لعباده.

فقد: (خلق الله الإنسان ليعمر الأرض، وليعبده فيها، ويتفكر في آياته، ويستدل على عظمة وجوده من آياته، فهو - جلت قدرته - لم يمنعه من التفكير فيما حوله ليستنبط العلاقات، ويسخر الموجودات، لخدمته أو ليفهم منها ما غمض عنه من أسرار الكون، وكان يشغل فكر الإنسان منذ الأزل؛ وهو كيف خلق الله هذا الكون المترامي الأطراف؟ (٢)).

ونعلم أن الله خلق في هذا الكون المسلم والكافر، وحتى علماء الفلك من أهل الكفر استدلوا من خلال أبحاثهم على نشأة هذا الكون وذكروا المادة التي تكون منها وهي: (مادة الكون بدأت غازاً منتشراً خلال الفضاء بانتظام السدائم [المجموعات الفلكية] خلقت من تكاثف هذا الغاز)(٣)، وعلماء الإسلام لما نظروا بين ماذكره القرآن الكريم وبين مايوجد في هذا الكون الواسع تبين لهم: (إن المقصود بكلمة [الدخان] في الآية الكريمة، هو«السحب الكونية والمجرات التي نشأت فيها السماء والأرض»، (و[السموات السبع] التي ورد ذكرها في كثير من الآيات هي على أرجح الأقوال [الكواكب السبع السيارة المعروفة])، وإن [اليومين] المذكورين

---

(١) آية [١١] سورة فصلت.

(٢) الأرض والكون د. ابراهيم الرفاعي (ص:٣٣).

(٣) التبيان في علوم القرآن. محمد علي الصابوني (ص:١٢٨).

في الآية هما في رأي علماء الجلوجيا (الزمانان اللذان انقضيا وقت أنْ كانت الأرض مرتوقة، أي متصلة بالسديم، والآخر بعد أن انفتقت الأرض، أي انفصلت عن السديم*)(١).

ب- نقص الاكسجين:

يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿**فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً، كأنما يصعد في السماء**﴾(٢).

لقد تناول العلماء تفسير هذه الآية ولكن بقدر ما أوتوا من فهم. ثم جاء موعد اكتشاف دلالة معجزة القرآن وتطوره عندما تم اكتشاف الطيران وظهرت للعلماء بادرة طبيعية وهي (نقص الأكسجين في طبقات الجو العليا فكلما حلق الإنسان وارتفع في أجواء السماء كلما أدركته هذه الظاهرة وشعر عند ذلك بضيق وصعوبة التنفس حتى ليكاد يشعر بالاختناق، ولهذا فإن الطيارين يعطون تعليمات للركاب بأن يستعملوا (الأكسجين الصناعي) حين تعلو بهم الطائرة إلى مرتفعات عالية تزيد عن ٣٥ (خمسة وثلاثين ألف قدم)(٣).

وبهذا الاكتشاف تتجلى قدرة الخالق وتظهر لنا معجزة القرآن الكريم ليتبين مدى الصلة بين الآية التي سجلت هذا العلم قبل أربعة عشر قرناً واكتشاف العلماء له في العصر الحاضر. وفي ذلك دليل على الإعجاز القرآني الذي نزل على أفضل الخلق نبينا محمدﷺ.

---

(١) القرآن وإعجازه العلمي للأستاذ محمد إسماعيل (ص:٥٩)ط. دار الفكر العربي.

* ومابين القوسين هذا الرأى يخالف شريعة الإسلام لأن فيه تكذيباً للقرآن الكريم وللأحاديث المشهورة وأبقيته للرد عليه ولا تزان الكلام.

(٢) آية [١٢٥] سورة الأنعام.

(٣) التبيان في علوم القرآن للشيخ الصابوني (ص: ١٣٠).

ج- الطائرات والغواصات والمتفجرات النووية:

يقول الله تعالى: ﴿ وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون، وخلقنا لهم من مثله ما يركبون ﴾(١).

أي ما يركبون من وسائل النقل سواء ما كان يعرف من الأنعام، أم الوسائل الحديثة من النقل البري، والبحري، والجوي، مثل: (الطائرات بجميع أنواعها، والغواصات البحرية).

وتفسير الآية يحمل الإخبار عن الطائرات في طياتها عند قوله تعالى: ﴿ وخلقنا لهم من مثله ما يركبون ﴾(٢)،

لأن الطائرات أصبحت اليوم هي أكبر وسيلة نقل بين دول العالم، وهي القوة العسكرية الضاربة لأنها تحمل الرؤوس النووية وغيرها من المدمرات (فهذا هو الوصف العلمي الدقيق للطائرات الحربية الحديثة بمختلف حركاتها، وبجميع أفعالها، فهي تعصف بقنابلها كالحميم، وتترك الناس كالعصف المأكول، وفي أثناء قيامها بذلك تنشر المنشورات، وتلقيها على الجنود وعلى غيرهم في ميادين الحرب وعلى الأهالي، والسكان المدنيين، للإخبار بما تريده الدولة المحاربة. وتفرق بصوتها الجبار بين الكتائب، والفصائل، والتجمعات، تفريقاً، حيث إنه لا يستقر تحتها ولا يثبت الجمع بل بمجرد رؤيتها يتفرق الناس ويختفون في الكهوف والملاجىء والمخابىء)(٣).

---

(١) آية [٤١ - ٤٢] سورة يس.

(٢) آية [٤٢] سورة يس.

(٣) الجانب العلمي في القرآن، د. صلاح الدين خطاب (ص: ١٧)ط. الناشر العربي.

وهذا القول لامانع من وضعه في التفسير العلمي ويكون ذلك من باب غلبة الظن والترجيح وليس القطع، لأن الناظر في حركة هذه الطائرات والقنابل الذرية والغواصات النووية، يرى أنها تفعل ما لا يخطر على فكر الإنسان في السابق، ولكن الشواهد الحديثة تدل على أن قنبلة واحدة تكفي لتدمير الآلآف من العمارات الشاهقة والقضاء على الألوف المؤلفة من البشر، والشاهد الحيّ في ذلك القنبلة الذرية التي أُلقيتْ على [هيروشيما] في [اليابان] عام ١٩٤٥م، وكيف أنها تمكنت من إبادة نحو ١٤٠ ألف نسمة خلال جزء من الثانية وبقيت آثارها في الجماد والحيوان والإنسان إلى يومنا هذا.

فهذا دليل على أن علم القرآن علمٌ متطور وأن الإنسان كلما سعى لكشف هذه العلوم يجد أن القرآن الكريم قد سبقه إليها بوصفها صراحةً أو ضمناً، ففي الآية دليل على أن القنابل الذرية التي تحملها الطائرات فيها معاني الخوف والرهبة والدمار والخراب الذي تحدثه بين البشر وعمرانهم، لهذا نجد القرآن الكريم قد حذرمن استغلال هذه العلوم في تدمير العباد وإيذائهم وجعل ذلك محرماً في الدين والدنيا، وذلك ليعيش العباد على ظهر البسيطة دون خوف ورهبة إلا من الله تعالى في طاعته واجتناب معاصيه، فسبحان الذي علم الإنسان ما لم يعلم.

ج- كلمة مهمة أخيرة بين يدي المعجزة:

مما مرَّ من قول أو مما نعرضه من حديث حول معجزات القرآن الكريم، ندرك أن القرآن جعل المعجزة عنواناً واضحاً لسور عديدة، أولها بعد الفاتحة، وأطولها سورة (البقرة) إحدى الزهراوين وغيرها، فهل تلك المعجزة كانت لبني إسرائيل أم هي منهج متكامل يربط بين عديد من القضايا؟

الذي نلحظه بعد شيء من الإمعان والتروي أن المعجزة تدور حولها مسائل مهمة منها:-

١- أنها واحدة من دلالات الصدق الكبرى فهي عند العلماء كما يقولون بمثابة ((صدق عبدى فيما بلَّغ عني)) فهي التي أقامت الحجة على صدق الرسل من أولهم إلى خاتَمهم صلوات الله عليهم أجمعين.

٢- وصدق الرسول قاطع لحجة المعاندين على اختلاف الزمان والمكان، وما حادثة البقرة إلاَّ واحدة من تلك الحجج القواطع والمنارات الشواهق التي تقطع حجج المعاندين في كل زمان ومكان.

٣- جمهور المدرسة العقلية كالمعتّزلة - خاصة غلاتهم - لم يكونوا يستريحون للكلام في المعجزات الحسية الواردة في القرآن، ولا يزال من يتأثر بهم كذلك حتى اليوم، خاصة الخوارق التي جرت على غير أنبياء مثل مريم عليها السلام، وأصحاب الكهف، وغير ذلك مما ورد في القرآن وكذلك السنة الصحيحة، وذلك راجع في تقديري إلى جهلهم بجميع مقاصد الإسلام، وإلى عدم التسليم بصدق من جرت على أيديهم وإلى عدم الاعتراف بسداد منهجهم، وأنهم على المحجة البيضاء،

ولربما كان هؤلاء على خصومة مع أصحاب تلك المناهج المؤيدة للكرامات والمعجزات، من هنا أخذوا يهدمون قضية المعجزة ما استطاعوا ويستخفون من الخوارق عموماً، ولربما وصفوا من أجراها الله تعالى على أيديهم بالشعبذة والدجل. وفي تقديري ذلك راجع إلى الحسد - داء الإنسانية الأقدم - والذي يلحظ بعين الإنتباه يجد كثيراً من المعاصرين، خاصتهم وعامتهم سواء، يكادون يمحون محواً ذكر الكرامات والمعجزات، ولربما تندروا بقصصها الواردة في صحاح المنقولات بدعوى أن ذلك يخالف المعقولات، وإذا جرت على بعض معاصريهم يكادون يسطون على الذين يتلون عليهم ذكرها، فالخوارق على هذا «قضية» فاصلة بين الحق والباطل - هذه مهمتها الكبرى وقاطعة لمعذرة المعتذرين ثم هي برد وسلام على المؤمنين : ﴿ **وإذ قال إبراهيم ربِ أرني كيف تحي الموتى قال أولم تؤمن، قال بلى ولكن ليطمئن قلبي، قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم** ﴾[1].

وإذا كانت الخوارق كرامات فهي منوهة بسداد منهج المكرمين، كما أنها جالبة لحسد الحاسدين، ومنهج المبطلين، وعلى هذا فهي حافلة بعديد من المعاني والدلالات مما ذكرناها ومما فاتنا، فهل كل ما ذكرناه وغيره من المعاني التي لا يحصى ذكرها لا يجعل معجزة البقرة عنواناً لأكبر سورة في القرآن . . !! ؟.

---

(١) آية [٢٦٠] سورة البقرة.

المبحث الثالث

[أسماء السور والإعجاز القرآني]

لقد وضعت لسور القرآن الكريم أسماء حملت عنوان تلك السور، والاسم ذو إشارة عظيمة ومعان كبيرة، دلت على عظمة المسمى به ورفعته وجلالة قدره.

ولأهمية الاسم ودلالاته، غير رسول الله ﷺ كثيراً من الأسماء واستبدلها بأسماء أخرى، فأشار صلوات ربي وسلامه عليه إلى تغيير الأسماء إلى الأحسن والأجمل كما ورد في السنة المطهرة، مثال ذلك :-

ما (رواه ابن عمر: أن رسول الله ﷺ غيَّرَ اسم عَاصِيَةَ، وقال «أنتِ جَمِيلةٌ»)(١)، (وعن أبي هريرة؛ أن زينب كان اسمها برَّة. فقيل: تزكى نفسها. فسماها رسول الله ﷺ زينب)(٢).

و(عن حزن بن أبي وهب: أنه جاء إلى النبي ﷺ فقال: «ما اسمك ؟» قال: حزن. فقال: «بل أنت سهل». قال: ما أنا بمغير اسماً سمانيه أبي»)(٣).

و(عن أسامة بن أخدرى الصحابي رضي الله عنه: أن رجلاً يقال له أصرم، كان في النفر الذين أتوا رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ: «ما اسمك ؟» قال: أصرم، قال: (بل أنت زرعة)(٤).

---

(١) صحيح مسلم كتاب الآداب (ج٣/ص: ١٦٨٦).

(٢) صحيح البخاري (ج٤/ص:١٢٧) برقم (٦١٩٢) كتاب الادب. باب تحويل الإسم إلى إسم أحسن منه.

(٣) المصدر السابق (٢).

(٤) أبوداود (ج٢/ص: ٧٠٦) رقم (٤٩٥٤) كتاب الأدب.

تعريف السورة لغةً واصطلاحاً:

أ) تعريف السورة لغةً:

لقد تناول علماء اللغة والمفسرين كلمة سورة ودارت حولها معانٍ كثيرة لتوضيح المعنى المراد وعلى هذا جاء تعريفها:

السورة: (المنزلة، والجمع سُوَرٌ - وسُوْرٌ. والسورة من البناء ما حسن وطال. (السور جمع سورة مثل بُسْرة وبُسْر، وهي كل منزلة من البناء ومنه سورة القرآن لأنها منزلة بعد منزلة مقطوعة عن الأخرى، والجمع سُوَرٌ بفتح الواو، وسميت السورة من القرآن سورة لأنها درجة إلى غيرها، ومن همزها جعلها بمعني بقية من القرآن وقطعة، وأكثر القراء على ترك الهمزة فيها، وقال: وأما سورة القرآن فإن الله جل ثناؤه جعلها سوَرا مثل غرفة وغُرَفْ ورتبة ورُتب وزلفة وزلف، فدل على أنه لم يجعلها من سور البناء، لأنها لو كانت من سور البناء لقال «فاتوا بعشر سوُر مثله ولم يقل بعشر سوَر، والقراء مجتمعون على سوَر وكذلك اجتمعوا على قراءة سور في قوله: ﴿.. فضرب بينهم بسور..﴾،

ولم يقرأ أحد: بسوَر فدل ذلك على تميز سورة من سوَر القرآن عن سورة من سوُر البناء، قال ابن الأعرابي: السورة من القرآن معناها الرفعة لإجلال القرآن)(١).

و(السورة أيضاً جمع (سورة) مثل بُسرة وبُسر وهي كل منزلة من البناء ومنه سورة القرآن لأنها منزلة بعد منزلة مقطوعة عن الأخرى، والجمع (سوَر) بفتح الواو ويجوز أن يجمع على (سورات) بسكون الواو وفتحها)(٢).

(١) لسان العرب (٣٨٦ - ٣٨٧).

(٢) مختار الصحاح تأليف محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي المتوفى سنة ٦٦٦هـ، ص: ٣٢٠، دار الرسالة سنة الطبع ٢٤٠٣ - ١٩٨٣م.

و(قال العتبي: السورة تهمز ولاتهمز فمن همزها جعلها من (أسأرَتْ) أي أفضلت من السؤر وهو مابقي من الشراب في الإناء كأنها قطعة من القرآن ، ومن لم يهمزها جعلها من المعنى المتقدم وسهل همزتها ، ومنهم من شبهها بسورة البناء، أي القطعة منه ، أي منزلة بعد منزلة وقيل من سور المدينة لإحاطتها بآياتها ، واجتماعها كاجتماع البيوت بالسور، ومنه السوار لإحاطته بالساعد ، و(قيل لارتفاعها لأنها كلام الله والسورة المنزلة الرفيعة ، قال النابغة :

ألم تر أن الله أعطاك سورة * ترى كل ملك دونها يتذبذب(١)**

وقيل: لتركيب بعضها على بعض، ومن السور بمعنى التصاعد والترتيب، ومنه ﴿ إذ تسوروا المحراب ﴾)(٢).

و(قال ابن جني: إنما سميت سورة لارتفاع قدرها، لأنها كلام الله تعالى وفيها معرفة الحلال والحرام)(٣).

و(يجوز أن تكون السورة بالهمزة بمعنى السورة بغير همزة، وإنما همزها من همز لمجاورة الواو الضمة كما قيل: السؤق في السُوَق فتكون السورة سميت بذلك لرفعتها وعلو شأنها، أو لأنها رفعة ومرتبة لمن أنزلت عليه ﷺ(٤).

---

(١) البيت في ديوان النابغة الذبياني (تحقيق شكري فضل ص: ٧٨، وتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ص:٧٣، وهو من قصيدة تعدّ من أجود اعتذاريات النابغة، الرائعة إلى النعمان بن المنذر.
السورة: المنزلة الرفيعة، ويذبذب: أي يتعلق ويضطرب، وهذا مثل، وإنما يريد أن منازل الملوك دون منزلته، فكأنهم متعلقون دونه).

(٢) الاتقان في علوم القرآن (ج١ / ص: ٦٩).

(٣) البرهان في علوم القرآن للسيوطي (ج١ / ص: ٢٦٤).

(٤) جمال القراء وكمال الإقراء (ج١ ،ص:٩٦) لعلم الدين السخاوي علي بن محمد المولود سنة ٥٥٨هـ، والمتوفى سنة ٦٤٣هـ، تحقيق، مروان العطيه، محسن خرابه. ط، دار الماكون للتراث ١٩٩٧م.

ويقول الزرقاني في مناهل العرفان:

(والسورة في اللغة تطلق على ماذكر صاحب القاموس بقوله: ومن القرآن معروفة، لأنها منزلة بعد منزلة مقطوعة عن الأخرى، والشرف، وماطال من البناء وحسن، والعلامة وعرق من عروق الحائط، وإما لما في السورة من معنى العلو والرفعة المعنوية الشبيهة بعلو السور ورفعته الحسية، وإما لأنها حصن وحماية لمحمد ﷺ وماجاء به من كتاب الله القرآن ودين الحق الإسلام، باعتبار أنها معجزة تخرس كل مكابر، ويحق الله بها الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون، أشبه بسور المدينة يحصنها ويحميها غارة الأعداء، وسطوة الأشقياء)(١).

ويقول الفخر الرازي:

السورة هي الطائفة من القرآن (واوها إن كانت أصلا فإما أن تسمى بسور المدينة وهو حائطها، لأنها طائفة من القرآن محدودة كالبلد المسور أو لأنها محتوية على فنون من العلم كاحتواء سور المدينة على ما فيها، و إما أن تسمى بالسورة التي هي الرتبة لأن السورة بمنزلة المنازل والمراتب يترقى فيها القارىء، وهي أيضا في أنفسها طوال وأواسط وقصار، أو لرفعة شأنها وجلالة محلها في الدين، وإن جعلت واوها منقلبة عن همزة فلأنها قطعة وطائفة من القرآن كالسورة التي هي البقية من الشيء والفضلة منه)(٢).

وبعد الاطلاع على أقوال أهل اللغة في معنى السورة فإن أغلبهم مجمعون على أن معنى السورة هو: الإحاطة والاحتواء والتحديد، وهذا المعنى القوي يشهد للذين يحدون السورة من الناحية الاصطلاحية، طائفة من الآيات محدودة المعالم

---

(١) مناهل العرفان للزرقاني (١/ ٣٤٣).

(٢) تفسير الفخر الرازي (ج٢/ ص: ١١٧) ط، دار احياء التراث العربي بيروت الطبعة الثالثة.

محدودة البناء، إذ أن السورة مشتملة على آيات تحتويها وتحيط بها وهكذا في كل سورة من سور القرآن الكريم.

ومن هنا (ينبغي النظر في وجه اختصاص كل سورة بما سميت به، ولاشك أن العرب تراعي في الكثير من المسميات أخذ أسمائها من نادر أو مستغرب يكون في الشيء من خُلق أو صفة تخصه، أو تكون معه أحكم أو أكثر أو أسبق لإدراك الرائي للمسمى، ويسمون الجملة من الكلام و القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها، وعلى ذلك جرت أسماء سور الكتاب العزيز، كتسمية سورة(البقرة) بهذا الاسم لقرينة ذكر قصة البقرة المذكورة فيها وعجيب الحكمة فيها)[1].

ويقول الشيخ محمد علي الصابوني:

(لأن الاسم علامة معينة لشيء معين مقصود ليدل عليه الاسم ويميزه عن غيره). والسور كذلك: (عند المفسرين هي المجموعة من الآيات لها بدء ونهاية وسميت سورة لشرفها وارتفاعها كما يسمى السور المرتفع من الجدار)[2].

لأنه لو لا هذه الأسماء التي تميزت بها السور لصعب على القارىء للقرآن الكريم معرفة قراءته، لهذا عرف (أن الأصل الذي يبدو للإنسان في تسمية السور إنها اكتسبت الاسم من كلمة وردت فيها، أو اشتقاق كلمة واردة فيها)[3] بهذا سهل فهم وحفظ القرآن الكريم، ثم إن القرآن الكريم توقيفي في جمعه وترتيبه لأسماء سوره، كيف لا وهو الكتاب الذي حمل الهداية والبيان والبلاغ للناس كافة وهو الذي ترادفت مواهبه وبركاته، وكذلك نجد أن سيدنا محمداﷺ اشتهر بأسماءكثيرة، لاتقع

---

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي (ج١ /ص: ٢٧٠) ط. المكتبة العصرية ١٩٧٢م.

(٢) صفوة التفاسير (ج١ /ص: ٣٢٥) للشيخ محمد علي الصابوني.

(٣) مع القرآن الكريم دراسات وأحكام (ص:٨٢) حيدر قفه.

في دائرة الحصر وكلها أسماء ذات معانٍ سامية ومناقب رفيعة ودلالات كثيرة وقديما قالوا : كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى، ولذلك ينبغي لكل مسلم معرفة أسماء السور والإعجاز فيها، لكي يستنير قلبه بما في كتاب الله تعالى من معاني الإعجاز في أسماء سوره، ومعرفة اختصاص كل سورة بالاسم الذي سميت به، لأن العرب وقت نزول القرآن الكريم، كانوا أفصح أمة خصها الله سبحانه وتعالى بمعرفة اللغة العربية وذلك ليتمكنوا من فهم القرآن الكريم ومافيه من أسرار، وهذه الأسماء التي سميت بها السور واضحة الإعجاز، لأنها جزء من القرآن الذي ثبت إعجازه، لأن كل اسم لسورة دال على نوع من الإعجاز في السورة التي سميت بها.

ب) تعريف السورة اصطلاحاً:

أما التعريف الاصطلاحي للسورة ، فقد تناوله العلماء وبينوا المراد منه بياناً كاملاً وهذه بعض أقوالهم :

قال الجعبري(١) : حد السورة : قرآن يشتمل على آي ذي فاتحة وخاتمة، وأقلها ثلاث آيات.

وقال غيره : السورة : الطائفة المترجمة توقيفا أي المسماة باسم خاص بتوقيف من النبي ﷺ ، وقد ثبت أن جميع أسماء السور بالتوقيف من الأحاديث والآثار، ومما يدل على ذلك، ما أخرجه ابن أبي حاتم(٢) عن عكرمة قال : كان المشركون يقولون

---

(١) هو إبراهيم بن عمران بن إبراهيم أبو إسحاق الجعبري من فقهاء الشافعية له نحو مائة كتاب أكثرها في القراءات منها شرح الشاطبية، حديقة الزهر في عدد آيات السور توفي سنة ٧٣٢ الدرر الكامنة (١/ ٥٠).

(٢) هو الإمام الحافظ شيخ الإسلام أبو محمد بن ادريس بن المنذر ابن داوود بن مهران أبو محمد بن أبي حاتم الحنظلي الرازي.

سورة البقرة وسورة العنكبوت يستهزؤون بها فنزل: ﴿انا كفيناك المستهزئين﴾(١))(٢).

(ويمكن تعريفها اصطلاحاً: بأنها طائفة مستقلة من آيات القرآن ذات مطلع ومقطع، وقالوا: هي مأخوذة من سور المدينة، وذلك إما لما فيها من وضع كلمة بجانب كلمة، وآية بجانب آية، فالسورة توضع كل لبنه فيه بجانب لبنه، ويقام كل صف منه على صف)(٣).

وإن من الإعجاز أن تكون السور طوالاً ووسطاً وقصاراً، فالله لا يعجزه شيء في كتابه العظيم فيخاطب عباده بكلامه المعجز في سوره في كل حجمها، كماً وكيفاً.

من حكمة تبويب وتقطيع القرآن سوراً:-

لقد تميزت السور القرآنية بقوة الترابط بينها وبين أسمائها، مما جعل لهذه الأسماء معنىً عظيماً في تقسيم السور، وكذلك سهل الترتيب بين أجزاء القرآن الكريم.

ولهذا كانت مهمة المفسر إظهار إعجاز القرآن من خلال هذا الترابط الجميل في صورته الفنية التي أودعها فيه منزّله سبحانه وتعالى، لأن مهمة هذه الأمة وعلى رأسها العلماء ليس فقط قراءة القرآن وحفظه، ولكن مهمة العلماء استنباط المعاني الكامنة في دلالاته الإشارية المختلفة، عامة وخاصة، في أسماء سوره.

---

(١) آية [٩٥] سورة الحجر.

(٢) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (ج١/ص: ٦٩).

(٣) مناهل العرفان (١/٣٤٣).

(واعلم أن أول ما يجب على المفسر بيانه، إظهار الترابط بين الآيات والسور، ومبدأ السور وخاتمتها، فأكثر لطائف القرآن كامنة تحت الروابط والترتيب)(١).

وقال الشيخ ولي الدين الملّوي: (قد وَهِمَ من قال: لا يطلب للآي الكريمة مناسبة لأنها على حسب الوقائع المفرقة، وفصل الخطاب أنها حسب الوقائع تنزيلا وعلى حسب الحكمة ترتيباً وتحصلا، فالمصحف على وفق ما في اللوح المحفوظ مرتبة سوره، كلها وآياته بالتوقيف كما أُنزل جملة إلى بيت العزة، ومن المعجز البيّن أسلوبه ونظمه الباهر، والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها أو مستقلة، ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما فيها، ففي ذلك علم جم. وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سبقت له)(٢)، وقد كانت لأسماء السور العلامات والدلالات المنظمة والمنسقة للنظم القرآني، والتي بها يبدو وكأنه قطعة واحدة مرتبة ومنسقة لا خلل فيها ولا تصدع، بل صورة فنية متكاملة الجمال والكمال، ولوجاء كتلة واحدة متصلة دون أسماء وأقسام وأجزاء متناسقة لما كانت صورته البديعة الجميلة كما هي الآن، ولما تجلت بلاغته في ترتيب وتناغم معانيه، ولما استطاع الصحابة والناس من بعدهم حفظه ومعرفته والعمل به بهذه السهولة والبساطة واليسر.

وفي هذا دلالة وإشارة على جلالة المسمى الذي تسمت به السور ورفعة منزلتها.

ويمكننا أن نلاحظ هذه الدلالات في أسماء السور من خلال الآتي:

---

(١) الاصلاح في علوم القرآن (ص: ٦) د. القيصي.

(٢) مناهل العرفان للزرقاني (ج١ /ص:٧٣).

١ـ تعدد الموضوعات التي جاء بها القرآن الكريم:

لقد تعددت الموضوعات التي عالجها القرآن الكريم مشتملة كل نواحي الحياة، واتخذت من ذلك صيغاً وأساليب مختلفة عن طريق تشريع الأحكام وتقريرها، وأساليب التربية وتنوعها في استجابة النفس الإنسانية وجذبها، وذكر قصص الماضي وعرضها بشكل موجز أو مفصل - قد تناثر بين السور المختلفة التي يكمل بعضها بعضاً.

٢ـ تنوع الأسباب لنزول القرآن الكريم حسب الحوادث والوقائع:

وذكر اسم السورة ييسر معرفة الآيات التي نزلت في الوقائع ومعرفة الظروف التي أحاطت بها ولو تجردت من الاسم ولم يميز لها لصعب معرفة ذلك، وربما تناثرت الآيات التي تخص موضعا واحداً في سور متعددة لتكرار الواقعة والتأكيد عليها، ومعرفة اسم السورة يساعد على جمع شتات الآيات في الموضوع الواحد.

٣ـ الصور الجمالية من خلال الفن الإبداعي وتذوقه في القرآن:

إن الانتقال من سورة إلى أخرى من غير تنظيم لوحدة المعاني إخلال بجمال التعبير أو النسق الجمالي، وهذا الانتقال بهذه الكيفية لم يكن ليتم لو لا أسماء السور. وفي هذا إشارة عميقة لما تحدثه هذه الأسماء من تنسيق وتنظيم وتأليف بين أجزاء القرآن المترامية والمترابطة، والتي تعكس في النفس الإنسانية متعة كبيرة لتذوق القرآن والإيمان بأنه منزل من عند الله.

ولهذا نجده في سوره المائة وأربع عشرة سورة ليس فيه اسم مكرر لأي سورة وإن كانت بعض القصص وردت متكررة في بعض السور إلا أن هذا التكرار ليس من

قبيل العبث والإطالة وإنما لتثبيت الحقائق وتأكيد الحدث، وتفصيل ما أجمل، وتوضيح ما أبهم في أحداث السورة، ورسم صورة القصة في مواقع مختلفة ليرى المسلم عظمة نسق "القرآن الكريم" وأنه ليس فيه مخالف وأن لكل تكرار فائدة عظيمة علمها من علمها، وجهلها من جهلها، ثم أنه لما كان القرآن كتاب تربية في كل حرف منه وجب أن يكون التكرار مضيفاً في كل مرة معنىً تشريعياً وتربوياً أو سبباً في الاستفادة من حوادث التاريخ الذي يسرده القرآن في كل مرة بما يختلف عن سابقها.

٤- حكمة تقطيع القرآن سوراً:

وذكر الرازي بعض الوجوه التي تفيد تقطيع القرآن سوراً فقال: أولها: ما لأجله بوب المصنفون كتبهم أبوابا وفصولا. وثانيها: أن الجنس إذا حصل تحته أنواع كان إفراد كل نوع عن صاحبه أحسن. وثالثها: أن القارىء إذا ختم سورة أو بابا من الكتاب ثم أخذ في آخر كان أنشط له وأثبت على التحصيل منه لو استمر على الكتاب بطوله(١).

وذكر الزركشي: (ثم ظهرت لذلك حكمة في التعليم، وتدرج الأطفال من السور القصار إلى مافوقها يسيرا يسيرا، تيسيرا من الله على عباده لحفظ كتابه فترى الطفل يفرح بإتمام السورة فَرَحَ من حصل على حد معتبر، وكذلك المطيل في التلاوة يرتاح عندما يختم كل سورة ارتياح المسافر إلى قطع المراحل المسماة مرحلة بعد مرحلة أخرى، وأن لكل سورة نمطا مستقلاً فسورة يوسف تترجم عن قصته، وسورة براءة تترجم عن أحوال المنافقين وكامن أسرارهم، وغير ذلك)(٢).

---

(١) تفسير الفخر الرازي (ج٢/ ١١٧) مصدر سابق.

(٢) البرهان في علوم القرآن (١/ ٢٦٥).

المبحث الرابع

(أسماء السور بين التوقيف والاجتهاد)

بعد تمهيد البحث الذي تم فيه تناول إعجاز القرآن وأسماء سوره، نختم هذا التمهيد بغصن متميز من أغصان (القرآن الكريم) اليانعة بهذا السؤال: هل أسماء السور توقيفية من الرسول ﷺ، أم اجتهادية من الصحابة رضي الله عنهم أو ممن جاء بعدهم بإحسان . . ؟

وقبل الإجابة على هذا السؤال نحب أن نقدم هذا البيان:

إن كلمتي التوقيف والاجتهاد، كلمتان مشهورتان عند أهل العلم وإنه عندما تسمع هاتين الكلمتين ينصرف الفكر إلى أن التوقيف بالنسبة للأمور الشرعية يُقْصَدُ به ما كان من وحي لرسول الله ﷺ.

أما الاجتهاد فهو في عمل أهل الاختصاص، كلٌّ حسب تخصصه الذي انصرفت همته إليه، وعلى ذلك نفصِّل في تعريف التوقيف والاجتهاد.

تعريف التوقيف:

(وقفه: حبسه، أوقفه على ذنبه: عرّفه إياه، وقفته من قولهم: وقفت القارىء، توقيفاً: إذا أعلمته مواضع الوقوف[1].

وَقَفَ: وقَفَت الدابة تَقِفُ (وَقُوفاً) و(وَقَفَها) غيرها من باب وَعَدَ. (وقَفَهُ) على ذنبه: أَطْلَعَهُ عليه، (وتوقيف) الناس في الحج: وقوفهم (بالمواقف)، والتوقيف كالنص[2].

---

(١) المغرب في ترتيب المعرب للمطرزي (ص: ٤٩١ - ٤٩٢).

(٢) مختار الصحاح (ص: ٧٣٣).

وقف: وقف يقف وقوفاً دام قائماً، ووقفته أنا وقفا: فعلت به ما وقف كوقفته . . . ، وفلانا على ذنبه أطلعته، والدار حبسه، والموقف: محل الوقوف(١).

وقف: وقفت الدابة سكنت تقف، وقفا: سكنت، ووقفت الدار وقفا: حبستها في سبيل الله، وشيء موقوف ووقف أيضاً تسمية بالمصدر والجمع أوقاف، وقفت الرجل عن الشيء وقفاً: منعته عنه(٢).

(ويستعمل التوقيف أيضاً بمعنى التصرف في الشيء. ولا يخرج معناه الاصطلاحي عما ورد في اللغة)(٣).

تعريف الاجتهاد:

(الاجتهاد في اللغة: بذل الوسع والطاقة في طلب أمر ليبلغ مجهوده ويصل إلى نهايته، ولا يخرج استعمال الفقهاء عن هذا المعنى اللغوي)(٤).

أما الأصوليون:

(فمن أدق ما عرفوه به: أنه بذل الطاقة من الفقيه في تحصيل حكم شرعي ظني، فلا اجتهاد فيما علم من الدين بالضرورة، كوجوب الصلوات، وكونها خمسا، ومن هذا يعلم أن معرفة الحكم الشرعي من دليله القطعي لا تسمى اجتهاداً)(٥).

---

(١) القاموس المحيط (ج٣/ ص: ٢٩٦).

(٢) المصباح المنير (ج٢/ ص: ٣٤٦).

(٣) المواقف (ص:٣٣٣)، ومسلم الثبوت ٢/ ١١، وشرح جوهرة التوحيد(ص:٩٠)، والتبصرة بها متن فتح العلي (١/ ١٧٩)، والأم(٥/ ٦٩-٢٧١)، والمهذب (٢/ ٢٦)، والسراجيه(ص:٣١٧ + الموسوعة الفقهية (دولة الكويت) (ج١٤/ص:١٨٠) باب "توقيف".

(٤) كشاف إصطلاحات الفنون ط، كلكتا (١/ ١٩٨، والمصباح مادة (جهد).

(٥) مسلم الثبوت (٢/ ٣٦٢ط، بولاق + الموسعة الفقهية)دولة الكويت) (ج١/ص:٣١٦) باب الاجتهاد.

ومن هنا نعلم أن الاجتهاد فيه تحرير للعقل وإنارة للفكر، وهذا الاجتهاد الذي أخذ به العلماء هو سعة الإسلام ورحمة الله تعالى بالعباد وإفساحٌ لعقولهم التي أنارها الله بالعلم والمعرفة، ليقدم كلٌ حسب ما وفقه الله إليه من أسرار العلوم والحكم، لأن العلم ليس حصراً على أحد بل هو عطاء من الله تعالى، وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر**»(١).

وبعد هذه المقدمة والتعريف لمعنى التوقيف والاجتهاد ننتقل إلى: أسماء السور هل هي توقيفية أم اجتهادية...؟.

وإليك ما قاله أهل الاختصاص في ذلك:-

يقول الإمام الزركشي في كتابه البرهان:

(ينبغي البحث عن تعداد الأسامي: هل هي توقيفيه أو بما يظهر من المناسبات..؟.

فإن كانت الثاني فلن يعدم الفَطِن أن يستخرج من كل سورة معاني كثيرة تقتضي اشتقاق أسمائها وهو بعيد)(٢).

ويقول الأستاذ حيدر قفه:

(وقد اختلف العلماء في أسماء السور: هل هي توقيفية من النبي ﷺ، أو أنها اجتهاد من الصحابة؟ والأظهر ما عليه جمهور العلماء أن أسماء جميع سور القرآن توقيفية عن النبي ﷺ، فقد وضع لكل سورة اسماً خاصاً بها)(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب "الاعتصام بالسنة" رقم (٧٣٥٢) ومسلم كتاب "الأقضية" رقم(١٧١٦).

(٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي (ج١/ص: ٢٧٠).

(٣) مع القرآن الكريم دراسات وأحكام لحيدر قفه (ص:٨٢).

و(أما أسماء السور فقد جعلت لها من عهد نزول الوحي، والمقصود من تسميتها تيسير المراجعة والمذاكرة، وقد دلَّ حديث ابن عباس أن النبي ﷺ كان إذا نزلت الآية يقول: « ضعوها في السورة التي يذكر فيها كذا » ، فسورة البقرة مثلا كانت تلقب بالسورة التي تذكر فيها البقرة، وفائدة التسمية أن بها تميز السورة عن غيرها، وأصل أسماء السور أن تكون بالوصف كقولهم: السورة التي يذكر فيها كذا، ثم شاع فحذفوا الموصول وعوضوا عنه الإضافة فقالوا: سورة ذكر البقرة مثلاً، ثم حذفوا المضاف وأقاموا المضاف إليه مقامه فقالوا: سورة البقرة).

وقال أيضاً:

(واعلم أن الصحابة لم يثبتوا في المصحف أسماء السور بل اكتفوا بإثبات البسملة في مبدأ كل سورة علامة على الفصل بين السورتين، وإنما فعلوا ذلك كراهة أن يكتبوا في أثناء القرآن ما ليس بآية قرآنية، فاختاروا البسملة لأنها مناسبة للافتتاح مع كونها آية من القرآن، وفي الإتقان أن سورة البينة سميت في مصحف (أبيّ) سورة أهل الكتاب، وهذا يؤذن بأنه كان يسمي السور في مصحفه، وكُتبت أسماء السور في المصاحف باطراد في عصر التابعين ولم ينكر عليهم ذلك.

قال المازري في شرح البرهان عن القاضي أبي بكر البقلاني: إن أسماء السور لما كُتبت بالمصاحف كتبت بخط آخر لتتميز عن القرآن، وآية البسملة كانت مكتوبة في أوائل السور بخط لا يتميز عن الخط الذي كتب به القرآن)(١).

وبعد عرض أقوال بعض الذين أنارتْ أقلامهم كتب علوم القرآن، وخاصة أسماء السور التي لم تنل الحظ الوافر من العناية ولعل السبب يعود إلى أن أسماء هذه السور من المُسَلَّمْ بها كآيات (القرآن الكريم) ليس فيها شيء يراد بحثه بل هي واضحة

(١) تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور (ج١ / ص: ٩٠-٩١).

الدلالة، لأن الكثير من العلماء تعرضوا لعلوم القرآن المختلفة مثل: ترتيب السور، والمناسبة بين الآيات والسور، وأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، وغيرها.

والظاهر من أقوال العلماء في تحقيق المسألة من خلال العرض المتقدم يتبين لنا بأن الراجح قول من قال بأنها توقيفية وذلك للأسباب الآتية: -

أ) الأحاديث الصحيحة المذكورة في تسمية السور مباشرة من الرسول ﷺ

منها على سبيل المثال:

١- حديث أبي مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه**»(١).

٢- حديث أبي الدرداء، أن النبي ﷺ قال: «**من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال**»(٢).

ب) تواتر هذه الأسماء وكتابتها في المصاحف منذ القرون الأولى إلى يومنا هذا.

ج) إجماع الأئمة على تسمية هذه السور بهذه الأسماء.

د) لو كانت هذه الأسماء من وضع المجتهدين كالتفسير مثلاً، لوجدنا أنّ الأسماء تفسر وتؤول حسب رأى كل مدرسة من مدارس التفسير المختلفة، ولوجدنا أيضاً كثرة الأسماء لكل سور القرآن لاختلاف أقوال العلماء في أسماء السور.

لهذا نرى أن أسماء سور (القرآن الكريم) هي توقيفية من الرسول ﷺ، وليست من وضع اجتهاد المجتهدين.

---

(١) صحيح البخاري كتاب "فضائل القرآن" باب فضل سورة البقرة (ج١١/ص: ٢٦٦)ط، دار أبي حيان.

(٢) أخرجه مسلم كتاب "صلاة المسافر" باب فضل سورة الكهف (ج٣/ص: ٣٥٢- ٣٥٣)ط، أبي حيان.

الباب الأول

دلالات الأسماء في الإعجاز والقدرة

الفصل الأول

(السور الواردة بأسماء معجزات)

ويشتمل على أربعة مباحث :

المبحث الأول : سورة البقرة.

المبحث الثاني : سورة المائدة.

المبحث الثالث : سورة الإسراء.

المبحث الرابع : سورة القمر.

المبحث الأول

سورة البقرة

الآيات (٦٧ - ٧٣)

وتشتمل على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : فضلها وأهميتها.

المطلب الثاني : أسماؤها.

المطلب الثالث : اسم السورة (دلالات وإشارات).

قال تعالى: ﴿ وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين(٦٧) قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون (٦٨) قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين (٦٩) قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهي إن البقر تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون (٧٠) قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقى الحرث مسلمة لاشية فيها قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون (٧١) وإذ قتلتم نفسا فأدرأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون (٧٢) فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون(٧٣) ﴾.

التفسير :

يقول الإمام الطبري في تفسيره:

(حدثني المثنى، قال: حدثنا آدم، قال: حدثني أبو جعفر، عن ربيع، عن أبي العالية في قوله تعالى: ﴿إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة﴾، قال: كان رجل من بني إسرائيل، وكان غنياً ولم يكن له ولد، وكان له قريب وكان وارثه، فقتله ليرثه، ثم ألقاه على مجمع الطريق، وأتى موسى فقال له: إن قريبي قتل، وأتى إلى أمر عظيم، وإني لا أجد أحداً يبين لي من قتله غيرك يانبيّ الله، قال: فنادى موسى الناس: أنشد الله من كان عنده من هذا علم إلا بينه لنا، فلم يكن عندهم علمه، فأقبل القاتل على موسى فقال: أنت نبيّ الله، فاسأل لنا ربك أن يبين لنا، فسأل ربه فأوحى الله إليه (إنَّ الله يأمركم أن تذبحوا بقرةً) فعجبوا وقالوا (أتتخذنا هزواً، قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي، قال إنه يقول إنها

بقرة لا فارض) يعني: لا هرمة (ولا بكرٌ) يعني: ولا صغيرة، (عوان بين ذلك) أي: نُصف بين البكر والهرمة (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها، قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها) أي صاف لونها (تسر الناظرين) أي: تعجب الناظرين (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي إن البقر تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون)(قال إنه يقول: إنها بقرة لا ذلولٌ) أي: لم يذللها العمل (تثير الأرض) يعني ليست بذلول فتثير الأرض (ولا تسقي الحرث) يقول: ولا تعمل في الحرث (مسلمة) يعني مسلمة من العيوب (لاشية فيها) يقول: لا بياض فيها (قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وماكادوا يفعلون) قال: ولو أن القوم حين أمروا أن يذبحوا بقرة تعرضوا بقرة من البقر فذبحوها لكانت إياها، ولكنهم شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم، ولولا أن القوم استثنوا فقالوا (وإنا إن شاء الله لمهتدون) لما هدوا إليها أبدا، فبلغنا أنهم لم يجدوا البقرة التي نعتت لهم إلا عند عجوز عندها يتامى، وهي القيِّمة عليهم، فلما علمت أنهم لا يزكو لهم غيرها أضعفت عليهم الثمن، فأتوا موسى، فأخبروه أنهم لم يجدوا هذا النعت إلا عند فلانة، وأنها سألتهم أضعاف ثمنها، فقال لهم موسى: إن الله قد كان خفف عليكم، فشددتم على أنفسكم، فأعطوها رضاها وحكمها، ففعلوا واشتروها، فذبحوها، فأمرهم موسى أن يأخذوا عظماً منها فيضربوا به القتيل، ففعلوا، فرجع إليه روحه، فسمى لهم قاتله، ثم عاد ميتا كما كان، فأخذوا قاتله وهو الذي كان أتى موسى فشكا إليه، فقتله الله على سوء عمله(١).

المطلب الأول: فضلها وأهميتها.

سورة البقرة من السور المدنية النزول باتفاق العلماء، وكان ترتيبها الثاني بعد الفاتحة(٢) حسب ترتيب المصحف الشريف لأنه كان عن طريق الوحي(٣)، وعدد

---

(١) تفسير الطبري (ج١/ ص: ٣٣٧ - ٨٣٨)، ط. مصطفى البابي الحلبي. الطبعة الثالثة ١٩٦٨.
(٢) مناهل العرفان (ج١/ ص: ١٩١).
(٣) الإتقان في علوم القرآن (ج١/ ص: ٨٣).

آياتها مائتان وخمس وثمانون آية عند أهل العدد بالمدينة ومكة والشام وست وثمانون عند أهل العدد بالكوفة، وسبع وثمانون عند أهل العدد بالبصرة(١)، وهي أطول سورة في كتاب الله تعالى وحازت الترتيب الثاني بعد فاتحة الكتاب، لأن الفاتحة تضمنت الإقرار بالربوبية والالتجاء إليه في دين الإسلام والصيانة عن دين اليهودية والنصرانية، وسورة البقرة تضمنت قواعد الدين(٢)، وهذه السورة فضلها عظيم وثوابها عميم لكثرة أحكامها ومواعظها ولقدحصلت على عناية خاصة من رسول الله ﷺ ومن الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، قال ابن العربي: (سمعت بعض أشياخي يقول: فيها ألف أمر وألف نهي وألف حكم وألف خبر)(٣).

فضلها:

نالت سورة البقرة منزلة كبيرة وجاءت بخصوصها أحاديث عظيمة من رسول الله ﷺ على وجه العموم في فضلها وعلى وجه الخصوص أحاديث في بعض آياتها، أما ما جاء في فضل سورة البقرة، فما رواه أبوهريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«لا تجعلوا بيوتكم مقابر إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة»**(٤)، وعن أبي أمامة الباهلي قال: سمعت رسول الله ﷺ

يقول: **«اقرؤوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولايستطيعها البطلة»**(٥).

وعن أبي مسعود البدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه»**(٦).

---

(١) تفسير التحرير والتنوير (ج١/ ص: ٤٠٢).
(٢) البرهان في علوم القرآن (ج١/ ص: ٢٦٠-٢٦١).
(٣) الجامع لأحكام القرآن (القرطبي) (ج١/ ص: ١٤٨).
(٤) رواه مسلم في كتاب المسافرين (فضل قراءة القرآن وسورة البقرة)، (٧٨٠)، والترمذي (٢٨٧٧). وأحمد(٧٨٠٨).
(٥) رواه مسلم في كتاب المسافرين (باب استحباب صلاة النافلة في بيته).
(٦) صحيح البخاري كتاب فضائل القرآن باب فضل سورة البقرة (ج١١/ ص: ٢٦٦ط، دار ابن حيان.

أما أهميتها :

فلهذه السورة أهمية كبرى ومنزلة عظيمة تتضح هذه الأهمية خاصة عند الحوار الذي حصل بين نبي الله موسى عليه السلام وقومه بني إسرائيل، ويدور الحوار حول قصة يصبح لها شأن عظيم، ومدلولات إشارية كبيرة للمتمعنين في كتاب الله تعالى حول ما أثارته قضية ذبح البقرة من تساؤلات كثيرة من بني إسرائيل، عند قوله تعالى: **﴿وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة، قالوا أتتخذنا هزوا، قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين، إلى ... قوله تعالى - لعلكم تعقلون﴾**(١)، ذكر الطبري في تفسيرها قول عبيدة: -كان في بني إسرائيل رجل عقيم - قال: فقتله وليه ثم احتمله فألقاه، في بسط غير بسطه، قال: فوقع بينهم فيه الشر حتى أخذوا السلاح، قال: فقال: أولو النهى: أتقتلون وفيكم رسول الله!!؟. قال: فأتوا نبي الله، فقال: اذبحوا بقرة، فقالوا: أتتخذنا هزواً.

قال: ﴿أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين﴾(٢) ﴿قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهي﴾ قال: ﴿إنه يقول إنها بقرة﴾(٣) إلى قوله: ﴿فذبحوها وما كادوا يفعلون﴾(٤) قال: فضرب، فأخبرهم بقاتله قال: ولم تؤخذ البقرة إلا بوزنها ذهبا، قال: ولو أنهم أخذوا أدنى بقرة لأجزأت عنهم، فلم يورث قاتل بعد ذلك(٥).

المطلب الثاني : أسماؤها.

سورة البقرة، ذُكر اسمها صراحة في كتاب الله تعالى، وجُعل اسمها عنواناً لها من رسول الله ﷺ.

---

(١) من آية (٦٧ - ٧٣) من سورة البقرة.
(٢) آية [٦٧] سورة البقرة.
(٣) آية [٦٨] سورة البقرة.
(٤) آية [٧١] سورة البقرة.
(٥) الطبري (ج١/ ص: ٣٧٩).

ولقد ذكر العلماء أقوالاً كثيرة في أسمائها فمنهم من سماها - البقرة - ، وسنام القرآن ، والكرسي ، والزهراء مستدلين بأحاديث رسول الله ﷺ ، ومنهم من اقتصر على تسميتها البقرة .

قال الفيروز أبادي : أما أسماؤها فأربعة :-

الأول : (البقرة) : لاشتمالها على البقرة ، وفي بعض الروايات عن النبي ﷺ ، السورة التي تذكر فيها البقرة .

الثاني : (الكرسي) : لاشتمالها على آية الكرسي التي هي أعظم آيات القرآن الكريم ، وفي حديث عن أبي هريرة رضي الله عنه : «إن لكل شيء سناما ،وسنام القرآن البقرة ، وفيها آية هي سيدةُ آي القرآن آيةُ الكرسي»(١) : ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾(٢) .

الثالث : (سنام القرآن) : الدليل الحديث السابق .

الرابع : (الزهراء) : لقوله ﷺ : «اقرؤوا الزهراوتين البقرة وآل عمران»(٣) ، (٤) .

ويقول الإمام الزركشي في كتابه البرهان :

وجاء (تسمية سورة البقرة بهذا الاسم لقرينة ذكر قصة البقرة المذكورة فيها وعجيب الحكمة فيها)(٥) .

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي في (٤٢) كتاب "ثواب القرآن" / ٢/ باب ماجاء في فضل سورة البقرة وآية الكرسي .

(٢) آية (٥٥) سورة البقرة .

(٣) الحديث أخرجه الترمذي في (٤٢) كتاب "ثواب القرآن" / ٢/ باب ماجاء في فضل سورة البقرة وآية الكرسي . ومسلم (٨٠٩) .

(٤) بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز (ج١/ ص : ١٣٤) .

(٥) البرهان في علوم القرآن للزركشي (ج١/ ص : ٢٧٠) .

ويقول ابن عاشور:

(سميت هذه السورة (سورة البقرة) في المروي عن النبي ﷺ، وما جرى في كلام السلف، فقد ورد في الصحيح أن النبي ﷺ قال: «من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة كفتاه»، وفيه عن عائشة رضي الله عنها لما نزلت الآيات من آخر سورة البقرة في الربا قرأهن رسول الله ﷺ ثم قام فحرم التجارة في الخمر، ووجه تسميتها أنها ذكرت فيها قصة البقرة التي أمر الله بني إسرائيل بذبحها لتكون آية ووصف سوء فهمهم لذلك، وهي مما انفردت فيه هذه السورة الكريمة بذكره)(١).

وفي التفسير المنير:

كذلك ورد أنها: (سميت هذه السورة (سورة البقرة) لاشتمالها على قصة البقرة التي أمر الله بني إسرائيل بذبحها لاكتشاف قاتل إنسان، بأن يضربوا الميت بجزء منها فيحيى، بإذن الله ويخبرهم عن القاتل، والقصة تبدأ بالآية(٧٦) وهي قصة مثيرة فعلا يعجب منها السامع ويحرص على طلبها)(٢).

---

(١) تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور (ج١/ ص: ٣٠١).

(٢) التفسير المنير (ج١/ ص: ٧٠-٧١)ط دار الفكر.

المطلب الثالث : اسم السورة (دلالات وإشارات).

إن الحق سبحانه وتعالى جعل اسم البقرة عنواناً لهذه السورة الطويلة. فلما أراد سبحانه وتعالى لفت أنظار مجموعة من العباد إلى قدرته التي يعجز البشر عن مخالفتها جعلها من شيء مثلهم مخلوق. فالذي حدث لهذه البقرة هو مؤثر خارجي جعل فيها صفة المعجزة ثم للتنبيه والدلالة على قوة هذه المعجزة جعلها عبرة وعظة تذكر على مر العصور والأزمان ليتعظ بما حدث كل من قرأ هذه القصة في كتاب الله تعالى.

(لدلالة قصتها على وجود الصانع إذ حياة القتيل ليست من ذاته، وإلا يحيى كل قتيل يضرب ببعض البقرة عليه، وإلا لحصلت متى ضرب. وعلى قدرته لأنه أحيا بمحض قدرته لا بهذا السبب بل عنده. وعلى حكمته لأنه أشار بذلك إلى إحياء القلوب بذبح النفس الأمارة المظلمة)(١).

وهذا ما نلمسه في مواضع في هذه السورة التي تحتوي على أنماط مختلفة مع أنبياء متفرقين على فترات الزمن المختلفة، قد ذكرت معهم هذه القصص (الإحياء بعد الممات) للدلالة على صدق دعوتهم ولو لا هذه المعجزات التي صاحبت الأنبياء عليهم السلام لما آمن كثير من البشر، ويتضح هذا المعنى جلياً وتبرز تلك المواضع في الدلالات الإشارية الواضحة في تفسير ابن كثير لهذه الآية : ﴿كذلك يحيى الله الموتي﴾(٢).

قال: (أي فضربوه فحيى. ونَبَّه تعالى على قدرته وإحيائه الموتى بما شاهدوه من أمر القتيل. جعل الله تبارك وتعالى ذلك الصنع حجة لهم على الميعاد، وفاصلاً

---

(١) نظم الدرر(ج١/ ص: ٥٥)ط، توزيع مكتبة ابن تيمية.
(٢) آية [٧٣] سورة البقرة.

لما كان بينهم من الخصومة والفساد، والله تعالى قد ذكر في هذه السورة إحياء الموتى في خمسة مواضع: قوله تعالى: ﴿ثم بعثناكم من بعد موتكم﴾(١)، وهذه القصة، وقصة الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت، وقصة الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها، وقصة إبراهيم والطيور الأربعة)(٢).

إن الحكمة من ذكر إحياء الموتى في خمسة مواضع في سورة واحدة يدل على أن مقصودها: (إقامة الدليل على أن الكتاب هدى ليتبع في كل ما قال به، وأعظم ما يهدي إليه هو الإيمان بالغيب ويجمعه الإيمان بالآخرة، فمداره الإيمان بالبعث الذي أعربت عنه قصة البقرة التي مدارها الإيمان بالغيب فلذلك سميت بها السورة وكانت بذلك أحق من قصة إبراهيم عليه السلام، لأنها في نوع البشر وما تقدمها في قصة بني إسرائيل من الإحياء بعد الإماتة بالصعق وكذلك ما شاكلها، لأن الإحياء في قصة البقرة عن سبب ضعيف في الظاهر بمباشرة من كان من آحاد الناس، فهي أدل على القدرة ولاسيما وأنها أتبعت القصة بوصف القلوب بالحجارة، بما عمَّ المهتدين بالكتاب والضالين وصفهم بالقسوة الموجبة للشقوة ووصف الحجارة بالخشية الناشئة في الجملة عن التقوى المانحة للمدد المتعدي نفعه إلى عباد الله، وفيها إشارة إلى أن هذا الكتاب فينا كما لو كان فينا خليفة من أولى العزم من الرسل يرشدنا في كل أمر إلى صواب المخرج منه، فمن أعرض خاب، ومن تردد كاد، ومن أجاب اتقى وأجاد)(٣).

ولزيادة توضيح مسألة القتل ثم الإحياء ثم الإماتة، ولإزالة الوهم قال الإمام الرازي للجواب على هذا السؤال: (ما الفائدة في ضرب المقتول ببعض البقرة مع أن الله قادر على أن يحيه ابتداء؟ الجواب: الفائدة فيه لتكون الحجة أوكد وعن الحيلة

---

(١) آية [٥٦] سورة البقرة.

(٢) القرآن العظيم لابن كثير (ج١/ ص: ١٦١) ط، الشعب مصر.

(٣) نظم الدرر في تناسبِ الآيات والسور (ج١/ ص: ٥٦) ط، ابن تيمية.

أبعد، فقد كان يجوز لملحد أن يوهم أن موسى عليه السلام إنما أحياه بضرب من السحر والحيلة، فإنه إذا حيي عندما يُضرب بقطعة من البقرة المذبوحة انتفت الشبهة في أنه لم يحيا بشيء انتقل إليه من الجسم الذي ضرب به، إذا كان ذلك إنما حيي بفعل فعلوه هم فدل ذلك على أن إعلام الأنبياء إنما يكون من عند الله لا بتمويته من العباد، وأيضاً فتقديم القربان مما يعظم أمر القربان)(١).

إن اسم سورة البقرة من الأسماء التي حملت الإعجاز في عُنوانها ومحتوياتها التي أشهر الحق سبحانه وتعالى فيها معجزات الموت والحياة التي قهر بها العباد وحملهم بها إلى الإيمان به سبحانه وتعالى، لأن قضية الحياة والممات من المسلمات عند البشر وأنها من صنع الخالق - سبحانه وتعالى - الذي قال: ﴿الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾(٢).

(١) تفسير الفخر الرازي التفسير الكبير (ج٢/ ١٣٥) ط، دار الفكر.
(٢) آية [٢] سورة الملك.

المبحث الثاني

سورة المائدة

الآيات (١١٢ - ١١٥)

وتشتمل على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : فضلها وأهميتها.

المطلب الثاني : أسماؤها.

المطلب الثالث : اسم السورة (دلالات وإشارات).

قال تعالى: ﴿إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مآئدة من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين(١١٢) قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين(١١٣) قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مآئدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين(١١٤) قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين(١١٥)﴾(١).

التفسير:

يقول الإمام الطبري في تفسيره(٢):

يعني- تعالى ذكْرُه - بذلك: قال الحواريون مجيبو عيسى على قوله لهم: (اتقوا الله إن كنتم مؤمنين) في قولكم (هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء): إنا إنما قلنا ذلك وسألناك أن تسأل لنا ربنا لنأكل من المائدة، فنعلم يقينا قدرته على كل شيء، وحدانيته وقدرته على كل ما شاء وأراد، ونعلم أن قد صدقتنا، ونعلم أنك لم تكذبنا في خبرك أنك لله رسول ومرسل، ونبي مبعوث (ونكون عليها) يقول: ونكون على المائدة (من الشاهدين) يقول: ممن يشهد أن الله أنزلها حجة لنفسه علينا في توحيده وقدرته على ماشاء، ولك على صدقك في نبوتك.

---

(١) آية (١١٢ ـ ١١٥) سورة المائدة.

(٢) تفسير الطبري (ج٧/ ص: ١٣١ - ١٣٦) ط. مصطفى الباني الطبعة الثانية ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

المطلب الأول : فضلها وأهميتها .

سورة المائدة مدنية النزول بالإجماع[1] ، وكان ترتيبها بالمصحف الشريف الرابع وهي من السبع الطوال[2] ، وعدد آياتها مائة وعشرون في عدّ الكوفيّ ، واثنتان وعشرون في عدّ الحجاز والشام ، وثلاث وعشرون في عدّ البصري[3] ، ووضعت هذه السورة في المصحف قبل سورة الأنعام مع أن سورة الأنعام أكثر منها في عدد الآيات ، لعل ذلك لمراعاة اشتمال هذه السورة على أغراض تشبه ما اشتملت عليه سورة النساء عونًا على تبين إحداهما للأخرى في تلك الأغراض[4] ، التي فيها أن المائدة تحدثت بإسهاب عن النصارى وباختصار عن اليهود ، والمائدة حرمت الخمر بتاتاً ، وفي سورة (النساء) حرم عند الصلوات .

فضلها :

لم نقف على نص خاص بها وإنما هي من عموم القرآن الكريم الذي لا تخلو آية منه ولا كلمة من فضل ومنَّة ونور ورحمة ومن هداية وشفاء ، حتى قيل خذ من القرآن ما شئت لما شئت .

أما أهميتها :

هذه السورة حظيت بأهمية بالغة لأنها احتوت على شرائع الإسلام الكثيرة التي ذكرت من أول السورة إلى الآية الثالثة ، وذكر أن : فيها ثمان عشرة فريضة ليست في غيرها وهي : [﴿ . . . والمنخنقة ، والموقوذة ، والمتردية ، والنطيحة ، وما أكل السبع ، وماذبح على النصب ، وأن تستقسموا بالأزلام . . .﴾ ، : ﴿و ما علمتم

(١) مناهل العرفان (ج١/ ١٩١ ، بصائر ذوي التمييز (ج١/ ١٧٨) .
(٢) الإتقان في علوم القرآن (ج١/ ٨٥) .
(٣) بصائر ذوي التمييز (ج١/ ص : ١٧٨) ، التحرير والتنوير لابن عاشور (ج٦/ ص : ٧٢) .
(٤) التحرير والتنوير لابن عاشور (ج٦/ ص : ٧٢) .

من الجوارح مكلبين﴾ ، : ﴿وطعام الذين اوتوا الكتاب﴾ ، : ﴿والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم﴾ ، وتمام الطهور : ﴿إذا قمتم إلى الصلاة﴾ ، : ﴿والسارق والسارقة﴾ ، ﴿لاتقتلوا الصيد وأنتم حرم﴾ ، إلى قوله تعالى : ﴿عزيز ذو انتقام﴾ ، : ﴿ماجعل الله من بحيرة ولاسائبة ولاوصيلة ولا حام﴾ ، وقوله تعالى : ﴿شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت﴾ ، وقوله تعالى : ﴿وإذا ناديتم إلى الصلاة﴾]* .

ليس للآذان ذكر في القرآن إلا في هذه السورة(١) ، ولبيان أهمية هذه السورة، يقول صاحب التحرير والتنوير : (قد احتوت هذه السورة على تشريعات كثيرة تنبىء بأنها أنزلت لاستكمال شرائع الإسلام، ولذلك افتتحت بالوصايا بالوفاء بالعقود)(٢) .

ومن جهة أخرى حازت سورة المائدة على هذه الأهمية الواضحة في تسميتها بسورة المائدة التي جاء ذكرها في الآيات [١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥]، لما في هذه المعجزة من دلائل واضحات واشارات بينات وعظات بالغات، فالمائدة هي التي حملت الطعام المنزل من رب العزة سبحانه وتعالى، ومخالفة لما اعتاد عليه الحواريون من معجزات أخرى، حيث كان الطعام يحضر قليلا ثم يضع عليه سيدنا عيسى عليه السلام يده فيبارك فيه، ولهذا طلبوا معجزة أخرى، وشرطوا نزولها من السماء حتى لا تكون ليد بني البشر فيه صنعة، وأيضاً ليعرفوا أنه من عند الله . (هذه قصة المائدة، وإليها تنسب السورة فيقال [سورة المائدة]، وهي مما امتن الله به على عبده ورسوله عيسى عليه السلام لما أجاب دعاءه بنزولها، فأنزلها الله آية ودلالة ومعجزة باهرة وحجة قاطعة)(٣) .

---

* [آية (٣، ٤، ٥، ٥، ٦، ٣٨، ٩٥، ١٠٣، ١٠٦، ٨٥) سورة المائدة].

(١) القرطبي (ج٦/ ص : ٣ - ٤) . [رحم الله شيخنا كأنه سها عن ذكر الاذان في سورة الجمعة عند قوله تعالى : ﴿ياأيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة﴾ .

(٢) التحرير والتنوير (ج٦/ ص : ٧٢) .

(٣) القرآن العظيم لابن كثير (ج٣/ ص : ٢١٩) ط، الشعب مصر .

المطلب الثاني : أسماؤها.

سورة المائدة ذكرت في كتب التفسير بهذا الاسم واشتهرت به، وقد ذكر لها العلماء عدة أسماء فمنهم من سماها (المائدة والأحبار)، ومنهم من سماها سورة (العقود والأحبار).

فقيل في ذلك: (واسمها سورة المائدة، لاشتمالها على قصّة نزول المائدة من السماء، وسورة الأحبار، لاشتمالها على ذكرهم في قوله: ﴿الربانيون والأحبار﴾، وقوله: ﴿لولا ينهاهم الربانيون والأحبار﴾[آية ٦٣])(١).

وذكر أنها: (تسمى سورة العقود وسورة الأحبار)(٢).

و(أما المائدة فسورة العقود، وبهن تمام الشرائع وبها تم الدين)(٣).

وكذلك جاء أن: (هذه السورة سميت في كتب التفسير وكتب السنة، بسورة المائدة، لأن فيها قصة المائدة التي سألها الحواريون من عيسى عليه السلام وقد اختصت بذكرها، وفي مسند أحمد بن حنبل وغيره: وقصة تسميتها سورة المائدة في كلام عبد الله بن عمر وعائشة أم المؤمنين وأسماء بنت يزيد وغيرهم فهذا أشهر أسمائها. وتسمى أيضاً (المنقذة)(٤).

ويذكر أنها: (سميت بالمائدة لاشتمالها على قصة نزول المائدة من السماء بعد أن طلبها الحواريون من عيسى عليه السلام لتدل على صدق نبوته، وتكون لهم عيدا(٥).

---

(١) بصائر ذوي التمييز (ج١/ ص: ١٧٨).
(٢) نظم الدرر (ج٦/ ص: ٢).
(٣) البرهان في علوم القرآن (ج١/ ٢٦١).
(٤) التحرير والتنوير لابن عاشور (ج٦/ س: ٦٩).
(٥) التفسير المنير للشيخ وهبة الزحيلي (ج٦/ ص: ٦٠).

المطلب الثالث : اسم السورة (دلالات وإشارات) .

دلت قصة المائدة على قوة الاسم الذي انتسبت إليه، لربط الاسم بالمسمى لأنه أوقع في نفس السامع وأكثر دلالة على المحتوى، فاسم سورة المائدة يدل على أنه يوجد شيء بهذه السورة ينبغي التوقف عنده ومعرفته، لأن الشيء الملفت في القرآن والسامع لتلاوته هو ذلك الاسم، ولأن المائدة هنا أصبحت معجزة مقرونة بالتحدي. ودلالات هذا التحدي ذكره العلماء عندما فسروا آية[١١٢] من المائدة، تطرقوا إلى الإشارات التي يستنبط منها المعاني في علاقة السورة باسمها المعجز والدلالات الإشارية فيه، وبينوا المعنى المراد لهذا الاسم ولهذه المعجزة من خلال تلك الإشارات التي يستدل بها على طلب الحواريين لعيسى عليه السلام.

والمعنى كأنهم لما طلبوا ذلك، قال عيسى لهم: إنه قد تقدمت المعجزات الكثيرة فاتقوا الله في طلب هذه المعجزة بعد تقدم تلك المعجزات القاهرة، فأجابوا وقالوا:

أولاً: لا نطلب هذه المائدة لمجرد أن تكون معجزة بل لمجموع أمور كثيرة جدا، إنا نريد أن نأكل منها فإن الجوع قد غلبنا ولا نجد طعاماً آخر.

ثانياً: وإن علمنا قدرة الله تعالى بالدليل، ولكنا إذا شاهدنا نزول هذه المائدة ازداد اليقين وقويت الطمأنينة.

ثالثاً: وقد علمنا بسائر المعجزات وصدقناك، ولكن إذا شاهدنا هذه المعجزة ازداد اليقين والعرفان وتأكدت الطمأنينة.

رابعاً: إن جميع تلك المعجزات التي أوردتها كانت معجزات أرضية وهذه معجزة سماوية وهي أعجب وأعظم، فإذا شاهدناها كنا عليها من الشاهدين، نشهد عليها عند الذين لم يحضروها من بني إسرائيل، ونكون عليها من الشاهدين لله

بكمال القدرة، ولك بالنبوة)[1] فكان نزول هذه المائدة من السماء له دلالات عظيمة في تربية الأتباع لحمل رسالة السماء بعد الرسل.

(ولما كان من المقصود بذكر معجزات عيسى عليه السلام تنبيه الكافر ليؤمن والمؤمن ليزداد إيمانا، وتسلية النبيﷺ وتوبيخ اليهود المدعين أنهم أبناء وأحباء إلى غير ذلك مما أراد الله، قرعت به الأسماع، ولما كان أجل المقاصد تأدب هذه الأمة لنبيها عليه السلام لتجلّه عن أن تبدأه بسؤال، أو تقترح عليه شيئاً في حال من الأحوال، ولما كان المقصود من هذا وعظنا وإرشادنا إلى ألا نسأل نبيناﷺ شيئاً، اكتفاء بما يرحمنا به ربنا الذي رحمنا بابتدائنا بإرساله إلينا لا يصالنا إليه سبحانه، وتخويفاً من أن نكون مثل من مضى من المقترحين الذين كان اقتراحهم سبب هلاكهم)[2].

وعلى ما تقدم ذكره تتضح لنا المعجزات في سورة المائدة وفوائدهذه المعجزة على الخصوص، وأهمية توضيح مراد الله منها، والحكمة التي حملتها هذه السورة، والاسم الذي سميت به.

فإذا نظرنا إلى عظمة كلام الله المعجز، وعن إخباره بأحوال الأمم السابقة، نجد فيه إشارات إلى معاني جليلة، على المسلم أن يتعظ بها ففيها مختلف الأحكام والشرائع وقصص الأنبياء وفوائد أخرى كثيرة، فالظاهر من المراد كما ذكره أهل العلم أن الله يريد أن يربي هذه الأمة لتكون مثالاً يحتذى به في اتباع نبيهاﷺ، وحملها شعار الدعوة إلى يوم القيامة.

ومن جهة أخرى نرى أن الله لفت الأنظار إلى شيء طلبه بنو إسرائيل ألا وهو

---

(١) الفخر الرازي (ج٦/ ص: ١٣٩) ط، دار الفكر.

(٢) نظم الدرر للإمام البقاعي (ج٦/ ص: ٣٥٤ - ٣٥٦) ط، القاهرة ١٩٧٣.

المائدة، وبما أن المائدة جاء نزولها معجزة كانت بذلك أدل شيء في هذه السورة على أهمية جعلها عنواناً لها، وفي ذلك توجيه رباني عظيم ليجعل آياته واسم سور قرآنه موافق لمراد عقول عباده، وعند قولهم من قوله تعالى: ﴿وآية منك﴾[1] وتفيد الآية إن من أهم مقاصدها العلامة، وهي دليل أو علم أو إشارة إلى شيء عظيم، فكانت الآية البارزة والمعجزة هنا هي المائدة المليئة بالطعام والمنزلة من عند الله مباشرة. فيها دليل المعجزات التي لا تنتهي والإشارات الدالة على أن المائدة معجزة هذه السورة، وفيها دليل واضح لأصحاب النظر والاستدلال على أن الحواريين مؤمنون بالله رباً وبعيسى رسولاً لكنهم أرادوا بهذا الطلب (المائدة) أن يضيفوا إلى الإيمان بالمشافهة الإيمان بالمشاهدة وإلى علم الدلالة علم المعاينة، فيكون لديهم المعجزات القاطعة والظاهرة التي وجدوها بحواسهم الخمس، لأن المائدة جمعت لهم المعجزات الحسية، عن طريق لمس المائدة وشم المائدة وذوق المائدة، والنظر إلى المائدة، وسماع نبي الله وهو يدعو ربه عز وجل ينزل عليهم هذه المائدة لتكون لهم عيداً لأولهم وآخرهم، وآية منه ومعجزة ليؤمنوا بها، فكانت عبرة ومعجزة هذه المائدة بذلك أحق من غيرها أن تسمى هذه السورة باسمها لما فيها من دلالات في اسمها المعجز.

ولأن فيها عبرة وتوجيهاً وحواراً خاصاً جداً فسوف يعلق بنفس القارىء لهذه القصة أكثر من غيرها وذلك لما فيها من ترداد بين المُرْسِل والمرسَلْ إليهم، فكانت تسميتها بالمائدة هو ألطف شيء بعقول العباد، لأنه موافق مراد الله مع مراد الفطرة السليمة، وأجدر بأن تسمى بهذا الاسم (المائدة)، خاصة وأنهم تعلقوا بها ووعدوا وعدين من الله ووعده صدق، قال تعالى: ﴿إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين﴾[2].

(١) آية [١١٤] سورة المائدة.
(٢) آية [١١٥] المائدة.

ولماتوعد الله من يكفر بعد نزول المائدة، أخذ عيسى عليه السلام يدعو ربه ألا يعذب قومه، ويقول: (اللهم اجعلها رحمة، إلهي لا تجعلها عذاباً، إلهي كم من عجيبة سألتك، إلهي اجعلنا لك شاكرين، إلهي إني أعوذ بك أن تكون أنزلتها غضباً وجزاء، اللهم اجعلها سلامة وعافية ولا تجعلها فتنة ومثلة، فمازال يدعو حتى استقرت السفرة بين يدي عيسى والحواريين وأصحابه)(١)، وبذلك استحقت السورة أن تحمل مسمى المائدة، مع ماذكر فيها من العهود والمواثيق والحلال والحرام، والقصص القرآني وتقريع بني إسرائيل، وتوعدهم باللعنة والخسف والمسخ والعذاب الأليم.

ولعل من فوائدها الكبرى عندما نزلت على قوم عيسى عليه السلام، رسخت من إيمانهم بربهم وبصدق نبيهم الذي أرسل إليهم من عند الله تعالى فهو صادق ومصدق، أعطتهم الطمأنينة بعد الإيمان بعدما عاينوا القدرة الإلهية بأم أعينهم واطمأنوا غاية الطمأنينة إلى تصديقه تعالى لنبيه، وكلمته التي ألقاها إلى مريم العذراء البتول، فهل بعد العيان من طمأنينة ، إن شرط الإيمان أن تطمئن القلوب والعقول. إذا كانت المائدة قد أعطت الحواريين كل هذا اليقين ، فقد نزعت الغشاوة عن أعين المكابرين من المكذبين خاصة اليهود الذين ناصبوا المسيح العداء ، فهم يلقون الله تعالى بلا حجة أو معذرة بعدما رأوا معجزات المسيح عليه السلام تَتَرى ويؤيد بعضها بعضاً.

ومن أشهرها هذه المائدة التي نزلت من السماء، ولكن هل هذا اليقين وقف على أصحاب عيسى عليه السلام من الحواريين ، أم تلك الحجة والمعذرة قائمة على أعداء المسيح من اليهود وغيرهم ؟ الحق . . إنها لقضية باقية ودائمة مع دوام الهدى القرآني والإعجاز القرآني، إن المائدة طمأنينة لنا أيضاً نحن المؤمنين بالقرآن وبكل ما

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (ج٣/ ص: ٢٢٣) ط. الشعب.

ورد فيه من معجزات ، ذلك لأنه كلام يتحدى بأقصر آية من آياته ، وقصة المائدة آيات طوال ، كما أنها قضية قاطعة لمعذرة كل مجادل بالباطل ليدحض به الحق ، فالذين شاهدوا هذه المعجزة وغيرها من المعجزات ثم لم يؤمنوا كتب الله عليهم الشقاء ، ولم يوفقهم للإيمان والهداية ، والمعجزة هي الفيصل بين الحق والباطل ، وهي منارة كبرى على المحجة البيضاء ومعنى سامٍ وشريف ، بها طمأنينة المقربين الأخيار في كل جيل من أمة الإيمان ، من لدن أول رسول إلى خاتم المرسلين ، صلوات الله عليهم أجمعين ، وهذا المعنى جدير به أن يكون اسماً لسورة كبرى من سور القرآن ، هي المائدة ، كما كانت آية البقرة المماثلة في مدلولها اسماً لأطول سورة في القرآن الكريم .

المبحث الثالث

سورة الإسراء

الآية (١)

وتشتمل على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : فضلها وأهميتها.

المطلب الثاني : أسماؤها.

المطلب الثالث : اسم السورة (دلالات وإشارات).

قال تعالى: ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير ﴾ آية [١].

التفسير[١]:

[يمجد الله تعالى نفسه ويعظم شأنه لقدرته على مالا يقدر عليه أحد سواه، فلا إله غيره ولا ربّ سواه.

(الذي أسرى بعبده) يعني: محمداً ﷺ (ليلاً) أي في جنح الليل (من المسجد الحرام): وهو مسجد مكة، (إلى المسجد الأقصى): وهو بيت المقدس الذي بإيلياء معدن الأنبياء من لدن إبراهيم الخليل عليه السلام، ولهذا جُمعوا له هناك كلهم فأمهم في محلتهم ودارهم، فدل على أنه هو الإمام الأعظم، والرئيس المقدم، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. وقوله تعالى (الذي باركنا حوله) أي: في الزرع والثمار (لنريه) أي: محمداً (من آياتنا) أي: العظام، كما قال تعالى (لقد رأى من آيات ربه الكبرى)، (إنه هو السميع البصير) أي: السميع لأقوال عباده، والبصير بهم فيعطي كلا منهم ما يستحقه في الدنيا والآخرة].

المطلب الأول: فضلها وأهميتها.

سورة الإسراء من السور المكية بالاتفاق[٢]، وعدد آياتها مائة وخمس عشرة آية عند الكوفيين، وعشرة عند الباقين[٣].

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير للشيخ محمد علي الصابوني (ج٢/ ص: (٣٥٤) ط. دار القلم. الطبعة الخامسة١٩٨٦.

(٢) بصائر ذوي التمييز (ج١/ ص: ٢٨٨)، + البرهان في علوم القرآن للزركشي (ج١/ ص: ١٩٣).

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور (ج١٥/ ص: ٧).

فضلها :

لقد كان لسورة الإسراء وقع خاص عند أهل قريش، لأن حادثة الإسراء تميزت بشيء غير مألوف لهم، وفي الوقت نفسه هو معلوم، فهم يعلمون المسافة بين مكة وبيت المقدس وكم تستغرق من الزمن، ولكن الشيء الذي تعجبوا منه هو الإسراء في جزء من الليل والرجوع إلى مكة.

ومن هنا قد فاضت أحاديث وروايات مختلفة عن هذه الحادثة سواء من رسول الله ﷺ أو من صادف هذه الحادثة في طريقه، كما بينت ذلك أقوال الرسول ﷺ، ولكثرة ما ورد في هذه السورة سوف نذكر بعض الروايات التي أشارت إلى فضائلها: عن ابن مسعود رضي الله عنه قال في بني إسرائيل والكهف ومريم: إنهن من العتاق الأول وهن من تلادي[1]، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول مايريد أن يفطر، ويفطر حتى نقول ما يريد أن يصوم، وكان يقرأ في كل ليلة بني إسرائيل والزمر[2].

أما أهميتها :

فإن لسورة الإسراء أهمية لاتخفى لما حظيت به من شهرة واسعة، ولقد اعتنى بها المفسرون وتنافسوا في جمع حوادثها وما قيل فيها من أغراض ومقاصد، وتفاسير لآياتها العظيمة وإشاراتها الدالة على معجزات الرسول ﷺ، ووضحوا أن: (مقصود السورة ومعظم ما اشتملت عليه: هو تنزيه الحق تعالى، ومعراج* النبي ﷺ والإسراء إلى المسجد الأقصى، وشكر نوح عليه السلام وفساد حال بني إسرائيل،

---

(١) البخاري كتاب التفسير سورة بني إسرائيل (ج١٠/ ص: ٣٥٨). من تلادي: أي مما حفظ قديماً أي من أول من تعلم من القرآن.

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل (ج٦/ ص: ٦٨ - دار صادر بيروت).

* لعلها سبق قلم من المؤلف رحمه الله والمراد بها الإسراء، لأن المعراج لم يذكر في هذه السورة وإنما أشير إليه في سورة النجم.

ومكافأة الإحسان والإساءة، وتقويم القرآن للخلائق، وتخليق الليل والنهار، وبيان الحكمة في سير الشمس والقمر، وملازمة البخت المرءَ، وقراءة الكتب في القيامة، وبيان الحكمة في إرسال الرسل، والشكوى من القرون الماضية. . .)[1].

ويقول البقاعي في نظم الدرر:

ولسورة الإسراء دلالات أظهرت مدى قوة الترابط الروحاني بين الأنبياء في دعوتهم للتوحيد وبين البقاع المباركة التي هي قبلة التوحيد.

والأمر (المقصود بها الإقبال على الله وحده، وخلع كل ما سواه لأنه وحده المالك لتفاصيل الأمور، وتفضيل بعض الخلق على بعض، وذلك هو العمل بالتقوى التي أدناها التوحيد، وأما بدء السورة (بسبحان الذي) فهو علم للتنزيه، وهذا أظهر ما يكون فيه، لأن من كان على غاية النزاهة عن كل نقص، كان جديراً بأن لا يعبد إلا إياه، وأن نعرض عن كل ما سواه لكونه - سبحانه - متصفاً بما ذكر، أما بنو إسرائيل، فمن أحاط أيضاً بتفاصيل أمرهم في سيرهم إلى الأرض المقدسة الذي هو كالإسراء وإيتائهم الكتاب وما ذكر مع ذلك من أمرهم في هذه السورة عرف ذلك)[2].

ويقول ابن عاشور:

ومن هنا كانت سورة الإسراء ذات أهمية عظيمة لأنها تحدثت عن قوة العلاقة بين محمد ﷺ، الموصوف بالعبودية وبين من سبقه من الرسل عليهم السلام، ومن جهة أخرى أظهرت أهمية السورة حالة بني إسرائيل لتكون عبرة لأهل قريش (العماد

---

(١) بصائر ذوي التمييز للفيروزابادي (ج١/ ص: ٣٨٨ - ٣٨٩).

(٢) نظم الدرر للبقاعي (ج١١/ ص: ٢٨٦ - ٢٨٧) ط، القاهرة.

الذي أقيمت عليه أغراض هذه السورة إثبات نبوة محمد ﷺ، وإثبات أن القرآن وحيٌ من الله، وإثبات فضله وفضل من أُنزِلَ عليه، وذكر أنه معجز، ورد مطاعن المشركين فيه وفيمن جاء به، وأنهم لم يفقهوه فلذلك أعرضوا عنه، وإبطال إحالتهم أن يكون النبي ﷺ - أُسري به إلى المسجد الأقصى فافتتحت بمعجزة الإسراء توطئة للتنظير بين شريعة الإسلام وشريعة موسى عليه السلام، على عادة القرآن في ذكر المُثل والنظائر الدينية، ورمزوا إليها إلى أن الله أعطى محمداً ﷺ من الفضائل أفضل مما أعطى من قبله(١).

المطلب الثاني: أسماؤها.

سورة الإسراء من السور التي حملت أكثر من اسم، ولقد ذكر العلماء هذه الأسماء حسب ما وُجِدَ في السورة نفسها، فمنهم من ذكر أن اسمها (الإسراء) و(بني إسرائيل)، ومنهم من زاد في التسمية وسماها (سبحان) فذكر فيها اسمان وثلاثة، وقيل تسمى أيضاً سبحان وسورة بني إسرائيل(٢).

و(لهذه السورة اسمان: سورة سبحان، لافتتاحها بها، وسورة بني إسرائيل لقوله: ﴿وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين﴾[آية ٤ سورة الإسراء].)(٣)،

وكذلك (تسمى سبحان وبني إسرائيل)(٤)، وقيل إنها(سميت في كثير من المصاحف سورة الإسراء)(٥).

---

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور (ج١٥/ ص: ٧) ط، الدار التونسية للنشر.
(٢) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (ج١/ ص: ٧٢).
(٣) بصائر ذوي التمييز (ج١/ ص: ٢٨٨).
(٤) نظم الدر (ج١١/ ص: ٢٨٦).
(٥) التحرير والتنوير (ج١٥/ ص: ٥).

المطلب الثالث : اسم السورة (دلالات واشارات).

إن هذا الاسم الذي حملته هذه السورة (الإسراء) من أدل مدلولات أسماء السور على محتوياتها، ولو تتبعنا هذه السورة المباركة نجدها من السورذات الأساليب المتعددة والقصص المتنوعة، كما عالجت قضية العقيدة الإسلامية ومواقف القوم منها، ثم تحدثت عن الإنسان وسلوكه، وعن أسس المجتمع الإسلامي السليم، وامتازت بتنزيه الباري عز وجل، عما يقوله المشركون، وجاء فيها قصص بني إسرائيل إلا أن الشارع اختار عنوانا كان له وقع آخر في عقول السامعين من قريش، فإذاً هذا الاسم وهو (الإسراء) له إشارات ودلالات تهيمن على هذه السورة، لأن المتبصر يرى العبرة والعظة في هذه السورة وما حملته من آيات كونية ليس هنا مكان ذكرها، لأنها ذكرت في كتب التفسير باستفاضة على مختلف مدارسها، وكذلك ذكرت في معجزات سيدنا محمدﷺ ومؤيدة له في محكم التنزيل، حتى تبقى مذكورة في الأذهان، ومنيرة للقلوب، ومذهبة للغفلة، وداعية إلى العبودية المحضة لله تعالى، وحتى تكون هذه الأمة عابدة لله وحده على منهج رسولهﷺ.

وإذا نظرنا إلى دلالة اسم السورة نجد حادثة الإسراء محققة الوقوع ومع ذلك فإن رسول اللهﷺ لم يتخذهامعجزة، وقد قامت البينة عندهم على صدق حدوث الإسراء بهﷺ، وذلك من خلال الأحداث التي وردت في قصة الإسراء والمعراج التي تناولتها كتب التفسير، ونحن هنا لا نبحث في هذه التفاسير التي وضحت حادثة الإسراء والمعراج ولكننا نبحث في جهة أخرى وهي: لماذا حملت السورة اسم (الإسراء) والذي يعتبر نقلة عجيبة بالقياس إلى ما ألفه البشر، لأن قريشاً كانت تأخذ شهراً في هذه الرحلة، وسيدنا محمدﷺ يذهب ويعود في جزء من الليل، فهذا أمر

غير متصور عندهم، ويدحض افتراءهم على رسول الله ﷺ، ولكن القرآن الكريم لما ساق الآية الكريمة جعل صفة الرسول ﷺ مخصوصة بالعبودية لما لهذا الوصف من دلالات عظيمة وإشارات توجيهية إلى أهمية الإسراء، وربط كلمة الإسراء بالعبودية لتوكيدها في مقام الإسراء والمعراج إلى الدرجات التي لم يبلغها بشر، وذلك حتى لايلتبس مقام العبودية بمقام الألوهية كما التَبَسَتْ في العقائد المسيحية بعد عيسى عليه السلام.

فمعرفة أسرار أسماء السور القرآنية ومناسبتها لما فيها من آيات دلت على سلامة عقيدة الأمة الإسلامية وبساطتها ونصاعتها وتنزيهها للذات الإلهية عن كل الشبه الشركية ليمحصَ الله المؤمنين المصدقين لما أخبر به رسول الله ﷺ من آيات الكون سواء الأرضية أو السماوية، وليكون هذا الذي رآه ﷺ درساً عملياً له من الله سبحانه وتعالى. فإن التعليم بالمشَاهَد أجدى أنواع التعليم، وقدم ذلك لرسول الله ﷺ بما أراه الله من آياته الكبرى وما أطلعه عليه من مشاهدة لتلك العوالم التي لا تصل أذهاننا إلى إدراكها.

لهذا وجب علينا أن ننظر في هذا القرآن بعين الإجلال والتدبر وأن نربط أسماءه بمحتواه لأن اسم سورة الإسراء وما دلت عليه من إعجاز ومعجزات - وإن لم تدرك كلها إلا أننا نجد مسمى السورة يحمل الكثير من المعاني واللطائف والإشارات التي تحمل أسرار هذا القرآن سواء كان في أسمائه أو إشاراته أو آياته أو أحكامه لأنه كلام رب العالمين.

ومن اللطائف تسمية السورة بسورة (الإسراء) ثم إضافة فعل الإسراء إلى الله، وأنه اصطفى عبده محمداً ﷺ وأكرمه بالإسراء والمعراج دون تحمله مشقة هذه المهمة، ثم التعقيب على ذلك بما قضى به على بني إسرائيل، وإسرائيل هو نبي الله

يعقوب عليه السلام، وسمي إسرائيل لأنه سرى ليلاً إلى خاله أبان هرباً من أخيه عيسو. أو لأن معناه - عبد الله - بالعبرية - ثم ختم السورة بذكر موسى عليه السلام - وهو الذي أمره الله بالإسراء ليلاً بقومه للنجاة من فرعون وجنده كما قال تعالى: ﴿ **فأسر بعبادي ليلاً إنكم متبعون** ﴾(١)

﴿ **واترك البحر رهواً إنهم جند مغرقون** ﴾(٢)

فالمتأمل في هذه اللطائف يجد أن يعقوب عليه السلام هو الذي سرى ليلاً. أو لأن هذه التسمية بالعبرية عبد الله. ولكنه لم يُسْرَ به كما أسرى الله بعبده محمد ﷺ. كما يجد أن موسى عليه السلام سرى ليلاً بأمر من الله له للنجاة من فرعون وجنده - ولكي يأخذ فرعون إلى حتفه بالغرق، ولكنه كلف بالسير ليلاً، بينما محمد ﷺ أُسري به ولم يُكلف الإسراء، وإنما كان عليه السلام مدعواً ليشاهد من مشاهد القدرة والعظمة الإلهية، ما يطمئنه على مستقبل دعوته ونصرته ومن اتبعه على كل من خالفه، وما عليه إلا الصبر لقضاء الله وقدره، وأن يسبح الله وينزهه في كل حال من الأحوال، كما أمره بذلك في قوله تعالى: ﴿ **واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم. ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم** ﴾(٣).

هذا وإن تسمية السورة بأدل شيء فيها يكون مقصودها إظهار ذلك الأمر المنسوب إليه فعرف بذلك أن هذه السورة تقع تحت عنوان السور الواردة بأسماء معجزة، وبما أن الإسراء حصل معجزة لرسول الله ﷺ بذلك كان انضمام هذه السورة إلى السور التي حملت الأسماء المعجزة هو الأقرب للصحة حسب الأدلة التي ذكرها أهل العلم في ذلك والله أعلم.

---

(١) آية [٢٣] سورة الدخان.

(٢) آية [٢٤] سورة الدخان.

(٣) آية [٤٨ - ٤٩] سورة الطور.

وفي حادثة الإسراء خرق لناموس الأسباب العادية التي تعوَّد عليها البشر، ولفت للأنظار لهذه القدرة الإلهية العجيبة التي لا تتقيد بناموس، فالله عز وجل هو الفعَّال لما يريد، وإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ، وعلى هذا يجب أن يبنى الإيمان وإلا فلا إيمان ، ولقد كانت هذه الحادثة تثبيتاً للإيمان الحق ، لمن كان إيمانه راسخاً كالرّواسي الثقال مثل الصديق رضي الله عنه ، والذي ما سمي صديقاً إلا بعد حادثة الإسراء، عندما قصوا عليه هذه الحادثة فأفاد أنه يصدقه في خبر السماء، فكيف لا يصدقه في نقله من مكة إلى بيت المقدس !! . . لقد كانت الدعوة ولا تزال في حاجة إلى مثل ذلك الإيمان الذي وقر في قلب أبي بكر رضي الله عنه ورفاقه الأماجد من أصحاب رسول الله ﷺ ، وسبيل ذلك الإيمان وإظهار معدنه هو الإبتلاءات المختلفة العقلي منها والبدني ، فالإسراء حادثة ابتلى الله بها عقول المؤمنين وقلوبهم بعدما ابتلى أجسادهم بالمحن الكثيرة في مكة ومابعدها ، فالإسراء حادثة تقيم الدليل القرآني الذي لا يقبل الشك على قدرة الله تعالى أولاً، ثم ثانياً على أنه يخرق الأسباب متى أراد، وعلى أن المؤمن يلزمه أن يضع الأسباب جانباً وينظر إلى خالق الأسباب قبل كل شيء، وهذه هي العقيدة السليمة التي رفعت منارها حادثة الإسراء ، أفلا تكون وهي بهذا البعد الواضح اسماً لسورة كبرى في القرآن المجيد . . !؟

إنها لكذلك والحمد لله رب العالمين.

المبحث الرابع

سورة القمر

الآيات (١ - ١٨)

وتشتمل على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : فضلها وأهميتها.

المطلب الثاني : أسماؤها.

المطلب الثالث : اسم السورة (دلالات وإشارات).

قال تعالى: ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر(١) وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر(٢) وكذبوا واتبعوا أهوآءهم وكل أمر مستقر(٣) ولقد جآءهم من الأنباء ما فيه مزدجر(٤) حكمة بالغة فما تغن النذر(٥) فتول عنهم يوم يدع الداع إلى شيء نكر(٦) خشعاً أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر(٧) مهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر(٨) كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر(٩) فدعا ربه أني مغلوب فانتصر(١٠) ففتحنا أبواب السمآء بمآء منهمر(١١) وفجرنا الأرض عيوناً فالتقى الماء على أمر قد قدر(١٢) وحملناه على ذات ألواح ودسر(١٣) تجرى بأعيننا جزآء لمن كان كفر(١٤) ولقد تركناها آية فهل من مدكر(١٥) فكيف كان عذابي ونذر(١٦) ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر(١٧) كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر(١٨) ﴾ آية [١ - ١٨] سورة القمر .

التفسير* :

يخبر تعالى عن اقتراب الساعة وفراغ الدنيا وانقضائها، كما قال تعالى: (أتى أمر الله فلا تستعجلوه) وقال: (اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون).

وقد وردت الأحاديث في ذلك، روى الحافظ أبوبكر البزار، عن أنس أن رسول الله ﷺ خطب أصحابه ذات يوم وقد كادت الشمس أن تغرب فلم يبق منها إلا شيء يسير قال: «والذي نفسي بيده مابقي من الدنيا فيما مضى منها إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه وما نرى من الشمس إلا يسيراً»،

---

* مختصر تفسير ابن كثير للصابوني (ج٣/ ص: ٤٠٧ - ٤٠٨، ط. دار القلم ١٩٨٦م الطبعة الخامسة.

وروى الإمام أحمد، عن سهل بن سعيد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**بعثت أنا والساعة هكذا**» وأشار بأصبعه السبابة والوسطى وفي لفظ: «**بعثت أنا والساعة كهذه من هذه أن كادت لتسبقني**» وجمع الأعمش بين السبابة والوسطى،

وروى الإمام أحمد، عن خالد بن عمير قال: خطبنا رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أما بعد، فإن الدنيا قد آذنت بصرم وولت حذاء، ولم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء يتصابها صاحبها، وأنكم منتقلون منها إلى دار لا زوال لها، فانتقلوا منها بخير ما يحضركم - فإنه قد ذكر لنا أن الحجر يلقى من شفير جهنم فيهوى فيها سبعين عاماً ما يدرك لها قعراً، والله لتملؤنه أفعجبتم، والله لقد ذكر لنا أن ما بين مصراعي الجنة مسيرة أربعين عاماً، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام»(١)، وذكر تمام الحديث.

وعن عبد الرحمن السلمي قال: نزلنا المدائن فكنا على فرسخ فجاءت الجمعة فحضر أبي وحضرت معه، فخطبنا حذيفة فقال: ألا إن الله يقول (اقتربت الساعة وانشَّق القمر) ألا وإن اليوم المضمار وغداً السباق. فقلت لأبي: أيستبق الناس غداً؟ فقال: يابني إنك لجاهل إنما هو السباق بالأعمال، وقوله تعالى (وانشَّق القمر) قد كان هذا في زمان رسول الله ﷺ كما ورد في الأحاديث المتواترة بالأسانيد الصحيحة، وقد ثبت في الصحيح عن ابن مسعود أنه قال: (خمس قد مضين: الروم والدخان واللزام والبطشة والقمر) وهذا أمر متفق عليه بين العلماء أن انشقاق القمر قد وقع في زمان النبي ﷺ وأنه كان إحدى المعجزات الباهرات.

---

(١) صحيح مسلم (ج٤/ ص: ٢٢٧٨)، مسند أحمد (ج٤/ ص: ١٧٤).

المطلب الأول : فضلها وأهميتها .

سورة (القمر) من السور المكية[1] بالاتفاق، وعدد آياتها خمس وخمسون آية[2] ، وترتيب نزولها السابعة والثلاثون، عن جابر بن زيد[3] قال: نزلت بعد سورة (الطارق) وقبل سورة(ص)[4] .

فهذه السورة الكريمة (القمر) من السور التي حملت في اسمها عنوان الإعجاز وجاء من ضمن المعجزة .

وسبب نزولها: عن أنس رضي الله عنه قال: «سأل أهل مكة رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر»[5] .

وهذه الحادثة أخذت أبعاداً كثيرة في تفكير أهل قريش، لهذا كانت قد حازت على الروايات الكثيرة التي ذكرت موضوع الانشقاق، في فضلها وأهميتها .

أما فضلها :

فقد نالت سورة القمر جانباً كبيراً من قراءة رسول الله ﷺ في صلاته، ولمس الصحابة أثرها في حياتهم العملية لما وجدوا فيها من مادة كلية لتزكية النفوس والتواصي بالعمل الصالح .

---

(١) الإتقان في علوم القرآن(ج١/ ص: ٧٣)، بصائر ذوي التمييز (ج١/ ص: ٤٤٥ + القرطبي ج٩/ ص: ١١٥) التحرير والتنوير لابن عاشور(ج٢٧/ ص: ١٦٥).

(٢) المصدرين السابقين دون الاتقان + نظم الدرر للبقاعي (ج١٩/ ص: ٨٦).

(٣) هو جابر بن زيد أبو الشعثاء الأزدي اليحمدي مولاهم البصري، كان عالم أهل البصرة في زمانه، يعد مع الحسن وابن سيرين ، من كبار تلامذة ابن عباس، روى ابن عباس: أنه قال: تسألوني وفيكم جابر بن زيد، كان من المجتهدين في العبادة، رُوى عنه أنه قال: لو ابتليت بالقضاء لركبت راحلتي وهربت، توفي سنة ٩٣هـ .

سير أعلام النبلاء (ج٤/ ص: ٤٨١ - ٤٨٣).

(٤) التحرير والتنوير لابن عاشور(ج٢٧/ س: ١٧٧).

(٥) رواه البخاري كتاب التفسير "اقتربت الساعة" . تفسير ابن كثير (ج٤/ ص: ٢٦٢). مسند البزار (ج٥/ ص: ٣٤١).

قال الإمام أحمد: (إن عمر بن الخطاب سأل أبا واقد الليثي: ما كان رسول الله ﷺ يقرأ في العيد؟ قال: بقاف، واقتربت)(١).

عن عبد الرحمن السلمي قال: خطبنا حذيفة(٢) فقال: (ألا إن الله يقول: ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾(٣)،

ألا وإن الساعة قد اقتربت. ألا وإن القمر قد انشق، ألا وإن الدنيا قد آذنت بفراق، ألا وإن اليوم المضمار وغداً السباق)(٤).

أما أهميتها:

فلهذه السورة أهمية عظيمة لأن انشقاق القمر كان آية دالة على صدقه ﷺ، ومعجزة تحققت بناءً على طلب أهل قريش فسارت هذه الحادثة حديث القوم وأصبحت مضرب المواعظ بين الصحابة رضي الله عنهم، كما حدثهم رسول الله ﷺ عن ترابط اقتراب الساعة وانشقاق القمر.

روى الإمام أحمد عن سهل بن سعد(٥) قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى»(٦).

---

(١) مسند الإمام أحمد(ج٥/ ص: ٢١٧ - ٢١٨).

(٢) هو حذيفة بن اليمان العبسي اليماني، حليف الأنصار، من أعيان المهاجرين، وهو من نجباء أصحاب محمد ﷺ، وهو صاحب سر رسول الله ﷺ. وقد ناشده عمر: أأنا من المنافقين؟ فقال: لا، ولا أزكي أحداً بعدك. توفي حذيفة بعد مقتل عثمان بأربعين ليلة بالمداين سنة ٣٦ هـ.
سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٦١ - ٣٦٩)، والإصابة لابن حجر (٢/ ٢٢٣).

(٣) آية [١] سورة القمر.

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (ج٧/ ص: ٤٤٧) ط، الشعب مصر.

(٥) هو سهل بن سعد الانصاري الساعدي، من مشاهير الصحابة، كان اسمه «حَزْناً» فغيره النبي ﷺ، مات النبي ﷺ وسهل ابن خمس عشرة سنة. وكان سعد آخر من مات بالمدينة من الصحابة، وكان ذلك سنة إحدى وتسعين هجرية على الأرجح.

(٦) مسند الإمام أحمد (٥/ ٢٢٨).

ولقد أفاض العلماء في ذكر أهميتها ومقاصدها التي نالت حظاً وافراً من بحوثهم في أهمية هذه السورة، فجاء: (ومعظم مقصود السورة، تخويف بهجوم القيامة، والشكوى من عبادة أهل الضلالة وزلهم في وقت البعث وقيام الساعة، وخبر الطوفان وهلاك الأمم المختلفة، وحديث العاديين وإنزال النكبات بهم، وقصة ناقة صالح وإهلاك جبريل قومه بالصيحة وحديث قوم لوط وتماديهم في المعصية، وحديث فرعون، وتعديه في الجهالة، وتقرير القضاء والقدر، وإظهار علامة القيامة، وبروز المتقين في الجنة مقعد صدق)[1]،

وسورة القمر وضحت مقاصد عظيمة تخبر عن الساعة، وأدّل (وأول ما فيها على هذا الغرض كله أول آياتها فلذلك سميت بما تضمنته من الاقتراب والساعة والقمر وكانت تسميتها بالقمر، أشهر لدلالته بسرعة سيره وكثرة تقلبه على الاقتراب المنجم به النجم بالإشارة لا بالعبارة، وكان القمر أدل على الأنواء التي بها منافع الخلق في معاشهم، وكانت العرب أعرف الناس بها، دلهم على التأثير فيه على اقترابها مع الإرهاب من شدائد العذاب بانعدام الأسباب فقال(وانشق) بغاية السرعة والسهولة (القمر) آية للرسول المنذر لكم بها فكان انشقاقه مع الدلالة على ذلك بإعجاز القرآن وغيره)[2].

وكذلك (يخبر تعالى عن اقتراب الساعة وفراغ الدنيا وانقضائها)[3] لأنها دار العمل والآخرة دار الجزاء فجاءت هذه السورة العظيمة لـ (تسجيل مكابرة المشركين في الآيات البينة، وأمر النبي ﷺ بالإعراض عن مكابرتهم، وإنذارهم باقتراب القيامة وبما يلقونه حين البعث من الشدائد، وتذكيرهم بما لقيته الأمم أمثالهم من

---

(١) بصائر ذوي التمييز للفيرو زأبادي (ج١/ ص: ٤٤٥).
(٢) نظم الدرر للبقاعي (ج١/ ص: ٨٦ - ٨٨).
(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (ج٥/ ص: ٤٤٥).

عذاب الدنيا لتكذيبهم رسل الله، وأنهم سيلقون مثلما لقي أولئك، إذ ليسوا خيراً من كفار الأمم الماضية، وإنذارهم بقتال يهزمون فيه، ثم لهم عذاب الآخرة وهو أشد، وإعلامهم بإحاطة الله علماً بأفعالهم، وأنه مجازيهم شر الجزاء، ومجاز المتقين خير الجزاء، وإثبات البعث، ووصف بعض أحواله، وفي خلال ذلك تكرير التنويه بهدى القرآن وحكمته)[1].

المطلب الثاني: أسماؤها.

سورة القمر من السور التي ذُكر لها أكثر من اسم عند العلماء، فمنهم من سماها سورة اقتربت الساعة، ومنهم من سماها سورة القمر واقتربت، ومنهم من سماها سورة القمر مفردة، وتم وضع اسمها في المصحف المتداول عند أكثر المفسرين بسورة (القمر).

سميت: (سورة اقتربت الساعة كذا لأبي ذر، ولغيره)[2].

سميت: (سورة القمر وتسمى، اقتربت)[3].

وسميت: (سورة القمر، لاشتمالها على ذكر انشقاق القمر)[4].

وتسمى (سورة القمر، وبذلك ترجمها الترمذي، وتسمى سورة اقتربت، حكاية لأول كلمة فيها)[5].

---

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور (ج٢٧/ ص: ١٦٦).
(٢) صحيح البخاري في «كتاب التفسير» (٥٤) سورة اقتربت (ج١٠/ ص: ٧٠٥). ط، دار ابن حبان.
(٣) الإمام البقاعي. نظم الدرر(ص: ١٩، ٨٦).
(٤) الإمام الفيروز أبادى. بصائر ذوي التمييز (ج١/ ص: ٤٤٥).
(٥) التحرير والتنوير لابن عاشور (ج٢٧/ ص: ١٦٥).

المطلب الثالث : اسم السورة (دلالات وإشارات) .

هذه السورة الكريمة (القمر) سميت باسم هو موافق لحادثة القمر، ودلالة هذا الاسم على المسمى واضحة جداً على حدوث المعجزة التي حصلت ووقعت حقاً وصدقاً، فهذه السورة اشتملت على الكثير من الوعد والوعيد، وذكر أخبار الأمم الماضية للعبرة والعظة، ومع كل ما فيها إلا إنها لم تسمّ إلا باسم القمر، وذلك يفيد بأن القمر له بروز ومشاهد كل يوم، له حركة ونظام دقيق وحوادث يعجز العقل عن إدراكها، فكان هذا القمر معجزة من المعجزات الكونية، وفيه دلالة على تسخير هذا القمر لخدمة رسول الله وآية له ﷺ .

وذكر انشقاق القمر بالنص القرآني وتواتر الأحاديث يدعونا إلى التوقف عند إشاراته ودلالاته التي فيها توجيه للقلب البشري ليستيقظ ويستجيب لنداء الفطرة والإيمان بالله تعالى وبرسوله ﷺ .

وانشقاق القمر آية كونية يوجه القرآن الكريم فيه قلوب العباد للنظر، لأن الخوارق الحية قد تدهش القلب البشري في طفولته. قبل أن يتهيأ لإدراك الآيات الكونية القائمة الدائمة التأثير بإيقاعها الثابت الهادي إلى الفطرة السليمة .

وكل الخوارق التي ظهرت على أيدي الرسل صلوات الله وسلامه عليهم قبل أن تبلغ البشرية الرشد والنضوج يوجد في الكون ما هو أكبر منها وأضخم، وإن كان لا يستثير الحس البدائي شيء كما تستثيره تلك الخوارق والمعجزات التي ارتبطت بها الرسالات بالرسل ليبلغوا دين الله عز وجل، ولهذا نرى أن بعض السور حملت في أسمائها نفس المعجزة التي وقعت، فيكون هذا الارتباط وثيقاً بين اسم السورة والآيات التي جاءت بها السورة في سياقها الذي تناول حادثة انشقاق القمر .

ولهذا نرى أن هذه السورة رسمت المحاور في إظهار المعجزة، وكيف كان سياقها ودقة عباراتها المتناهية، وكيف حملت تصور انشقاق القمر مع أن انشقاق القمر آية خارقة إلا أن القمر في ذاته آية كبرى، فهذا الكوكب بحجمه ووضعه وشكله وطبيعة منازله ودورته وآثاره في حياة الأرض وقيامه هكذا في الفضاء بغير عمد، له أكبر إشارة ودلالة على الآية الكبرى القائمة الدائمة حيال الأبصار والقلوب التي إذا نظرت بعين البصر إلى هذا القمر وبعين البصيرة في آيات الله في كتابه العزيز لحصل الاستدلال على إعجاز هذا القرآن، وعلى قوة ارتباط بعضه ببعض سواء في أسمائه أو سوره، فهوكلام مترابط ويثبت أنه ليس من صنع البشر، لهذا تجده شاهداً على القدرة المبدعة التي يصعب إنكارها إلا عناداً أو مرآءً.

وجاء القرآن الكريم لينهض بالقلب البشري لأجل أن يتمعن في هذا الكون وآيات الله فيه، ولا يقف عنده مرة واحدة حدثت في زمن محدد وشهدها مجموعة من البشر وهي حادثة انشقاق القمر، بل على كل إنسان أن يكرر النظر في عظمة مخلوقات الخالق سبحانه وتعالى، وأنه مدعو للاستمتاع بعجائب الإبداع التي يلتقي فيها الجمال بالكمال.

وفي مطلع هذه السورة تجيء تلك الإشارة إلى اقتراب الساعة وانشقاق القمر في طريقة عظيمة في لفت نظر السامع بإيقاعٍ يهز القلب هزاً في قوله تعالى: ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾[1]، فهذا الخبر يشدّ حاسة التصور لدى السامع في كيفية هذه الحادثة.

ومع هذا الموعد المرتقب والمرهب لابد للعاقل أن يتفهم أمر هذه الحوادث والدلائل، وأنها ليست عبثاً إنما هي لغاية عظيمة بعظمة حدوثها، فلا بد للقلوب

---

(١) آية [١] سورة القمر.

المستقيمة أن تتفهم هذه الآيات حتى تسعدها في دينها ودنياها ويخالط الإيمان قلبها في اتباعها لما جاء به رسول الله ﷺ .

فالحديث عن سورة القمر والتوقف عند تسميتها حديث مرتبط بمعجزة عظيمة للناظرين إليها، ومصدق لحدوثها عند المؤمنين بآيات ربهم، وبأنها وقعت وكانت معجزة خالدة في الذكر الحكيم.

ومن جهة أخرى علينا أن نبحث في هذا الكون لإظهار دلالات القرآن، لأن انشقاق القمر أمر قد عرف، ولكن هناك أشياء أخرى أعظم في هذه الكواكب لازالت مجهولة.

وكما نرى في هذه الحادثة مدى دلالة وضوح الاسم على المسمى فاجتماع اسم سورة القمر مع الإخبار عن وقوع حادثة انشقاق القمر يبين مدى إعجاز كلام رب العالمين وكيفية عرضه للحوادث التي لا يتتبعها كافر إلا آمن ولايسمع بها فاسق إلا رجع وتاب، ونحن هنا إذ نستعرض أسماء السور على حسب مواضعها ما هو إلامحاولة إلى لفت نظر أهل الاختصاص لأهمية هذا العلم وأنه علم لم يأخذ حق الرعاية الكافية في توضيح مقاصد ارتباط أسماء السور بمضمون ارتباط آياتها الدالة على عظمة هذا القرآن الكريم.

الفصل الثاني

(السور الواردة تحت معنى الكرامات)

ويشتمل على تمهيد ومبحثين :

التمهيد : ويشتمل على :

تعريف الكرامة لغة واصطلاحاً .

قول العلماء في الكرامة .

الفرق بين المعجزة والسحر والكرامة .

المبحث الأول : سورة الكهف .

المبحث الثاني : سورة مريم .

التمهيد

مقدمة :

الكرامـة

لقد أثبت أهل السنة والجماعة الكرامة، وأن كل ما كان معجزة لنبي يجوز أن يكون كرامة لوليّ، وأنها امتداد للمعجزة.

وأن القرآن الكريم جاء بها كما قال تعالى : ﴿**ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون**﴾[1].

والفرق بين الكرامة والمعجزة: هوعدم التحدي بالكرامة لمن وقعت على يديه، بخلاف المعجزة فإنها للتحدي، وأنها برهان لمن وقعت له بأنه مؤيد من الله بالوحي، وهو على طريق مستقيم.

أما الكرامة: ففيها طمأنينة للمؤمن في الاقتداء بمن كُرِّم عليه، ولها مقاصد ثلاثة:

الأول: أنها بلاء على من أجريت على يديه، إما أن يشكر أو يكفر.

الثاني: بلاء على أهل عصره أن يتبعوه إذا أخطاء أو يتبعون الشرع.

الثالث: وأنها تأييد للنبوة وهي تفسير للمعجزة وتصديق للنبي لأن ظهور الكرامة للتابع يدل عملاً على صدق المتبوع.

تعريف الكرامة:

اسم للإكرام وهو إيصال الشيء الكريم إلى المكْرِم، وهي ظهور أمر خارق للعادة من قبل شخص غير مقارن لدعوى النبوة، فما لا يكون مقروناً بالإيمان والعمل الصالح يكون استدراجاً، وما يكون مقروناً بدعوى النبوة يكون معجزة[2].

---

(١) آية [٦٢] سورة يونس.

(٢) التعريفات للجرجاني (٢٣٥).

١ـ الكرامة لغةً:

اسم يوضع للإكرام كما وضعت الطاعة موضع الإطاعة والغارة موضع الإغارة(١).

٢ـ واصطلاحاً:

أمر خارق للعادة من قبل شخصٍ غير مقارن لدعوى النبوة، فما لا يكون مقرناً بالإيمان والعمل الصالح فهو استدارج، وما قرنه بدعوى النبوة فهو معجزة(٢).

٣ـ أقوال العلماء في الكرامة:

يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى:

(أما الصالحون الذين يدعون إلى طريق الأنبياء لا يخرجون عنها فتلك خوارقهم من معجزات الأنبياء، فإنهم يقولون: نحن إنما حصل لنا هذا باتباع الأنبياء، ولو لم نتبعهم لم يحصل لنا هذا. فهؤلاء إذا قدر أنه جرى على يد أحدهم ما هو من جنس ما جرى للأنبياء - كما صارت النار برداً وسلاماً على إبراهيم، وكما يكثر الله الطعام والشراب لكثير من الصالحين كما جرى في بعض المواطن للنبي، أو إحياء الله ميتاً لبعض الصالحين، كما أحيا للأنبياء - فهذه الأمور مؤكدة لآيات الأنبياء، وهي أيضاً من معجزاتهم بمنزلة ما تقدمهم من الإرهاص، ومع هذا فالأولياء دون الأنبياء والمرسلين فلا تبلغ كرامة أحد إلى مثل معجزات المرسلين، كما أنهم لا يبلغون في الفضيلة والثواب إلى درجاتهم، ولكن قد يشاركونهم في بعضها كما قد يشاركونهم في بعض أعمالهم.

---

(١) لسان العرب مادة كرم (ج١٢/ ٥١٢).

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف (ص: ٦٠١ - ٦٠٢) الشيخ محمد عبد الرؤوف المناوي.

وكرامات الصالحين تدل على صحة الدين الذي جاء به الرسول، ولا تدل على أن الولي معصوم، ولا على أنه يجب طاعته في كل ما يقول)[1].

وقال الإمام أبو القاسم القشيري في رسالته:

إن ظهور الكرامات على الأولياء جائز، لأنه أمر موهوم حدوثه في العقل لا يؤدى حصوله إلى رفع أصل من الأصول، فواجب وصفه سبحانه بالقدرة على إيجاده، وإذا وجب كونه مقدوراً لله سبحانه فلا شيء يمنع في جواز حصوله، وظهور الكرامات علامة صدق من ظهرت عليه في أحواله، فمن لم يكن صادقاً فظهور مثلها عليه لا يجوز، والذي يدلّ عليه أن تعريف القديم سبحانه إيَّانا - حتى نفرق بين من كان صادقاً في أحواله وبين من هو مبطل - من طريق الاستدلال أمر "موهوم" حتى نفرق بين من كان صادقاً في أحواله وبين من هو مبطل من طريق الاستدلال بالاستقامة، ولايكون ذلك إلا باختصاص الولي بما لا يوجد مع المفتري في دعواه، وذلك الأمر هو الكرامة التي أشرنا إليها، ولا بد أن تكون هذه الكرامة فعلاً ناقضاً للعادة، في أيام التكليف، ظاهرة على موصوف بالولاية في معنى تصديقها في حاله)[2].

ويقول الدكتور كارم السيد غانم:

(الكرامة أمر خارق للعادة يظهره الله على يد واحد من أهل الصلاح والتقوى، لكنه لا يدعي الرسالة، أما المعجزة فلا بد أن تكون على يد مدعي الرسالة ومقرونة بالتحدي)[3].

---

(١) كتاب النبوات لابن تيمية (ص: ٤ - ٥) ط، دار الفكر.

(٢) جامع كرامات الأولياء (ص: ١٧). الرسالة القشيرية: تحقيق معروف زريق (ص: ٣٥٣).

(٣) الاشارات العلمية في القرآن الكريم (ص: ٢٥) د. كارم السيد غانم، ط، دار المناهل للطباعة (٨٤٧٨/ ٩٤).

الفروق بين المعجزة والسحر والكرامة:

قال الإمام الأنور[1]، في أماليه على البخاري: (واعلم أن من أراد أن يتحصل على الفرق بينهما - يعني بين المعجزة، والسحر حتى يدركه كالحسيات والمشاهدات فقد أتعب نفسه، كيف وفي بنية هذا العالم التلبيس والتخليط، ولو تميز الحق عن الباطل بحيث لايشوبه ريب لما احتيج إلى القيامة، وإنما تقوم القيامة للفصل بين الخبيث والطيب، قال تعالى: ﴿ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾[2]،

وإذاً لا يكون التمييز بينهما إلا علمياً، فاعلم أن الدنيا مجموعة الأضداد كالظلمة والنور، والظل والحرور، والطيب والخبيث، والكفر والإيمان، فإذا نظرنا أنها بسطت على هذا المنوال علمنا أنه لابد أن تكون فيها نفوس على نقاضة المرسلين، فإن لكل شيء ضداً، وأضداد هؤلاء الطائفة لا تكون إلا من جنسهم من الدجاجلة، ثم إذا علمنا المعجزة، وهي حقيقة قدسية، يظهرها الله على أيدي المقدسين، (المرسلين) علمنا أنه لابد أن يكون هناك شيء على مناقضتها أيضاً، وهو السحر، ثم المعجزة على نحوين: حسية وعلمية، أما الحسية كاليد البيضاء أوالعصا، فقد مضت بصاحبها، أما العلمية فهي باقية إلى يوم التناد، ولو أمعنت النظر لعلمت أن المعجزة والحسية أيضاً تنتهي إلى العلم والعقل، وذلك لأنه لا سبيل إلى التمييز بين المعجزة والسحر، ولو كانت حسية إلا بالعلم والعقل، فعلم أن أنتهاء المعجزة الحسية أيضاً إلى العلم والعقل، دون المشاهدة، فإذا علمت أن الفرق بينهما عقلي وعلمي، حتى بين الحسية والسحر أيضاً، فأقول: إنهما يفترقان علماً، بحيث لا يكاد يلتبس على أحد، فإن الفرق إما يكون من جهة الفاعل أو المادة أو الغاية وذلك بأنواعها متحقق ههنا.

---

(١) فيض الباري (ج٤/ ص: ٢٦٣).

(٢) آية [١٦٤] سورة الأنعام.

أما الأول: فالساحر يكون خبيث النفس، رديء الأخلاق، متلبساً بالخبائث، وأما صاحب المعجزة: فيكون طيب النفس، حسن الملكة، شريف الأخلاق، ذكي الطبع، بعيداً عن الأرجاس.

وأما من جهة المادة، فمادة السحر كلها تنبى على الخبث، كالاستمداد بالشياطين، والأرواح الخبيثة، والذهاب إلى جماجم الأموات، واستعمال عظام نخرة، بخلاف المعجزة، فإنها في أغلب الأحوال تصدر بلا سبب، كاليد البيضاء، والعصا، فتلك لا مادة لها، وما تصدر عن سبب لا تكون مادتها غير القدس والطهارة، كقراءة النبيﷺ بكلمات في طعام، والبركة منها أما الصورة فإنما تأتي على المادة كيف كانت، فهي أيضاً تتبعها، بقيت الغاية فهي على ظاهر الأمر هذا في الفرق بين السحر والمعجزة، أما الفرق بين الكرامة والمعجزة، فبأن الكرامة تحتاج إلى صرف همة الولي، فللكسب والاكتساب دخل فيها، بخلاف المعجزة فإنها لا تحتاج إلى صرف الهمة، وقراءة الكلمات، شيء آخر، وإنما نعني من صرف الهمة: عزيمة صاحبها، وكذا لا دخل فيها للرياضات والاكتساب، فإنها إما أن تكون من الدعاء، أو بدون سابقية أمر، بخلاف الكرامات، فإنها ممكنة الحصول بالرياضات، أما المعجزة فكما قال تعالى: ﴿**فإن استطعت أن تبتغي نفقا في الأرض أو سلما في السماء فتأتيهم بآية**﴾[1].

قال صاحب الخيالي: (إظهار الشيء فرع وجوده)، هذا جواب آخر حاصله على ما قال الفاضل اللاهوري: (يعني لو فرض صدور الأمر الخارق على يد الكاذب المتنبي فلا يصدق عليه تعريف المعجزة، يعني غير داخل في المعرف، فلا داعي إلى

---

(١) آية [٣٥] سورة الانعام.

إخراجه، لأنها تكون لإظهار صدقه، وإظهار شيء فرع وجوده، ولا وجود للصدق في مادة المتبني، فلا يكون الخارق على يده معجزة(١).

وقال العلامة الخيالي: (ثالثاً: والحق أن السحر ليس من الخوارق وإن أطبق القوم عليه، لأنه مما يترتب على الأسباب، كلما باشرها أحد يخلقه الله تعالى عقيبه البتة، فيكون من ترتب الأمور على أسبابها، كالإسهال بعد شرب السقمونيا، ألا يرى أن شفاء المريض بالدعاء خارق، وبالأدوية الطبية غير خارق، وكما أن الطلسم ومايترتب على خصائص بعض الأشياء كالمغناطيس والكهرباء وغيرهما ليس أمراً خارقاً للعادة فلا يدخل في المعجزة، لأنه معنى ظهور الخارق هو أن يظهر أمر لم يعهد ظهور مثله عن مثله، وههنا ليس كذلك لأن كل من باشر الأسباب المختصة به يترتب عليها ذلك بطريق جري العادة، ولا تلتبس المعجزة بالسحر على هذا التقدير لأنه لا يمكن معارضة المعجزة، لأنها فعل الله، لا مدخل لمباشرة الأسباب فيه، يخلقه الله تعالى على يد الصادق فقط لتصديقه، وهذا فيما يكون فيه الخلق والإحداث، وإلا فظهور ونزول، فالقرآن غير مخلوق وهو صفة الرب، ومعجزة خالدة.

بخلاف السحر فإن فيه مدخلا لمباشرة الأسباب، يخلقه الله تعالى على يد كل من باشره عادة، ولا يظهر أي خارق على يد المتنبيء الكاذب كالقادياني الدجال وأخوة مسيلمة الكذاب، وأمثالهما من الكفرة والملاحدة، وقال في المواقف: حقيقة المعجزة عندنا ما قصد به إظهار صدق من ادعى أنه رسول الله(٢).

---

(١) حاشية السيالكوتي (ص: ٤١) برقم (٣).
(٢) الخيالي (ص: ٤١).

وعلى ماتقدم نخلص إلى :

أن الكرامة هي أثر لعمل صالح قام به المسلم، وهي من الله على قوة اليقين في اتباع دعوة النبي ﷺ، وحسن اقتفاء أثره مما يثمر عنه هذه الكرامة التي تثبت من خلال القرآن والسنة وعلى ما ذكر أهل الاختصاص في هذا الفن، وموضوع الكرامة موضوع كبير وله مداخل كثيرة ولكن حيث إن البحث ليس مخصصاً للاستطراد في هذا العلم الواسع نكتفي بذكر تعريف الكرامة وماقاله أهل العلم فيها وما ذاك إلا تقريباً لموضوع البحث الذي يتناول السور التي ذكرت في عنوانها هذه الأسماء الدالة على الكرامة.

المبحث الأول

سورة الكهف

الآيات (٩ - ٢٦)

وتشتمل على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : فضلها وأهميتها.

المطلب الثاني : أسماؤها.

المطلب الثالث : اسم السورة (دلالات وإشارات).

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا(٩) إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من أمرنا رشدا(١٠) فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا (١١) ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا (١٢) نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى (١٣) وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعوا من دونه إلها لقد قلنا إذاً شططا(١٤) هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه ألهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا (١٥) وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيىء لكم من أمركم مرفقا(١٦) وترى

التفسير (الجلالين):

(٩) (أم حسبت) أي ظننت (أن أصحاب الكهف) الغار في الجبل (والرقيم) اللوح المكتوب فيه أسماؤهم وأنسابهم و(كانوا) في قصتهم (من)جملة (آياتنا عجبا) خبر كان وما قبله حال، أي كانوا عجبا دون باقي الآيات أو أعجبها.

(١٠) اذكر (إذ أوى الفتية إلى الكهف) الذي أوى الفتية إليه، (هيء لنا) يسر لنا (من أمرنا رشدا) ما نلتمس من رضاك والهرب من الكفر بك، وكانوا فتية هربوا بدينهم، وكان ملكهم دعاهم لعبادة الأصنام.

(١١) (فضربنا على آذانهم) أي أنمناهم (في الكهف سنين عددا) معدودة.

(١٢) (ثم بعثناهم) أيقظناهم (لنعلم) علم مشاهدة (أي الحزبين) الفريقين المختلفين في مدة لبثهم (أحصى) أفعل بمعنى أضبط(لما لبثوا) للبثهم بما بعده (أمدا) غاية.

(١٣) (نحن نقص) نقرأ (عليك نبأهم بالحق) بالصدق (إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى).

(١٤) (وربطنا على قلوبهم) قويناها على قول الحق (إذ قاموا) بين يدي ملكهم وقد أمرهم بالسجود للأصنام (فقالوا ربنا رب السماوات والأرض لن ندعو من دونه) أي غيره (إلها لقد قلنا إذاً شططا) أي قولا ذا شطط أي إفراط في الكفر إن دعونا إلها غير الله فرضا.

(١٥) (هؤلاء) مبتدأ (قومنا) عطف بيان (اتخذوا من دونه آلهة لولا) هلا (يأتون عليهم) على عبادتهم (بسلطان بين) بحجة ظاهرة (فمن أظلم) أي لا أحد أظلم (ممن افترى على الله كذبا) بنسبة الشريك إليه تعالى.

(١٦) قال بعض الفتية لبعض: (وإذا اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيء لكم من أمركم مرفقا) بكسر الميم وفتح الفاء وبالعكس ما ترفقون به من غداء وعشاء.

الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه ذلك من آيات الله من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا(١٧) وتحسبهم أيقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا(١٨) وكذلك بعثناهم ليتسألوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم أحدا(١٩) إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذاً أبدا(٢٠) وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها إذ يتنازعون بينهم أمرهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا(٢١)

(١٧) (وترى الشمس إذا طلعت تزاور) بالتشديد والتخفيف تميل(عن كهفهم ذات الشمال) تتركهم وتتجوز عنهم فلا تصيبهم البتة (وهم في فجوة منه) متسع من الكهف ينالهم برد الريح ونسيمها (ذلك) المذكور (من آيات الله)دلائل قدرته (من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا).

(١٨) (وتحسبهم) لو رأيتهم (أيقاظا) أي منتبهين لأن أعينهم منفتحة، جمع يقظ بكسر القاف (وهم رقود) نيام جمع راقد (ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال) لئلا تأكل الأرض لحومهم (وكلبهم باسط ذراعيه) يديه (بالوصيد) بفناء الكهف وكانوا إذا انقلبوا انقلب هو مثلهم في النوم واليقظة (لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت) بالتشديد والتخفيف (منهم رعبا) بسكون العين وضمها، منعهم الله بالرعب من دخول أحد عليهم.

(١٩)(وكذلك)كمافعلنا بهم ما ذكرنا (بعثناهم) أيقظناهم (ليتساءلوا بينهم) عن حالهم ومدة لبثهم (قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم) لأنهم دخلوا الكهف عند طلوع الشمس وبعثوا عند غروبها فظنوا أنه غروب يوم الدخول ثم (قالوا) متوقفين في ذلك (ربكم أعلم بما لبثتم فابعثوا أحدكم بورقكم)بسكون الراء وكسرها بفضتكم(هذه إلى المدينة) يقال إنها المسماة الآن طرطوس بفتح الراء(لينظر أيها أزكى طعاما) أي: أيّ أطعمة المدينة أحل (فليأتكم برزق منه وليتلطف ولايشعرن بكم أحدا).

(٢٠) (إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم) يقتلوكم بالرجم (أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذاً أبداً) أي إن عدتم في ملتهم.

(٢١) (وكذلك) كما بعثناهم (أعثرنا) أطلعنا (عليهم) قومهم والمؤمنين (ليعلموا) أي قومهم (أن وعد الله) بالبعث (حق)بطريق أن القادر على إماتتهم المدة الطويلة وإبقائهم على حالهم بلا غذاء قادر على

سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل فلا تمار فيهم إلا مرآء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم أحدا(٢٢) ولا تقولن لشاىء إني فاعل ذلك غدا(٢٣) إلا أن يشاء الله واذكر ربك إذا نسيت وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشدا(٢٤) ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا(٢٥) قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات والأرض أبصر به وأسمع مالهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحدا(٢٦) ﴾).

إحياء الموتى (وأن الساعة لا ريب) لاشك (فيها إذ) معمول لأعثرنا (يتنازعون) أي المؤمنون والكفار (بينهم أمرهم) أمر الفتية في البناء حولهم (فقالوا) أي الكفار (ابنوا عليهم) أي حولهم (بنيانا) يسترهم. (ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم) الفتية وهم المؤمنون (لنتخذن عليهم) حولهم (مسجدا) يصلى فيه، وفعل ذلك على باب الكهف.

(٢٢) (سيقولون) أي المتنازعون في عدد الفتية في زمن النبيﷺ أي يقول بعضهم (ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون) أي بعضهم (خمسة سادسهم كلبهم) والقولان لنصارى نجران (رجما بالغيب) أي ظنا بالغيبة عنهم وهو راجع إلى القولين معا ونصبه على المفعول له أي لظنهم ذلك (ويقولون) أي المؤمنون (سبعة وثامنهم كلبهم) الجملة من المبتدأ وخبره صفة سبعة بزيادة الواو، وقيل تأكيد أو دالة على لصوق الصفة بالموصوف، ووصف الأولين بالرجم دون الثالث دليل على أنه مرضي وصحيح (قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل) قال ابن عباس أنا من القليل وذكرهم سبعة (فلا تمار) تجادل (فيهم إلا مراءً ظاهراً) مما أنزل عليك (ولا تستفت فيهم) تطلب الفتيا (منهم) من أهل الكتاب اليهود (أحدا) وسأله أهل مكة عن خبر أهل الكهف فقال أخبركم به غدا ولم يقل إن شاء الله فنزل:

(٢٣) (ولا تقولن لشيء) أي لأجل شيء (إني فاعل ذلك غدا) أي فيما يستقبل من الزمان.

(٢٤) (إلا أن يشاء الله واذكر ربك) أي مشيئته معلقا بها (إذا نسيت) ويكون ذكرها بعد النسيان كذكرها مع القول: قال الحسن وغيره: ما دام في المجلس (وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا) من خبر أهل الكهف في الدلالة على نبوتي (رشدا) هداية وقد فعل الله ذلك.

(٢٥) (ولبثوا في كهفهم ثلاث مئة) بالتنوين (سنين) عطف بيان لثلاثمائة وهذه السنون الثلاثمائة عند أهل الكهف شمسية وتزيد القمرية عليها عند العرب تسع سنين وقد ذكرت في قوله (وازدادوا تسعا) أي تسع سنين فثلاثمائة الشمسية: ثلاثمائة وتسع قمرية.

(٢٦) (قل الله أعلم بما لبثوا) ممن اختلفوا فيه وهو ما تقدم ذكره (له غيب السموات والأرض) أي علمه (أبصر به) أي بالله هي صيغة تعجب (وأسمع) به كذلك بمعنى ما أبصره وما أسمعه وهما على جهة المجاز والمراد أنه تعالى لا يغيب عن بصره وسمعه شيء (مالهم) لأهل السماوات والأرض (من دونه من ولي) ناصر (ولا يشرك في حكمه أحدا) لأنه غني عن الشريك.

المطلب الأول : فضلها وأهميتها .

سورة الكهف من السور المكية بالاتفاق[1]، وعدد آياتها مائة وخمس وقيل ست، وقيل عشر، وقيل إحدى عشر[2]، وهي الثامنة والستون في ترتيب نزول السور، ورد ذلك عن جابر بن زيد[3]، وترتيبها في المصاحف الثامنة عشر.

وسورة الكهف من السور التي ذكرت بعض الكرامات التي يكرم الله بها عبده المسلم والتي تنال بطاعة الله سبحانه وتعالى، فكان لهذه السورة فضائل كثيرة ولها أهمية كبيرة عند المسلمين وأهمية ذات خصوصية خاصة جداً عند علماء التفسير لما حوته هذه السورة من عجائب وغرائب تشد القارىء لها بتنوع قصصها وأغراضها ومقاصدها.

فضلها :

وأما فضل سورة الكهف فقد ورد عن رسول الله ﷺ فضائل لهذه السورة على وجه الخصوص، عن البراء بن عازب[4] قال: «كان رجل يقرأ سورة الكهف، وإلى جانبه حصانٌ مربوط بشطنين أي بحبلين، فتغشته سحابة،فجعلت تدنو وتدنو، وجعل فرسه ينفر، فلما أصبح أتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال: تلك السكينة تنزلت للقرآن»[5].

---

(١) الإتقان للسيوطي، (ج١/ ٨٤ - ٨٥) بصائر ذوي التمييز (ج١/ ٢٩٧).
(٢) الإتقان للسيوطي، (ج١/ ٩٠) بصائر ذوي التمييز (ج١/ ٢٩٧).
(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور (ج١٥/ ٢٤٢).
(٤) البراء بن عازب بن الحارث أبو عمارة الأنصاري الحارثي المدني، الفقيه الكبير، من أعيان الصحابة، ومن المكثرين من الحديث، شهد غزوات كثيرة مع رسول الله ﷺ، روي عنه أنه قال: غزوت مع رسول ﷺ، خمس عشرة غزوة، استصغر يوم بدر، توفي سنة ٧٢ هـ وقيل ٧١، عن بضع وثمانين سنة. سير أعلام النبلاء (ج٣/ ص: ١٩٤ - ١٩٥).
(٥) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب فضل الكهف.

وروى مسلم، وأبوداود عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال»(١)،

وفي رواية مسلم: «من حفظ عشر آيات من آخر الكهف عصم من فتنة الدجال»(٢).

وروى الإمام أحمد عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من قرأ أول سورة الكهف وآخرها، كانت له نوراً من قدمه إلى رأسه، ومن قرأها كلها كانت له نوراً مابين الأرض والسماء»(٣).

أما أهميتها:

فلسورة الكهف أهميتها الخاصة ولحمل عنوانها دلائل الكرامات لأهل الكهف ولما حوته هذه السورة من مقاصد عظيمة تدل على أهميتها التي وضحها العلماء لتكون مصدر مواعظ وتوجيهات للأمة الإسلامية في تزكية النفوس وحملها للتقوى الموصلة للولاية والكرامة، فجاء (مقصود السورة مجملاً: بيان نزول القرآن على سنن السداد، وتسلية النبي ﷺ من تأخر الكفار عن الإيمان، وبيان عجائب حديث الكهف، وأمر النبي ﷺ بالصبر على الفقراء، وتهديد الكفار بالعذاب والبلاء، ووعد المؤمنين بحسن الثواب، وتمثيل حال المؤمن والكافر بحال الأخوين الإسرائيلين، وتمثيل الدنيا بماء السماء ونبات الأرض، وبيان أن الباقي من الدنيا طاعة الله فقط)(٤).

---

(١) مسلم في صحيحه(ج١/ ٥٥/ ٨٠٩) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب فضائل سورة الكهف وآية الكرسي.

(٢) صحيح مسلم (ج١/ ٥٦ رقم ٨٠٩) مصدر سابق.

(٣) مسند الإمام أحمد (ج٤/ ص: ٤٣٩).

(٤) بصائر ذوي التمييز (ج١/ ص: ٢٩٨).

ويقول البقاعي:

فهذه التوجيهات المختلفة في سورة الكهف كان لها تأثير كبير في حياة الأمة لأن فيها توجيهات ربانية في اليقين، والتوكل، والعمل الصالح (وأدّل ما فيها على هذا المقصد قصة أهل الكهف لأن خبرهم أخفى ما فيها من القصص مع أن سبب فراقهم لقومهم هو الشرك، وكان أمرهم موجبا - بعد طول رقادهم - للتوحيد وإبطال الشرك)(١).

ويقول أيضاً (ونجد أن الله سبحانه وتعالى نظر إلى صدق هؤلاء الفتية في توحيدهم وطلبهم للهداية فاستجاب سبحانه وتعالى دعاءهم عند قوله تعالى: ﴿ربنا آتنا من لدنك﴾(٢)، أي من مستبطن الأمور عندك ومستقرها.

(رحمة): أي إكراماً تكرمنا به، كما يفعل الراحم بالمرحوم.

(وهيىء لنا): أي جميعاً لا تخيب منا أحد.

(من أمرنا رشدا): أي وجها ترشدنا فيه إلى الخلاص في الدارين، لاجرم أن صارت قصتهم على حسب ما أجابهم ربهم بديعة الشأن، فريدة في الزمان، يتحدث بها في سائر البلدان في كل حين وأوان(٣).

---

(١) نظم الدرر، للبقاعي (ج١٢/ ص: ١-٢).
(٢) آية [١٠] سورة الكهف.
(٣) نظم الدرر، للبقاعي (ج١٢/ ص: ١٨).

المطلب الثاني: أسماؤها.

سورة الكهف من السور التي سميت بالاسم الواحد والذي عين صراحة من رسول الله ﷺ.

كما روى مسلم وأبوداود عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ، قال: «**من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال**»(١)،

و(سميت سورة الكهف لاشتمالها على قصة أصحاب الكهف بتفصيلها)(٢).

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٥٥/ رقم ٨٠٩).

(٢) بصائر ذوي التمييز للفيروز أبادي (ج١/ ص: ٢٩٧).

المطلب الثالث : اسم السورة (دلالات وإشارات).

الملاحظ أن قصة أصحاب الكهف جاءت ضمن قصص أخرى تضمنتها السورة، إلا أنها لم تسم إلا بالكهف لأن ماحدث لأهل الكهف كان على سبيل الكرامة وليس معجزة لأنهم ليسوا بأنبياء.

والمتأمل في هذه السورة يجد أن لها إشارات ودلالات ذات معنى عميق، وسر من أسرار القرآن وعجائبه التي لا تنتهي، لأن الاسم الذي وضع عنواناً لها يخبر عن فتية كان لهم حال مع قومهم، لهذا أصبحت قصة أهل الكهف أشهر قصة في هذه السورة.

ومن هنا نرى أن الكرامة التي حصلت لهؤلاء الفتية الذين آمنوا بالله تعالى، فحفظهم المولى سبحانه وتعالى هذه السنين الطويلة التي رقدوها مما يدل على حفظه سبحانه لأوليائه، ومن جهة أخرى لقد وضعت هذه السورة ضمن السور التي حملت في عنوانها اسم الكرامات لأن قصة أهل الكهف أثبتت في (القرآن الكريم)، وهذه الكرامة وقعت حقاً وصدقاً، لأن الله سخر الكائنات في خدمة أوليائه فقد سخر لهم الكهف وسخر لهم الكلب وسخر لهم الشمس، وكل ذلك بأمره سبحانه وتعالى، ومن هنا نعرف قيمة الطاعة والعبادة وأهمية الولاية ونتائجها على ملتزم الطاعة، وكل ما حدث لهم آية دالة على تكريمهم بسبب طاعتهم.

ومن كرامتهم أيضاً، أن الله جعل بركتهم تشمل كلبهم فيصيبه ما أصابهم، لأنه جلس بباب الغار حارساً لهم، فأصابه النوم الذي أصابهم، وهذا يدل على بركة صحبة الأخيار، ولذلك صار للكلب ذكر وخبر وشأن مثلهم وسُجِّلَ ذكره في كتاب الله الخالد: ﴿وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد﴾[1].

---

(١) آية [١٨] سورة الكهف.

وهذه السورة الكريمة مع مافيها من دلالات الكرامة وإشارات للولاية إلا أننا نجد كذلك أنها سيقت للدلالة على البعث وقيام الساعة وأن الله يبعث من في القبور بأجسادهم وأرواحهم. فبعث الله أهل الكهف حجة باهرة ودلالة ساطعة وآية ظاهرة على ذلك. كما قال تعالى: ﴿**وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لاريب فيها**﴾[1]،

أي كما أرقدناهم أيقظناهم بهيآتهم وأطلعنا عليهم أهل ذلك الزمان ليعلموا أن أمر القيامة والبعث والنشور حق لاشك فيه، بدليل ظهور أهل الكهف بعد اختفائهم مدة من الزمن قدرها ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً. وقد ذكر الله في مبدأ قصتهم أمراً عجيباً لأن ما حدث فيها أمور خارقة للعادة. وأصحاب الكهف ليسوا بأنبياء، فكان ما حدث لهم من خوارق العادات هو من باب الكرامات للأولياء. سميت السورة باسمهم لتدخل في جملة مسميات السور التي سميت بمسمى الكرامات للأولياء. قال تعالى: ﴿**أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا**﴾[2]. هذا تمهيد قصة أصحاب الكهف.

ونلاحظ هنا أن أصحاب الكهف كانوا موضع عناية ربانية إذ حفظهم الله تعالى مما يراد بهم وفي ذلك آية بينة على استقامتهم وصدقهم، إذ حفظ أجسادهم من البلى على تطاول السنين كما حفظ دينهم من الفتنة، وجعل لهم من ضيقهم مخرجاً ومن همهم فرجاً.

فتسمية السورة التي حوت أغراضاً متعددة باسم هذه الحادثة الفريدة فيه رفع لمنار الكرامة الربانية، كما فيه رفع لشأن المكرمين من عباده الأطهار، وفيه اضمحلال لذكر المعاندين لهم من المستكبرين الفجار، فهؤلاء أهل الكهف يذكرهم الناس كلما

(١) آية [٢١] سورة الكهف.
(٢) آية [٩] سورة الكهف.

تلوا آيات الله تعالى في كتابه الخالد على مر الزمان .

فأين ذكر من عاندهم وأخرجهم من الطغاة الفجار ؟ ذهب أولئك إلى دار البوار، طُوي ذكرهم، وذهب أثرهم وبقي إثمهم ففيهم عبرة للمستكبرين ، وسلوى وطمأنينة للمؤمنين، وهذا واحد من أسمى مدلولات الكرامات .

فالكرامة فاصلة بين الحق والباطل، فالمكرمون أهل حق وهدى، والمهانون أهل باطل وخذلان ، وهذا معنى شريف وسام جدير بأن يكون اسماً لسورة عظيمة من سور القرآن العظيم .

المبحث الثاني

سورة مريم

الآيات (١٦ - ٣٠)

وتشتمل على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : فضلها وأهميتها.

المطلب الثاني : أسماؤها.

المطلب الثالث : اسم السورة (دلالات وإشارات).

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا(١٦) فاتخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً(١٧) قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا(١٨) قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً(١٩) قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغياً(٢٠) قال كذلك قال ربك هو عليَّ هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضيا(٢١) فحملته فانتبذت به مكاناً قصياً(٢٢) فأجآها المخاض إلى جذع النخلة قالت ياليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً(٢٣) فناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سرياً (٢٤) وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً(٢٥) فكلي واشربي وقري عينا فإما ترين من

التفسير* :

(١٦) (واذكر في الكتاب) القرآن (مريم) أي : خبرها (إذ) حين (انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً) أي : اعتزلت في مكان نحو الشرق من الدار .

(١٧) (فاتخذت من دونهم حجاباً) أرسلت ستراً تستتر به لتفلي رأسها أو ثيابها أو تغتسل من حيضها (فأرسلنا إليها روحنا) جبريل (فتمثل لها) بعد لبسها ثيابها (بشراً سوياً) تام الخلق .

(١٨) (قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً) فتنتهي عني بتعوذي .

(١٩) (قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً) بالنبوة .

(٢٠) (قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر) بتزوج (ولم أك بغياً) زانية .

(٢١) (قال) الأمر (كذلك) من خلق غلام منك من غير أب (قال ربك هو عليَّ هين) أي : بأن ينفخ بأمري جبريل فيك فتحملي به ولكون ماذكر في معنى العلة عطف عليه (ولنجعله آية للناس) على قدرتنا (أمراً مقضيا) به في علمي فنفخ جبريل في جيب درعها فأحست بالحمل في بطنها مصوراً .

(٢٢) (فحملته فانتبذت) تنحت (به مكاناً قصياً) بعيداً من أهلها .

(٢٣) (فأجآها) جاء بها (المخاض) وجع الولادة (إلى جذع النخلة) لتعتمد عليه فولدت والحمل والتصوير والولادة في ساعة (قالت يا) للتنبيه (ليتني مت قبل هذا) الأمر (وكنت نسياً منسياً) شيئاً متروكاً لا يعرف ولا يذكر .

(٢٤) (فناداها من تحتها) أي : جبريل وكان أسفل منها (ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سرياً) نهر ماء كان قد انقطع .

(٢٥) (وهزي إليك بجذع النخلة) كانت يابسة والباء زائدة (تساقط) أصله بتاءين قلبت الثانية سيناً وأدغمت في السين، وفي قراءة تركها (عليك رطباً) تمييز (جنياً) صفته .

البشر أحدا فقولي إني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسيا(٢٦) فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً(٢٧) يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوءٍ وما كانت أمك بغياً(٢٨) فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً(٢٩) قال إني عبد الله أتاني الكتاب وجعلني نبياً(٣٠)﴾.

---

(٢٦) (فكلي) من الرطب (واشربي) من الري (وقري عيناً) بالولد، تمييز محول من الفاعل أي: لتقر عينك به أي: تسكن فلا تطمح إلى غيره (فإما) فيه إدغام نون إن الشرطية في ما الزائدة (ترين) حذفت لام الفعل وعينه وألقيت حركتها على الراء وكسرت ياء الضمير لالتقاء الساكنين (من البشر أحدا) فيسألك عن ولدك (فقولي إني نذرت للرحمن صوماً) أي إمساكاً عن الكلام في شأنه وغيره من الأناسي بدليل (فلن أكلم اليوم إنسياً) أي: بعد ذلك.

(٢٧) (فأتت به قومها تحمله) حال فرأوه (قالوا يا مريم لقد جئت شيئاً فريا) عظيماً حيث أتيت بولد من غير أب.

(٢٨) (يا أخت هارون) هو رجل صالح أي: يا شبيهته في العفة (ما كان أبوك امرأ سوء) أي: زانياً (وما كانت أمك بغياً) أي: زانية فمن أين لك هذا الولد؟.

(٢٩) (فأشارت) لهم (إليه) أن كلموه (قالوا كيف نكلم من كان) أي وجد (في المهد صبياً).

(٣٠) (قال إني عبد الله آتاني الكتاب) أي: الإنجيل (وجعلني نبياً).

المطلب الأول : فضلها وأهميتها.

سورة مريم من السور المكية[1]، وعدد آياتها تسعة وتسعون آية وقيل ثمانية وتسعون آية عند المكيين والمدنيين، وثمانية وستون عند الكوفيين والشاميين[2].

فضلها:

لم نقف على نص خاص بها وإنما هي من عموم القرآن الكريم الذي لا تخلو آية منه ولا كلمة من فضل ومنّة ونور ورحمة، ومن هداية وشفاء، حتى قيل: خذ من القرآن ما شئت لما شئت.

أما أهميتها:

فلقد حظيت هذه السورة الكريمة المسماة (بسورة مريم) بمميزات ذات طابع مختلف عن السور الأخرى حيث إن هذه السورة فاض فيها ذكر (المرأة) وهي (مريم) التي أخذت جواً مليئاً بالكرامات لصالحها، وهذه الحادثة غير مسبوقة في كتاب الله تعالى، حيث أنه من المعلوم أن القرآن قد تحدث عن قصص الأنبياء وكلهم ذكور، أما أن يأتي الحديث عن امرأة وليست بنبية فيحصل لها كل هذا التكريم، فهذا أمر ملفت للنظر ويدعو إلى التفكير في عظمة هذا الأمر، الذي تحدث عنه العلماء في أهمية مقاصد هذه السورة الكريمة التي تبين أن (مقصد السورة ومعظم المراد منها على سبيل الإجمال: وعد الله العباد بالكفاية والهداية، وإجابة دعاء زكريا، والمِنَّة عليه بولده

---

(١) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (ج١/ ٩٠).
مناهل العرفان في علوم القرآن (ج١/ ١٩٤).
بصائر ذوي التمييز للفيروز ابادي (ج١/ ٣٠٥).
نظم الدرر في تناسق الآيات والسور للبقاعي (ج١٢/ ١٥٦).
(٢) نفس المصادر السابقة دون مناهل العرفان.

(يحيى) وإعطائه علم الكتاب، وذكر عجائب ولادة عيسى وأمّه، والخبر عن أحوال القيامة)[1]، التي هي مآل العباد فوجب عليهم إذا عرفوا ذلك أن يأخذوا زمام الطاعة في جميع نواحي الحياة ليفوزوا كما فاز من ذكروا في هذه السورة التي وضحت أن (مقصودها بيان اتصافه سبحانه بشمول الرحمة بإفاضة النعم على جميع خلقه، المستلزم للدلالة على اتصافه بجميع صفات الكمال، المستلزم لشمول القدرة على الابداع المستغرب، المستلزم لتمام القدرة الموجب للقدرة على البعث والتنزه عن الولد لأنه لا يكون إلا لمحتاج ولا يكون إلا مثل الوالد، ولاسَمِيَّ له سبحانه فضلا عن مثيل، وعلى هذا دلت تسميتها بمريم، لأن قصتها أدل مافيها على تمام القدرة وشمول العلم، لأن أغرب ما في المخلوقات وأجمعه خلقاً الآدمي، وأعجب أقسام توليده الأربعة بعد كونه آدمياً، ما كان من أنثى بلا توسط ذكر، لأن ذلك أضعف الأقسام، وأغرب ذلك أن يتولد منها على ضعفها أقوى النوع وهو الذكر، ولا سيما إن أوتي قوة الكلام والعلم والكتاب في حال الطفولة، وأن يخبر بسلامته الكاملة فيكون الأمر كذلك، ولم يقدر أحد - مع كثرة الأعداء - على أن يمسه بشيء من أذى، هذا إلى ما جمعته من إخراج الرطب في غير حينه من يابس الحطب، ومن إنباع الماء في غير موضعه)[2].

---

(١) بصائر ذوي التمييز (ج١/ ٣٠٦).

(٢) نظم الدرر للبقاعي (ج١٢/ ص: ١٥٦ - ١٥٧).

المطلب الثاني : أسماؤها.

إن سورة مريم من السور التي نالت شرف التسمية من رسول الله ﷺ بأنه سماها (مريم) وذكر لها اسماً آخر وهو (كهيعص وسورة مريم)، ولهذه السورة اسمان (سورة كهيعص) لافتتاحها بها، وسورة (مريم) لاشتمالها على قصتها مفصلة)[1]، و(سميت هذه السورة في المصاحف وكتب التفسير وأكثر كتب السنة سورة (مريم)، ورويت هذه التسمية عن النبي ﷺ في حديث رواه الطبراني[2]، عن أبي بكر عبد الله ابن أبي مريم الغساني عن أبيه عن جده أبي مريم قال: أتيت النبي ﷺ، فقلت يا رسول الله إنه ولدت لي الليلة جارية فقال: «والليلة أنزلت عليّ سورة مريم» فسميتها مريم)[3].

---

(١) بصائر ذوي التمييز (ج١/ ٣٠٥).

(٢) نظم الدرر للبقاعي (ج١٢/ ص: ١٥٦ - ١٥٧).

(٣) المعجم الكبير للطبراني (ج٢٢/ ص: ٣٣٢) رقم (٨٣٤) ط، دار احياء التراث.

المطلب الثالث : اسم السورة (دلالات وإشارات).

لسورة (مريم) والقصة التي تناولتها، علاقة مميزة لأن ما حدث لـ (مريم) عليها السلام حسب ماورد في كتاب الله تعالى له دلالات على أن هذه الحادثة عظيمة وفيها إشارات إلى أهمية ربط الاسم بالمسمى، لأن هذه التسمية ليس من قبيل الصدفة إنما لها دلالات عظيمة، لأن هذه السورة حملت أسماء الأنبياء وهم مقدمون على الصالحين. ولكن لماذا قُدمِ اسم مريم في هذه السورة وسميت بها دون الأنبياء ؟ لعل ذلك يرجع إلى أن مريم عليها السلام كان لها وضع متميز جعله - أي الاسم - في المقدمة ، لأنه يحمل للبشر معجزة لم يألفوها، وهذه المعجزة كرامة لسيدة سوف تكون محط الأنظار وتناقل الأخبار.

وإذا تأملنا في الآيات القرآنية التي تحدثت عن مريم عليها السلام كانت دعوة غير مباشرة لزكريا عليه السلام لدعاء ربه عز وجل، وذلك عندما رأى كرامات هذه المرأة الصالحة الصديقة، فقدكان زكريا عليه السلام ينظر إليها بالتعجب لأنه يرى أمامه شيئاً من الرزق، في غير الموسم، الذي لايوجد عند قومه فهناك دعا زكريا ربه.

وكل هذه الكرامات مقدمة لكرامة عظيمة، وتمهيد لحدث جلل وحتى لايتفاجأ القوم مما سوف يحدث عندما تلد هذه الصديقة مولوداً من غير أب، والإشارة هنا إلى قدرة الله تعالى المطلقة في خرق الأسباب، لهذا جاء بالحوادث ليعلم عباده بأنه هو القادر على خلق ما يشاء، وفعل ما يريد، لأنه هو الله يخلق بالسبب القوي والسبب الضعيف وبلا سبب، وأمام هذه القدرة تستوي الأسباب وعدمها لأنه سبحانه هو ربّ الأسباب.

فإذا كانت العادة أن يولد الطفل بسبب قوي من أب وأم شابين، وسبب

ضعيف مثل سيدنا يحيى من أبوين شيخين كبيرين، فإنه تعالى خرق الأسباب بولادة مريم لعيسى من غير أب.

وهذه دلالة على قدرة الله تعالى المطلقة في خلقه، ولذلك حملت هذه السورة اسم هذه الشخصية لتكون الإشارة الفاعلة في حس القارىء لهذه السورة على عظمة الخالق ودلائل وجوده، ويتضح ذلك عند قوله تعالى: ﴿ كذلك الله يخلق ما يشاء ﴾(١)

أي: يخلق الله مايشاء أن يخلقه من الخلق العجيب - الخارق للعادة - خلقاً مثل ذلك الخلق العجيب في صنعه وإبداعه الذي هو خلق الولد . . مع الحالة التي يستحيل معها الخلق بحسب العادة. إنها لا تستطيع أن تتصور حدوث حمل من غير مس بشر ومن غير تلقيح فهي تستفهم: أنى يكون لي ولد ! وكيف يحدث ذلك دون تلقيح ؟

لقد كانت مريم هي الإنسان الذي تجري فيه الإرادة الإلهية على غير عادة البشر فكان الأمر لها عجيبا وعلى عقلها غريبا، ولكن إرادة الله فوق كل شيء تخرق العادات، وتحقق المعجزات، ويكون على يديها الكرامات).

وتدخل سورة مريم ضمن مسميات السور التي حظيت بالكرامات لمسمياتها، فقصة مريم في السورة التي حملت مسماها، بدأت بالتمهيد لما حدث لها من كرامات بذكر الكرامة التي حدثت لخالتها العاقر التي لم تلد، وذلك ببركة دعاء زوجها نبي الله زكريا عندما قال: ﴿ فهب لي من لدنك وليا. يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضياً ﴾(٢)،

---

(١) آية [٤٧] سورة آل عمران.

(٢) آية [٥، ٦] سورة مريم.

فاستجاب الله دعاءهُ وأصلح له زوجه، وجعلها صالحة للحمل والولادة، ووهبه يحيى مؤهلاً بمؤهلات النبوة والرسالة. وإذا كانت الكرامة التي حدثت لخالتها في حملها، وهي عاقر، فإن الكرامة حدثت لمريم في حملها بدون زوج ولا مسيس بشر، وإنما كانت على هيئة آدم، بالكلمة، قال الله تعالى: ﴿**إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون**﴾(١).

ولهذا نجد أن مريم هُيئت لها الأسباب لحصولها على كراماتها بالسلوك الإيماني الذي جعلها تعتزل الناس للتخلي للعبادة لرب العالمين، وعبر القرآن عن هذه الحالة بالمدح والثناء على مريم فقال تعالى: ﴿**واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا**﴾(٢).

وأصل النبذ: معناه الطرح للشيء والقاؤه، فكأنها ألقت بنفسها إلى جانبٍ، معتزلة الناس، واتجهت إلى مكان شرقي في بيتها، أو شرقي بيت المقدس، متخذة ستاراً يحجبها عن الناس لتخلو لعبادة رب العالمين، بعيداً عن مظاهر الرياء والسمعة، فصارت أهلا للكرامة من رب الناس، الذي يكرم من عباده من كان تقياً. فأرسل إليها أمين وحيه يبشرها بولد على غير المعهود في النسل، وأنه سيأتي منها وهي عذراء من غير مسيس ذكر، كما خلق آدم من غير أم ولا أب، بل على طريق الكلمة، قال تعالى: ﴿**إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون**﴾(٣)،

كما قضى وقدر أن يكون لها ولد ذائع الصيت، يسري ذكره في الوجود

---

(١) آية [٥٩] سورة آل عمران.
(٢) آية [١٦] سورة مريم.
(٣) آية [٥٩] سورة آل عمران.

ويكلمها عند ولادته مادحا نفسه بقوله: ﴿ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا﴾(١)

أي إنسانا رفيع القدر عالي الشأن، ويأمرها بأن تهز جذع النخلة وهي نفساء لتسقط عليها رطبا جنيا، ثم كرامة الرد والدفاع عن أمه وهو في المهد مفتخراً بما حباه الله من صفات المدح والثناء عليه، قائلاً: ﴿إني عبد الله أتاني الكتاب وجعلني نبيا. وجعلني مباركا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا. وبرا بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقيا. والسلام عليّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا﴾(٢).

---

(١) آية [٢٤] سورة مريم.

(٢) آية [٣٠, ٣١] سورة مريم.

الفصل الثالث

(السور الواردة تحت معنى الاستعداد والانتباه للميعاد)

ويشتمل على تمهيد وثلاثة مباحث :

المبحث الأول : سورة الدخان.

المبحث الثاني : سورة التكوير.

المبحث الثالث : سورة الانفطار.

تمهيد :

إن الله تعالى شأنه جعل لنفسه البقاء والسرمدية، ووصم غيره بأسباب النقص والفناء والاندثار، فجعل الدنيا متاعاً إلى حين، وجعل الآخرة هي الحيوان، أي الحياة الحقة الدائمة التي لا يعتريها الفناء، وضرب لنا الأمثال التي نشهدها على هذا التأقيت والمرحلية، فالإنسان يولد صغيراً ثم يكون فتياً في عنفوان الشباب ثم يدركه الضعف ثم الرحيل، كذا النبات يبدو ضعيفاً واهناً ثم يخضرُّ ويهتز ثم يصفر ثم يكون هشيماً تذروه الرياح، وهكذا تدور أمام أعيننا عجلة الحياة صعوداً وهبوطاً

ألا إنما الدنيا نضارة أيكة * إذا اخضر منها جانب جَفَّ جانب**

والكون في جملته ليس بعيداً عن هذا النظام الثابت، فللحياة الدنيا أمد تنتهي إليه وللأرض والسماء والكواكب نهاية، وللنهاية بدايات وارهاصات وعلامات جعلها الله مؤشرات للفناء المؤهل للبقاء وهو ليس بفناء محضٍ، إنما هو تحول من حال إلى حال، ومن كرم الله تعالى إمهاله وإعذاره وأنه لم يجعل الخاتمة بغتة لبني الإنسان، بل تأتي قبلها المقدمات حتى يأخذها الإنسان على أهبته لمعاده، متزوداً من صلاح العمل، فإذا تغير نظام الكون وخرج عن أسبابه وانفرط عقده فهي بداية هذه النهاية، وقد جعل الله تعالى في قرآنه المبين سوراً تبين هذه النهاية إمعاناً في الإعذار والإنذار، فالدخان علامة كبرى يراه كل مبصر في السماء، توقظ كل نائم وسادر في غفوته ولعبه في دنياه، وفساد نظام الشمس وتكورها آية أكثر بياناً لمن لم توقظه بقية الآيات، وانفطار السماء الشديدة البناء آية أخرى أكثر بياناً، وهكذا ترى الآيات البينات حتي تبلغ مداها فلا يبقى غافل إلاَّ وانتبه لما يدور حوله أو هو مقبل عليه ومساق إليه، فكم في القرآن من معاني الإيقاظ والتنبيه لهذا الإنسان الناسي

والغافل، وصدق القائل :-

وما سمي الإنسان إلاّ لنسيه

ولا القلب إلاّ أنــه يتقلّب

ولقد جعل الله تعالى من فضله في قرآنه الخاتم سوراً تنبه إلى هذا المصير، وجاءت أسماؤها خادمة لهذا الغرض الشريف ، فكان الدخان من هذه الأسماء ، وكذلك التكوير، والانفطار، وكلها معاني قوية وجميلة جديرة بأن تكون عنواناً، ويظهر سموها لكل متدبر وذاكر وتال لهذا القرآن الكريم، أو متدبر لأسماء سوره الكريمات.

المبحث الأول

سورة الدخان

الآيات (١٠ - ١٦)

وتشتمل على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : فضلها وأهميتها.

المطلب الثاني : أسماؤها.

المطلب الثالث : اسم السورة (دلالات وإشارات).

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين (١٠) يغشى الناس هذا عذاب أليم(١١) ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون(١٢) أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين (١٣) ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون (١٤) إنا كاشفوا العذاب قليلاً إنكم عائدون(١٥) يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون(١٦) ﴾ .

التفسير (تفسير الجلالين - سورة الدخان) :

(١٠) قال تعالى :(فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين) فأجدبت الأرض واشتد بهم الجوع إلى أن رأوا من شدته كهيئة الدخان بين السماء والأرض .

(١١) (يغشى الناس) فقالوا (هذاعذاب أليم) .

(١٢) (ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون) مصدقون نبيك .

(١٣) قال تعالى : (أنَّى لهم الذكرى) أي لا ينفعهم الإيمان عند نزول العذاب (وقد جاءهم رسول مبين) بيّن الرسالة

(١٤) (ثم تولوا عنه وقالوا معلم) أي يعلمه القرآن بشر (مجنون) .

(١٥) (إنا كاشفوا العذاب) أي الجوع عنكم زمناً (قليلاً) فكشف عنهم (إنكم عائدون) إلى كفركم فعادوا إليه .

(١٦) اذكر (يوم نبطش البطشة الكبرى) هو يوم بدر (إنا منتقمون) منهم والبطش الأخذ بقوة .

المطلب الأول: فضلها وأهميتها:

سورة الدخان من السور المكية(إجماعاً)[1]، وهي الرابعة والأربعون من سور القرآن الكريم- مكية - وعدد آياتها : تسع وخمسون عند الكوفيين، وسبع عند البصريين، وست عند المدنيين، والمكي والشامي[2].

وهي السورة الثالثة والستون في عدّ نزول السور في قول جابر بن زيد. نزلت بعد سورة الزخرف وقبل سورة الجاثية في مكانها هذا[3].

أما فضلها:

فلقد ذكر علماء التفسير[4]، أنه ورد نص فيه مقال كما رواه الترمذي بسند ضعيف : عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ : **«من قرأ حم التي يذكر فيها الدخان في ليلة الجمعة أصبح مغفوراً له»**[5][6].

أما أهميتها:

فلسورة الدخان أهمية كبيرة لأنها تحدثت عن شيء عندما يحدث يحرك معه القلوب خوفاً وجزعاً من هذا الحادث (الدخان) ولهذا نجد أن القرآن الكريم بين أن هذه السورة فيها موعظة تشد الانتباه وأن (مقصدها الإنذار من الهلكة لمن لم يقبل ما في الذكر الكريم الحكيم من الخير والبركة رحمة جعلها بين عامة خلقه مشتركة)[7]، لأن الخير يخص والشر يعم، وهنا دعت السورة في عنوانها (الدخان) إلى أن الدخان

---

(١) بصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي (ج١/ ص: ٤٢٤) + الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (ج١/ ص: ٧٣) واطبري (ج١٦/ ص: ١٢٥).

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (ج/ ١٨ ص: ١).

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور (ج٢٥/ ص: ٢٧٦).

(٤) ابن كثير، القرطبي، ابن عاشور، سليمان عمر صاحب الفتوحات الإلهية.

(٥) بصائر ذوي التمييز (ج١/ ص: ٤٢٥).

(٦) سنن الترمذي (ج٥/ ص: ١٦٣) رقم (٢٨١٩)، كتاب فضائل القرآن.

(٧) نظم الدرر للبقاعي (ج١٨/ ص: ١).

له تأثير وهو عقوبة للمنكرين، لأن الخطاب واضح الدلالة، علماً أن الله ناصر رسوله بجنود الملكوت كيف ماشاء ومتى شاء، لذلك (ضرب لهم مثلا بأم أمثالهم عصوا رُسل الله إليهم فحل بهم من العقاب ما من شأنه أن يكون عظة لهؤلاء، وإذا كان إنكار البعث واعتقاد استحالته من أكبر الأسباب التي أغرتهم على إهمال التدبر في مراد الله تعالى انتقل الكلام إلى إثباته والتعريف بما يعقبه من عقوبة المعاندين ومثوبة المؤمنين ترهيباً وترغيباً)(١).

وعلى ماتقدم تتضح أهمية هذه السورة التي عالجت في عنوانها قضية مهمة جداً وهي قضية الميعاد، فكان عنوانها دعوة للتفكر لأن كلمة (دخان) يشير إلى أن هناك حدث نتج عنه هذا الدخان، فكان عنوان السورة يشدّ الانتباه للاستعداد للميعاد، وهذه إحدى معجزات القرآن الكريم الذي يعالج كل ماتصبو إليه النفوس، وتحتاجه قلوب البشر ليعلموا أن الله خلقهم وأوجدهم ليوم لاريب فيه، ليجزي كلاً حسب ماقدم، فكانت سورة الدخان دعوة في عنوانها ومضمونها إلى الناس ليتقوا الله واليوم الآخر، ويستعدوا له بالطاعة والعمل الصالح حسب توفيق الله لهم.

المطلب الثاني: أسماؤها.

سورة الدخان من السور التي لم يُختلف كثيراً في اسمها، ولم تتعدد أسماؤها لأنها اشتهرت باسم الدخان الذي ذكر فيها صراحةً كما ذكره أهل العلم:

فقيل: إنها سميت سورة الدخان لقوله تعالى فيها: ﴿**يوم تأتي السماء بدخان مبين**﴾(٢)، بدليل أن النبي ﷺ قال فيها: «**من قرأ حم التيّ يذكر فيها الدخان في ليلة الجمعة أصبح مغفوراً له**»(٣)،

---

(١) التحرير والتنوير (ج٢٥/ ص: ٢٧٦).
(٢) آية (١٠ ـ ١٦) سورة الدخان.
(٣) بصائر ذوي التمييز (ج١/ ص: ٤٢٥).

و(على ذلك دل اسمها الدخان ، إذا تؤملت آياتها ، وافصاح ما فيها وإشاراتها)[1].

و(وجه تسميتها بالدخان وقوع لفظ الدخان فيها والمراد به آية من آيات الله أيد الله بها رسوله ﷺ فلذلك سميت به اهتماماً بشأنه[2].

(١) نظم الدرر (ج١٨/ ص: ١).
(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور (ج٢٥/ ص: ٢٧٥).

المطلب الثالث : اسم السورة (دلالات وإشارات) .

إن الاستعداد والانتباه للميعاد أمر قد أوضحه الله جلياً في كتابه وتحدثت عنه آيات كثيرة، ومع هذا الوضوح الذي لالبس فيه نجد أن بعض أسماء السور حملت إشارات إلى أهمية لفت النظر في أسمائها إلى مايشير على مدلول الحوادث التي تهز العقول والقلوب، وتلفت الأنظار إلى حوادث تنبه للميعاد، وتحضّ على الاستعداد له، ومن هذه السور التي حملت في اسمها معنى الميعاد وكيفية الاستعداد له هي (سورة الدخان).

ففي اسم هذه السورة أمر له أهمية عند كل سامع عن حدوث الدخان، أو عندما يرى الإنسان الدخان، يتوقف بطبيعته ليكشف عن سبب حدوث الدخان، فهذا الاستعداد الفطري والقسري أو الاضطراري أو اللاإرادي الذي يحدث عندما يسمع كلمة دخان، أو يشاهد الدخان، فمن هذا الإعجاز الرباني والقدرة الإلهية أتت هذه السورة بهذا الاسم، لأننا نعلم أن كثيراً من سور القرآن الكريم نزلت بأسباب معلومة أو غير معلومة، وهذه السورة (الدخان) كانت لها علاقة مباشرة بين الاسم والمضمون لأنها تحدثت عن نوع من أنواع العذاب ألا وهو الدخان:

و(الدخان: ما يتصاعد عند إيقاد الحطب، وهو تشبيه بليغ، أي يمثل الدخان، وقال أبوعبيد وابن قتيبة: الدخان في الآية هو: الغبار الذي يتصاعد من الأرض من جراء الجفاف، وأن الغبار يسميه العرب دُخَانا وهو الغبار الذي تثيره الرياح من الأرض الشديدة الجفاف).

وعن الأعرج: أنه الغبار الذي أثارته سنابك الخيل يوم فتح مكة، فقد حجبت الغبرة السماء، وإسناد الإتيان به إلى السماء مجاز عقلي لأن السماء مكانه حين

يتصاعد في جو السماء أو حين يلوح للأنظار منها.

والأصح أن هذا الدخان عني به ما أصاب المشركين من الجوع والقحط بمكة بعد هجرة النبي ﷺ إلى المدينة، وقد ذكر عبد الله بن مسعود في صحيح البخاري عن مسلم وأبي الضحى عن مسروق قال: دخلت على عبد الله بن مسعود فقال: إن قريشاً لما غلبوا على النبي ﷺ واستعصوا عليه قال: «**اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف**»،

فأخذتهم سنة أكلوا فيها العظام والميتة من الجهد حتى جعل أحدهم يرى مابينه وبين السماء كهيئة الدخان من الجوع، فاتي رسول الله ﷺ، فقيل له: استسق لمُضر أن يكشف عنهم العذاب، فدعا فكشف عنهم وقال الله له: إنْ كشفنا عنهم العذاب عادوا. فعادوا، فانتقم الله منهم يوم بدر فذلك قوله تعالى: ﴿**فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين**﴾[1]، إلى قوله تعالى: ﴿**يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون**﴾[2]، والبطشة الكبرى يوم بدر، وإن عبد الله قال: مضى خمس: الدخان، والروح، والقمر، والبطشة، واللِّزام[3].

وعلى هذا القول يتضح أن سورة الدخان من السور التي جاءت بأخبار صادقة وقعت، ونقطف منها دلالات عظيمةً على معنى الميعاد، وإشارات بليغةً في كيفية الاستعداد والانتباه.

وإذا ربطنا مضمون السورة باسمها وجدنا دلالاتها وإشاراتها واضحةً في عظمة هذا القرآن الكريم وفي عظمة تناسق آياته وأسمائه.

---

(١) آية [١٠] سورة الدخان.

(٢) آية [١٦] سورة الدخان.

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور (ج٢٦/ ص: ٢٨٦ - ٢٨٧).

المبحث الثاني

سورة التكوير

الآيات (١ - ٢٩)

وتشتمل على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : فضلها وأهميتها.

المطلب الثاني : أسماؤها.

المطلب الثالث : اسم السورة (دلالات وإشارات).

: ﴿إذا الشمس كورت(١) وإذا النجوم انكدرت(٢) وإذا الجبال سيرت(٣) وإذا العشار عطلت(٤) وإذا الوحوش حشرت(٥) وإذا البحار سجرت(٦) وإذا النفوس زوجت (٧) وإذا المؤودة سئلت(٨) بأي ذنب قتلت (٩) وإذا الصحف نشرت (١٠) وإذا السماء كشطت (١١) وإذا الجحيم سعرت (١٢) وإذا الجنة ازلفت(١٣) علمت نفس ما أحضرت (١٤) فلا أقسم بالخنس (١٥) الجوار

التفسير (الجلالين):

(١) (إذا الشمس كورت) لُفَّت وذُهِبَ بنورها.

(٢) (وإذا النجوم انكدرت) انقضت وتساقطت على الأرض.

(٣) (وإذا الجبال سيرت) ذُهِبَ بها عن وجه الأرض فصارت هباءً منبثاً.

(٤) (وإذا العشار) النوق الحوامل (عطلت) تركت بلا راع أو بلا حلب لما دهاهم من الأمر، ولم يكن مال أعجب إليهم منها.

(٥) (وإذا الوحوش حشرت) جمعت بعد البعث ليقتص لبعض من بعض ثم تصير تراباً.

(٦) (وإذا البحار سجرت) بالتخفيف والتشديد: أوقدت فصارت ناراً.

(٧) (وإذا النفوس زوجت) قرنت بأجسادها.

(٨) (وإذا المؤودة) الجارية تدفن حية خوف العار والحاجة (سئلت) تبكيتاً لقتلها.

(٩) (بأي ذنب قتلت) وقرئت بكسر التاء حكاية لما تخاطب به وجوابها أن تقول: قتلت بلا ذنب.

(١٠) (وإذا الصحف) صحف الأعمال (نشرت) بالتخفيف والتشديد فتحت وبسطت.

(١١) (وإذا السماء كشطت) نزعت عن أماكنها كما ينزع الجلد عن الشاة.

(١٢) (وإذا الجحيم) النار (سعرت) بالتخفيف والتشديد أججت.

(١٣) (وإذا الجنة أزلفت) قربت لأهلها ليدخلوها وجواب إذا أول السورة وما عطف عليها.

(١٤) (علمت نفس) كل نفس وقت هذه المذكورات وهو يوم القيامة (ما أحضرت) من خير وشر.

(١٥) (فلا أقسم) لا زائدة (بالخنس).

الكنس(١٦) والّيل إذا عسعس(١٧) والصبح إذا تنفس(١٨) إنه لقول رسول كريم(١٩) ذى قوة عند ذى العرش مكين(٢٠) مطاع ثم امين(٢١) وما صاحبكم بمجنون(٢٢) ولقد رآه بالأفق المبين(٢٣) وماهو على الغيب بضنين(٢٤) وما هو بقول شيطان رجيم(٢٥) فأين تذهبون(٢٦) إن هو إلا ذكر للعالمين(٢٧) لمن شاء منكم أن يستقيم(٢٨) وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين(٢٩) ﴾.

---

(١٦) (الجوار الكنس) هي النجوم الخمسة: زحل والمشترى والمريخ والزهرة وعطارد، تخنس بضم النون، أي ترجع في مجراها وراءها، بينما النجم في آخر البرج إذ كرَّ راجعا إلى أوله، وتكنس بكسر النون: تدخل في كناسها، أي تغيب في المواضع التي تغيب فيها.

(١٧) (والليل إذا عسعس) أقبل بظلامه أو أدبر.

(١٨) (والصبح إذا تنفس) امتد حتى يصير نهاراً بيِّناً.

(١٩) (إنه) أي القرآن (لقول رسول كريم) على الله تعالى وهو جبريل أضيف إليه لنزوله به.

(٢٠) (ذي قوة) شديد القوى (عند ذي العرش) الله تعالى (مكين) ذي مكانة متعلق به عند.

(٢١) (مطاع ثم) تطيعه الملائكة في السماوات (أمين) على الوحي.

(٢٢) (وما صاحبكم) محمد ﷺ عطف على (إنه) إلى آخر المقسم عليه (بمجنون) كما زعمتم.

(٢٣) (ولقد رآه) رأى محمد ﷺ جبريل على صورته التي خلق عليها (بالأفق المبين) البيّن وهو الأعلى بناحية الشرق.

(٢٤) (وما هو) محمد ﷺ (على الغيب) ما غاب من الوحي وخبر السماء (بضنين) أي بمتهم، وفي قراءة، أي ببخل فينتقص شيئاً منه.

(٢٥) (وما هو) أي القرآن (بقول شيطان) مسترق السمع (رجيم) مرجوم.

(٢٦) (فأين تذهبون) فبأي طريق تسلكون في إنكار القرآن وإعراضكم عنه.

(٢٧) (إن) ما (هو إلا ذكر) عظة (للعالمين) الإنس والجن.

(٢٨) (لمن شاء منكم) بدل من العالمين بإعادة الجار (أن يستقيم) باتباع الحق.

(٢٩) (وما تشاءون) الاستقامة على الحق (إلا أن يشاء الله رب العالمين).

المطلب الأول : فضلها وأهميتها :

سورة التكوير من (السور المكية وآياتها تسع وعشرون في عدّ الجميع)[1]، وهي (معدودة السابعة في عداد نزول سور القرآن، نزلت بعد سورة الفاتحة وقبل سورة الأعلى)[2].

أما فضلها :

فقدروى الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ «**من سرَّه أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأى عين فليقرأ ﴿إذا الشمس كورت﴾**[3]، و**﴿إذا السماء انفطرت﴾**[4]، و**﴿إذا السماء انشقت﴾**[5]»[6].

أما أهميتها :

فسورة التكوير سورة لها إيقاع متميز لتلاوتها، ووقع خاص في السمع، وعبرة عظيمة في قلب كل سامع وتالٍ لها، فهذه السورة قليلة المباني عظيمة المعاني، تشد انتباه كل عاقل، لأن كلماتها تخاطب المشاهد فهي تحدثت عن الشمس وكواكبها، والأرض ومحاورها، والبحار وأطوارها، فهي سورة عظيمة، ومقصدها : (بيان أحوال القيامة وأهوالها، وذكر القَسَم بأن جبريل أمين على الوحي، مكين عند ربه، وأن محمداً ﷺ، لامتهم ولابخيل بقول الحق، وبيان حقيقة المشيئة والإرادة في قوله تعالى : **﴿إلا أن يشاء الله ربُّ العالمين﴾**)[7]،

---

(١) بصائر ذوي التمييز (ج١/ ص : ٥٣).
(٢) التحرير والتنوير (ج٣٠/ ص : ١٣٩).
(٣) آية [١] سورة التكوير.
(٤) آية [١] سورة الانفطار.
(٥) آية [١] سورة الإنشقاق.
(٦) الترمذي (ج٥/ ص : ٤٣٣) رقم (٣٣٣٣)، قال : الترمذي حديث حسن غريب.
(٧) بصائر ذوي التمييز (ج١/ ص : ٥٠٣).

ومن أهمية مقاصدها إشاراتها إلى أهمية الاستعداد للميعاد من خلال (التهديد الشديد بيوم الوعيد الذي هو محط الرحال، لكونه أعظم مقام لظهور الجلال، لمن كذب بأن هذا القرآن تذكرة لمن ذكره في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدي سفرة، والدلالة على حقيقة كونه كذلك بأن السفير به أمينٌ في الملأ الأعلى، مكينُ المكانة فيما هنالك، والموصول له إلينا مُنَزَّه عن التهمة، برىء من النقص لما يعلمونه من حاله قبل النبوة، وماكانوا يشهدون له به من الكمال في صحبته لهم المتطاولة، التي نبههم بالتعليق بها على مالا يشكون فيه من أمره، ولم يأتهم بعدها إلا بما هو شرف لهم، وتذكير بما في أنفسهم وفي الآفاق من الآيات وذلك كافٍ لهم في الحكم بأنه صدق، والعلم اليقيني بأنه حق)(١).

وهذا الحق الجلي زاده الله عظمة عندما جعل في سورة التكوير تنويه على أن الكفار الذين كذبوا بما فيه سوف يكون لهم مصير مختلف، لهذا نرى أن أول سورة التكوير تحدثت عن عظمة ماسوف يحصل من اضطراب الكون، ثم تحدثت عن حال البشر، (وعلى إثبات البعث وابتُدأ بوصف الأهوال التي تقدمه وانتقل إلى وصف أهوال تقع عقبه، وعلى التنويه بشأن القرآن الذي كذبوا به لأنه أوعدهم بالبعث، زيادة لتحقيق وقوع البعث إذ رموا النبيﷺ بالجنون، والقرآن بأنه يأتيه به الشيطان)(٢).

وبهذا يتضح لنا أهمية هذه السورة وأهمية الاسم الذي وضعت له هذه الآيات التي تحدثت عن التكوير فكان العنوان للسورة مستوعياً للمعاني التي فيها ودالاً عليها عنواناً ومضموناً، وأن ماتقدم من قول العلم يدل على أن هذا القرآن كلما اكتشفت

(١) نظم الدرر (ج٢١/ ص: ٢٧٤).
(٢) التحرير والتنوير (ج٣٠/ ص: ١٤٠).

فيه حقيقة كلما بقيت مكنوناته لا تعد ولا تحصى ولا تنفد على مر الزمن فهو كلام الله المعجز.

المطلب الثاني: أسماؤها.

سورة التكوير من السور التي لم تتعدد لها الأسماء، فأخذت الاسم الذي افتتحت به، فتسمى: (سورة كورت، وسورة التكوير، لمفتتحها)[1].

(واسمها التكوير، أدل مافيها على ذلك بتأمل الظرف وجوابه، ومافيه من بديع القول وصوابه)[2].

(أكثر التفاسير يسمونها «سورة التكوير»، وكذلك تسميتها في المصاحف وهو اختصار لمدلول «كورت»)[3].

---

(١) بصائر ذوي التمييز (ج١/ ص: ٥٠٣).
(٢) نظم الدرر (ج٢١/ ص: ٢٧٤).
(٣) التحرير والتنوير (ج٣٠/ ص: ١٣٩).

المطلب الثالث : اسم السورة (دلالات وإشارات) .

التكوير عنوان لسورة عظيمة تستبين وتتضح عظمتها من خلال علاقة اسمها بمضمونها، فهذا(التكوير) كان دلالات عظيمة في آياتها العظيمة كذلك، ودلالاتها في أسرار آياتها التي تناولت الكواكب السيارة والجبال الرواسي والحيوانات غير العاقلة، والبحار مخرج الخيرات، والنفوس المدعوة للتأمل في هذه المخلوقات، وتبرز إشاراتها إلى هذه النفوس لتكون على حذر وتتنبه لدعوة هذه السورة ومافيها من إشارات ولطائف توجه العباد إلى الاستعداد للميعاد، وأن الجزاء من جنس العمل، وأن من أعظم دلالاتها وإشاراتها في آخر آية منها في قوله تعالى : ﴿ **وما تشاءون إلا أن يشاء الله ربُ العالمين** ﴾ ،

ففي هذه الآية توضيح أن كل ماسمعتم وما شاهدتم مرتبط بالمشيئة .

ومن هنا يكتمل لنا رسم خارطة الحياة التي نحن فيها، فمساحة عَقْل الإنسان ماهي إلا خارطة تُملأ بالمشاهدة، فإذا عَقَلَ الإنسان ماحوله، وضحت له صورة الحياة، فنجد أن سورة (التكوير) قد تميزت في قوة اسمها مع مضمون آياتها، فيتضح لنا مدى علاقة هذه السورة باسمها، وعلى عظمة مقاصدها الكثيرة والمتنوعة التي يستخرج منها الدلالات الإشارية الداعية إلى التفكير في ربط كل سورة باسمها، مما يدل على عظمة القرآن الذي استمد عظمته من عظمة قائله سبحانه وتعالى، والمنعكس على عظمة الأمين الذي أوصل هذا القرآن إلى أفضل مبلغ لرسالة ربه عز وجل محمد ﷺ .

وإذا نظرنا إلى مدلولات هذه السورة(التكوير) فإننا أمام سورة جعلت من آياتها خطوطاً ذات إشارات متغيرة الاتجاهات، فكل آية تشير إلى أحداث معينة ذات طابع متميز، ولكن في قالب واحد جميل لاتختلط فيه الأفكار، ولاتتضارب فيه

المعلومات لأنه كلام رب العالمين، فإشارة التكوير لها دلالات مؤثرة على بقية الكواكب ومافيها، لأن الأرض كوكب فهو يتأثر بكل تأثير يحصل لكوكب الشمس، فكانت دلالات التكوير واضحة على حدوث الاضطراب في الكون، عندما تتكور الشمس ، ومن هنا كانت للسورة علاقة متينة ومؤثرة في اسمها الذي أخذ من أحداثها التي تحصل من بعد انهيار الكوكب الأم، الذي ببقائه تبقى الكواكب وبزواله يتغير نظام الكون، وبهذا يتضح لنا أهمية هذه السورة وعلاقتها باسمها ودلالتها الإشارية العظيمة.

المبحث الثالث

سورة الانفطار

الآيات (١ - ١٩)

وتشتمل على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : فضلها وأهميتها.

المطلب الثاني : أسماؤها.

المطلب الثالث : اسم السورة (دلالات وإشارات).

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إذا السماء انفطرت(١) وإذا الكواكب انتثرت(٢) وإذا البحار فجرت(٣) وإذا القبور بعثرت(٤) علمت نفس ما قدمت وأخرت(٥) ياأيها الإنسان ما غرك بربك الكريم(٦) الذي خلقك فسواك فعدلك(٧) في أي صورة ما شاء ركبك(٨) كلا بل تكذبون بالدين(٩) وإن عليكم لحافظين(١٠) كراماً كاتبين(١١) يعلمون ما تفعلون(١٢) إن الأبرار لفي نعيم(١٣) وإن الفجار لفي جحيم(١٤) يصلونها يوم الدين(١٥) وماهم عنها بغآئبين(١٦) وما أدراك ما يوم الدين(١٧) ثم ما أدراك ما يوم الدين(١٨) يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله(١٩) ﴾ آية [١ - ١٩]

تفسير الجلالين :

(١) (إذا السماء انفطرت) انشقت .

(٢) (وإذا الكواكب انتثرت) انقضت وتساقطت .

(٣) (وإذا البحار فجرت) فتح بعضها في بعض فصارت بحراً واحداً واختلط العذب بالملح .

(٤) (وإذا القبور بعثرت) قلب ترابها وبعث موتاها ، وجواب إذا وما عطف عليها .

(٥) (علمت نفس) أي كل نفس وقت هذه المذكورات وهو يوم القيامة (ماقدمت) من الأعمال (و) ما (أخرت) منها فلم تعمله .

(٦) (يا أيها الإنسان) الكافر (ما غرك بربك الكريم) حتى عصيته .

(٧) (الذي خلقك) بعد أن لم تكن (فسواك) جعلك مستوى الخلقة ، سالم الأعضاء (فعدلك) بالتخفيف والتشديد : جعلك معتدل الخلق متناسب الأعضاء ، ليست يد أو رجل أطول من الأخرى .

(٨) (في أي صورة ما) صلة (شاء ركبك) .

(٩) (كلا) ردع عن الاغترار بكرم الله تعالى (بل تكذبون) يا كفار مكة (بالدين) بالجزاء على الأعمال .

(١٠) (وإن عليكم) (لحافظين) من الملائكة لأعمالكم .

(١١) (كراماً) على الله (كاتبين) لها .

(١٢) (يعلمون ما تفعلون) جميعه .

(١٣) (إن الأبرار) المؤمنين الصادقين في إيمانهم (لفي نعيم) جنة .

(١٤) (وإن الفجار) الكفار (لفي جحيم) نارمحرقة .

(١٥) (يصلونها) يدخلونها ويقاسون حرها (يوم الدين) الجزاء .

(١٦) (وماهم عنها بغائبين) بمخرجين .

(١٧) (وما أدراك) أعلمك (مايوم الدين) .

(١٨) (ثم ما أدارك مايوم الدين) تعظيم لشأنه .

(١٩) (يوم) بالرفع ، أي هو يوم (لاتملك نفس لنفس شيئاً) من المنفعة (الأمر يومئذ لله) لا أمر لغيره فيه ، أي لم يُمكّن أحدا من التوسط فيه بخلاف الدنيا .

المطلب الأول: فضلها وأهميتها:

سورة الانفطار (من السور المكية بالاتفاق، وعدد آياتها تسع عشرة)[1]، و(هي معدودة الثانية والثمانين في عداد نزول السور، نزلت بعد سورة النازعات وقبل سورة الانشقاق)[2].

فضلها:

في هذه السورة حديث مشترك بين عدة سور يذكر فضلها، ولقد ذكره المفسرون مع مافيه من مقال. وفي حديث رواه الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأى عين فليقرأ إذا الشمس كورت وإذا السماء انفطرت، وإذا السماء انشقت»**[3].

أما أهميتها:

فسورة الانفطار من السور المكية التي تعالج تفكير المشركين المنحرف في تخاطب عقولهم ليتفكروا في عظمة الله سبحانه والإيمان برسوله ﷺ، لهذا جاءت (بالخبر عن حال السماء ونجومها في آخر الزمان، وبيان غفلة الإنسان، وذكر الملائكة الموكلين بما يصدر من اللسان والأركان، وبيان إيجاد الحق تعالى الحكم يوم يحشر الإنس والجان)[4].

---

(١) الإتقان للسيوطي (ج١/ ص: ٧٣)، بصائر ذوي التمييز (ج١/ ص: ٥٠٥)، التحرير والتنوير (ج٣/ ص: ١٦٧).

(٢) التحرير والتنوير (ج٣٠/ ص: ١٦٧).

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (ج٤/ ص: ٤٧٤)، التحرير والتنوير (ج٣٠/ ص: ١٦٩) من الترمذي.

(٤) بصائر ذوي التمييز (ج١/ ص: ٥٠٥).

كانت بهذه الزواجر الكونية والرقابة الملائكية وأن الحَكَمَ ربُ العالمين العادل، جاء في مقصودها (التحذير من الانهماك في الأعمال السيئة اغتراراً بإحسان الرب وكرمه، ونسياناً ليوم الدين الذي يُحاسب فيه على النقير والقطمير ولاتغني فيه نفس عن نفس شيئاً)(١).

ولهذا كان كفار قريش ومشركو العرب عندما تتنزل عليهم هذه الآيات المحكمات يرجع بعضهم إلى بعض من كثرة الخوف والوجل، لأن هذه الآيات كانت تتحدث عن (إثبات البعث وذكر أهوال تتقدمه، وإيقاظ المشركين للنظر في الأمور التي صرفتهم عن الاعتراف بتوحيد الله تعالى، وعن النظر في دلائل وقوع البعث والجزاء)(٢)، وعلى ماتقدم يتضح من أقوال المفسرين أهمية هذه السورة العظيمة التي تناولت حوادث الكون الذي باختلاله يحصل الفزع عند البشر، مما يدعوهم إلى التوحيد والإيمان والتسليم لله رب العالمين وبمحمدﷺ.

المطلب الثاني: أسماؤها.

سورة الانفطار ذات الاسم الواحد حيث إنها أخذت اسمها من افتتاحها، (وسميت هذه السورة [سورة الانفطار] في المصاحف ومعظم التفاسير)(٣).

و(تسمّى سورة [انفطرت] وسورة [الانفطار] لمفتتحها)(٤).

و(اسمها الانفطار أدل مافيها على ذلك)(٥).

---

(١) نظم الدرر للبقاعي (ج٢١/ ص: ٢٩٨).
(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور (ج٣٠/ ص: ١٧٠).
(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور (ج٣٠/ ص: ١٦٩).
(٤) بصائر ذوي التمييز (ج١/ ص: ٥٠٥).
(٥) نظم الدرر للبقاعي (ج٢١/ ص: ٢٩٨).

المطلب الثالث : اسم السورة (دلالات وإشارات)

إن اسم سورة الانفطار أدل مافيها على علاقة السورة باسمها، لأن الناظر في سورة (الانفطار) وبالذات في آياتها الأربع الأولى سوف يجد مدى تمازج هذه السورة بين اسمها وبين مضمونها، لأن دلالة الاسم على المسمى هو من سر عظمة القرآن الكريم، لهذا نرى أن الإشارات في حرف (إذا) ينقلك من صورة إلى صورة في حسن ترتيب وجميل تنظيم، تجمع على القارىء لها، بين عقله وقلبه وجسده، وذلك لأن: (إذا) ظرف للمستقبل متضمن معنى الشرط، والمعربون يقولون: خافض لشرطه منصوب بجوابه، وهي عبارة حسنة جامعة.

والقول في الجمل التي أضيف إليها (إذا) من كونها جملا مفتتحة بمسند إليه لخبر عنه بمسند فعلي دون أن يؤتى بالجملة الفعلية ودون تقدير أفعال محذوفة قبل الأسماء، لقصد الاهتمام بالمسند إليه وتقوية الخبر)[1]، وعلى تقوية الخبر تكون عظمة دلالات هذه السورة العظيمة في معناها، القليلة في مبناها، فعظمة القرآن تظهر في كل جزءٍ منه، لأن الله سبحانه وتعالى جعل لكل سورة مقصدها في توضيح مراد الله، وبما أن القرآن يفسر بعضه بعضاً نجده أنه لما (ختمت التكوير بأنه سبحانه لايخرج شيء عن مشيئته وأنه موجد الخلق ومدبرهم، وكان من الناس من يعتقد أن هذا العالم هكذا بهذا الوصف لا آخر له - أرحام تدفع وأرض تبلع ومن مات فات وصار إلى الرفات ولاعود بعد الفوات - افتتح الله سبحانه وتعالى (سورة الانفطار) بما يكون مقدمة لمقصود السورة التي قبلها، وأنه لابد من نقضه لهذا العالم وإخرابه ليحاسب الناس، فيجزي كلا منهم، من المحسن والمسيء، بما عمل)[2].

---

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور (ج٣٠/ ص: ١٧٠).
(٢) نظم الدرر (ج٢١/ ص: ٢٩٨).

وكلمة انفطار، لها إيحاءٌ خاص، فهي تدل على أن الشيء العظيم الذي يُنظر إليه بالكبرياء قد تشقق وترامى الأطراف، وانفطار العالم العلوي يعنى زواله، لهذا كان لاسم السورة تأثير بمضمونها ومحتواها و الدلالات الإشارية في كل حرف وكلمة منها، ولو نظرنا إلى تقسيم آياتها لسوف نجد العجب، ففي الآيتين الأولى والثانية، أشار فيهما سبحانه إلى العالم العلوي والذي هو قبلة التفكير والدعاء والاستغاثة ونزول مابه حياة الأرض، ففي هذه الإشارة دلالات على عظمة الخالق سبحانه في كيفية تقريب المعاني لعباده على اتباع رسولهﷺ.

وفي الآية الثالثة والرابعة والخامسة. وَجَّهَ الإشارات والدلالات العظيمة إلى العالم السفلي الذي يعيش عليه العباد، ذلك لتكون لهم الدلالة أقرب، وتأثير إشارتها مباشرة لهم، لأنهم هم المعنيون بهذا الخطاب، ثم جاءت الآيات الأخرى موضحة لمقاصد القرآن الكريم، ولأهمية الطاعة، وأن الجزاء من جنس العمل.

ومن هنا يتضح لنا مدى علاقة السورة باسمها، وأن دلالاتها وإشاراتها لامنتهى لها، لأنها كلام رب العالمين، الذي لايشبع منه العلماء ولايملون على كثرة الترداد والمراجعة.

الفصل الرابع

(السور الواردة تحت معاني صفة القدرة)

ويشتمل على ستة مباحث :

المبحث الأول : سورة الرعد.

المبحث الثاني : سورة النحل

المبحث الثالث : سورة الجن.

المبحث الرابع : سورة التين.

المبحث الخامس : سورة العلق.

المبحث السادس : سورة العاديات.

المبحث الأول

سورة الرعد

الآية (١٣)

وتشتمل على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : فضلها وأهميتها.

المطلب الثاني : أسماؤها.

المطلب الثالث : اسم السورة (دلالات وإشارات).

﴿ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشآء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال﴾[1].

التفسير:

(والرعد.. الظاهرة الثالثة لجو المطر والبرق والرعد، هذا الصوت المقرقع المدوي إنه أثر من آثار الناموس الكوني الذي صنعه الله - أيا كانت طبيعته أو أسبابه، فهو رَجْع صُنْع الله في هذا الكون، فهو حمد وتسبيح بالقدرة التي صاغت هذا النظام، كما أن كل مصنوع جميل متقن يسبح ويعلن عن حمد الصانع والثناء عليه بما يحمله من آثار صنعته من جمال وإتقان، وقد يكون المدلول المباشر للفظ يسبح هو المقصود فعلا، ويكون الرعد (يسبح) فعلا بحمد الله فهذا الغيب الذي زواه عن البشر لا بد أن يتلقاه البشر بالتصديق والتسليم وهم لا يعلمون من أمر هذا الكون ولا من أمر أنفسهم إلا القليل)[2]. والدليل على ذلك في قوله تعالى: ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحه إنه كان حليما غفورا﴾[3].

---

(١) آية [١٣] سورة الرعد.

(٢) في ظلال القرآن سيد قطب (ج٤/ ص: (٢٠٥١)، ط. دار الشروق السابعة عشر ١٩٩٢م.

(٣) آية [٤٤] سورة الإسراء.

المطلب الأول: فضلها وأهميتها.

سورة الرعد من السور المكية وعدد آياتها سبع وأربعون عند الشاميين، وثلاث عند الكوفيين، وأربع عند الحجازيين، وخمس عند البصريين)[1].

وهي السورة الثالثة عشرة مدنية، مع الخلاف في ذلك، وهي ثلاث وأربعون آية في الكوفي، وأربع في المدني، وخمس في البصري، وسبع في الشامي)[2].

فضلها:

روى الترمذي، والنسائي، والحاكم، والبيهقي، في الدعوات، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ إذا سمع الرعد والصواعق قال: «**لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك**»[3].

أما أهميتها:

فسورة الرعد من السور التي وردت تحت معنى القدرة فكان لها أهمية عظيمة لأنها تحدثت عن عظمة مخلوق لا نشاهده إلا عندما يحدث، وعند حدوثه تفزع القلوب، وترتعد الجوارح، لأن صوته قوي، وقدرته غير عادية، وقد أعطى الله للرعد هذه الصفة من إحداث هذه الآثار في الكون عندما يؤمر بذلك، مما يدل على عظمة الخالق الذي جعل قدرته دالة عليه في بعض مخلوقاته التي يتأثر بها ماحولها، لهذا جاء مقصد هذه السورة وأهميتها في (بيان حجة التوحيد في خلق السموات

---

(١) نظم الدرر للبقاعي (ج١٠/ ص: ٢٦٢).

(٢) بصائر ذوي التمييز (ج١/ ص: ٢٦٣).

(٣) صحيح الترمذي، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا سمع الرعد (٥/ ١٦٦). حديث رقم(٣٥١٤). وقال: هذا حديث حسن غريب. والنسائي ذكره اليوم والليلة. والمستدرك: كتاب الأدب، باب الدعاء عند استماع صوات الرعد (٤/ ٢٨٦).

والأرض واستخراج الأنهار والأشجار والثمار وتهديد الكفار، ووعيدهم وذكر تخليق الأولاد في أرحام الأمهات على تباين الدرجات ومع النقصان والزيادات في الأيام والساعات، واطلاع الحق تعالى على مواطن الأسرار وضمائر الأخيار والأشرار، وذكر السحاب، والرعد، والبرق والصواعق، وعبادة الأصنام، وقصة نزول القرآن من السماء والوفاء بالعهد، ونقض الميثاق، ودخول الملائكة بالتسليم على أهل الجنان، وأنس أهل الايمان بذكر الرحمة، وبيان تأثير القرآن في الآثار والأعيان، وكون عاقبة أهل الإيمان إلى الجنان، ومقر مرجع الكفار إلى النيران، والمحو والإثبات في اللوح بحسب مشيئة الديان، وتقدير الحق في أطراف الأرض بالزيادة والنقصان، وتقدير نبوة المصطفى ﷺ بنزول الكتاب)[1].

المطلب الثاني: أسماؤها.

سميت سورة الرعد بهذا الاسم لقوله سبحانه وتعالى: ﴿ويُسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته﴾[2]،

و(هكذا سميت من عهد السلف، وذلك يدل على إنها مسماة بذلك من عهد النبي ﷺ، إذ لم يختلفوا في اسمها وسميت بإضافتها إلى الرعد المذكور في الآية)[3].

---

(١) بصائر ذوي التمييز (ج١/ ص: ٢٦٢).

(٢) آية [١٣] سورة الرعد.

(٣) التحرير والتنوير (ج١٣/ ص: ٧٥).

المطلب الثالث: اسم السورة (دلالات وإشارات).

سورة الرعد كما هو واضح من كلمة (الرعد) الذي وضع عنواناً لها لهو دليل كبير على علاقة السورة باسمها، حيث إن الرعد في السورة كان له تأثير في هيبته الخفية التي عند حدوثها تفزع قلوب المخلوقات على اختلاف أنواعها وأجناسها، ومن هنا كانت الدلالات والإشارات الكثيرة في هذه السورة بين عنوانها ومحتوياتها حيث (وصف الكتاب بأنه الحق في نفسه، وتارة يتأثر عنه مع أنه له صوتا وصيتاً وإرعاباً وإرهاباً يهدي بالفعل، وتارة لا يتأثر بل يكون سبباً للضلال والعمى، وأنسب مافيها لهذا المقصد (الرعد) فإنه مع كونه حقاً في نفسه يسمعه الأعمى والبصير والبارز والمستتر، وتارة يتأثر عنه البرق والمطر، وتارة لا وإذا نزل المطر فتارة ينفع إذا أصاب الأرض الطيبة وسلمت من عامه، وتارة يخيب إذا نزل على السباخ الخواره[1]، وتارة يضر بالإغراق أو الصواعق أو البرد وغيرها[2]، والمتأمل في سورة الرعد والمستعرض لآياتها يجد عظمة هذا العقد الفريد الذي نظمه الحق سبحانه وتعالى وجعل للرعد عظمة خاصة فدل على تسميتها بهذا الاسم، لدلالة عظيمة حيث أشار الله إلى كثير من المخلوقات ولكنه عندما جاء بذكر الرعد ميَّزه بإشارات لطيفة، جعلت له هذا التمايز الذي جعله عنواناً لسورة (الرعد) وبين مضمونها العظيم، لأنه (لما كان الرعد صوتاً عظيماً جعل ذكره عبرة للسامعين لدلالة الرعد بلوازم عقلية، على أن الله منزه عما يقوله المشركون من إدعاء الشركاء، وكان شأن تلك الدلالة أن تبعث الناظر فيها على تنزيه الله عن الشريك جعل صوت الرعد دليلاً على تنزيه الله تعالى، فإسناد التسبيح إلى الرعد مجاز عقلي، وذلك بأن تجعله استعارة مكنية، لتشبيه الرعد بآدمي يسبح الله تعالى، وأثبت شيء من علائق المشبه

(١) الخواره: من خورت الأرض: ارتخت من كثير المطر فساح ترابها.

(٢) نظم الدر للبقاعي (ج١٠/ ص: ٢٦٢ - ٢٦٨).

به وهو التسبيح. أي قول [سبحان الله])[1].

وهذا قول مرجوح والحق أنه على الحقيقة كما في الآية التالية: قال تعالى: ﴿ **وإن من شيء إلا يسبح بحمده** ﴾[2]،

ولا شك أن تسبيح كل شيء بحسبه، مما يدل على أنه تسبيح حقيقي وليس مجازاً كما حكم وكما وهم، والدليل عليه تسبيح الحصى في يد رسول الله ﷺ، وكما يدل عليه الانفعالات الثلاثة المذكورة في أوائل سورة البقرة: هبوط الصخرة الكبيرة من فوق الجبل من خشية الله، وانشقاقها وخروج الماء منها، وانشقاقها وجريان الأنهار منها، وما شاكل ذلك، لأن الله سبحانه يقول: ﴿ **خلق الله السموات والأرض بالحق إن في ذلك لآية للمؤمنين** ﴾[3]،

فكل شيء يسبح الله ويقدسه وينزهه، وفيه عبرة ودرس للإنسان، ينزه الله عن الأغراض ويطلب كمال استمتاع الإنسان لما في الكون.

وإنما خص الرعد هنا لأنه صوتٌ مهيبٌ مخيف للبشر لذلك أخبرهم أنه يسبح بحمده، أن ذلك الصوت تسبيح لتنزيه الله ومطلب النفع للبشر فلا تخافوا منه يا عبادي ولا تخافوا من أي ظاهرة مهما كانت قوية فإن تلك من ظواهر التسبيح الخاص بها وهي رحمة للبشر مهما كانت، والله أعلم.

---

(١) التحرير والتنوير (ج١٣/ ص: ١٠٤).

(٢) آية [٤٤] سورة الإسراء.

(٣) آية [٤٤] سورة العنكبوت.

المبحث الثاني

سورة النحل

الآيات (٦٨ - ٦٩)

وتشتمل على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : فضلها وأهميتها.

المطلب الثاني : أسماؤها.

المطلب الثالث : اسم السورة (دلالات وإشارات).

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون(٦٨) ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفآء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون(٦٩) ﴾[١].

التفسير :

[وأوحى ربك إلى النحل..) : وحي إلهام (أن) مفسرة أو مصدرية، (اتخذي من الجبال بيوتاً) : تأوين إليها، (ومن الشجر) : بيوتا (ومما يعرشون) : أي الناس، يبنون لك من الأماكن وإلا لم تأو إليها.

(ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي) : ادخلي (سبل ربك) طرقه في طلب المرعى (ذللا) : جمع ذلول حال من السبل : أي مسخرة لك فلا تعسر عليك وإن توعرت، ولا تضلي على العود منها وإن بَعُدت، وقيل من الضمير فاسُلكي أي : منقادة لما يراد منك (يخرج من بطونها شراب) : هو العسل (مختلف ألوانه فيه شفاء للناس) من الأوجاع، قيل لبعضها كما دل عليه تنكير شفاء أو لكلها بضميمته إلى غيره، (إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون) في صفته تعالى][٢].

---

(١) آية [٦٨ ـ ٦٩] سورة النحل.

(٢) تفسير الجلالين (ج١٤/ ص : (٣٦٠)، ط. مكتبة الفلاح.

المطلب الأول: فضلها وأهميتها.

سورة النحل من (السور المكية مع الاختلاف الدائر حول استثناء بعض الآيات منها وهن الثلاث الأخيرات)[1]، و(هذه السورة نزلت بعد سورة الأنبياء وقبل سورة آلم السجدة، وقد عدت الثانية والسبعين في ترتيب نزول السور)[2].

فضلها:

لم نقف على نص خاص بها وإنما هي من عموم القرآن الكريم الذي لا تخلو آية منه ولا كلمة من فضل ومنّة ونور ورحمة ومن هداية وشفاء حتى قيل خذ من القرآن ما شئت لما شئت.

أما أهميتها:

فسورة النحل من السور التي جاءت من ضمن آياتها آية تحدثت عن قدرة من قدرات الحق سبحانه وتعالى في مخلوقاته، وهذه القدرة جعلها الله في النوع الذي يصعب الاقتراب منه لشدة بطشه في الدفاع عن مملكته، ومع ذلك كان فيه سر يطلبه البشر ويحرصون عليه، و هذه القدرة التي جعلت في النحل ميزة عن سائر أنواع المخلوقات وذلك إظهاراً لقدرة الحق سبحانه وتعالى. و(خصت النحل وثمراتها بالذكر لوفرة منافعها والاعتبار بإلهامها إلى تدبير بيوتها وإفراز شهدها)[3] وهذه السورة وضحت (الدلالة على أنه تعالى تام القدرة، والعلم، فاعل بالاختيار، منزه عن شوائب النقص، ودل مافيها على هذا المعنى أمر (النحل) لما ذكر من شأنها من دقة الفهم في ترتيب بيوتها ورعيها وسائر أمرها من اختلاف ألوان مايخرج منها من

(١) الإتقان للسيوطي (ج١/ ص: ١٣)، ونظم الدرر (ج١١/ ص: ١٠١) الهامش.
(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور (ج١٤/ ص: ٩٤).
(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور (ج١٤/ ص: ٩٣).

أعسالها، وجعله شفاء، مع أكلها من الثمار النافعة والضارة، وغير ذلك من الأمور)[1].

المطلب الثاني: أسماؤها.

إن سورة النحل من السور التي اشتهرت باسم وصاحبها اسم آخر.

(النحل، قال قتادة: تسمى سورة النعم)[2].

و(سميت هذه السورة عند السلف سورة النحل، وهو اسمها المشهور في المصاحف وكتب التفسير وكتب السنة)[3].

تعريف ووصف حشرة النحل:

النحل: ذباب العسل واحدة نحلة، وقال أبو اسحاق الزجاج: وفي قوله عز وجل ﴿وأوحى ربك إلى النحل﴾ جائز أن يكون سمي نحلا، لأن الله عز وجل نحل الناس العسل الذي يخرج من بطونها[4].

(إذا كان العسل من العقاقير الممتازة لبني الإنسان فإنه مما لاشك فيه أن النحلة التي تصنعه وتجهزه في خلاياها قد هيأها الله سبحانه وتعالى لتكون (صيدلانية) في القمة العليا من البراعة والفن، والنحل من الحشرات الاجتماعية التي لا يمكنها العيش إلا ضمن عائلات أو مستعمرات في خلايا خاصة بها، سواء كانت من صنعها من أعشاش طبيعية تبنيها في تجاويف الشجر أو في الشقوق بين الصخور أو في

---

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور (ج١٤/ ص: ٩٥).
(٢) نظم الدرر (ج١١/ ص: ١٠١).
(٣) الإتقان للسيوطي (ج١/ ص: ٧٢)، نظم الدرر (ج١١/ ص: ١٠١).
(٤) لسان العرب لابن منظور، مادة نحل ط، دار الفكر.

الجروف والمغاور، أو من الخلايا التي يقدمها ويعرشها لها بنو آدم، من خلايا صنعية تسكنها عشيرة من النحل في حياة قائمة على أعلى درجات التنسيق والتعاون بين أفرادها)[1].

و(عسل النحل، هو الرحيق الذي يمتصه النحل من الأزهار، وزاد في تركيبه تبخير نسبة كبيرة من الماء، ويتحور في معدتها بما يشبه الهضم إلى يعسوب، ثم يخزن بعد ذلك في الخلايا السداسية للأقراص الشمعية، والعسل يعتبر في مقدمة الأغذية الكاملة التي اعتمد عليها الإنسان في تغذيته منذ أقدم العصور، وأشاد بمزاياه وفوائده، فقد ورد ذكره في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿**فيه شفاء للناس**﴾[2])[3].

(١) النحلات صيدلانيات مهمة - د. محمد نزار الدقر، دار المعاجم ط. الأولي ١٩٩٥م.

(٢) الموسوعة الغذائية - د. علي محمود عويضة، دار المعرفة الإسلامية.

(٣) آية [٦٩] سورة النحل.

المطلب الثالث : اسم السورة (دلالات وإشارات) .

سورة النحل (اسمها) ذات دلالة كبيرة على مضمونها وهذه الكلمة (النحل) فيها إشارات لطيفة ذات دلالات عظيمة بعظمة حكمة منزلها سبحانه الذي اتصف بالقدرة المطلقة ، (ولما كان أمر النحل في الدلالة على تمام القدرة وكمال الحكمة أعجب ماتقدم وأنفس ، ثلث* به وأخّره لأنه أقل الثلاثة عندهم ، وغيَّر الأسلوب وجعله من وحيه ، إيماءً إلى مافيه من غريب الأمر وبديع الشأن فقال تعالى : ﴿ وأوحى ربك ﴾(١)

أي المحسن إليك ، يجعل العسل في مفاوز البرارى المقفرة المفرطة المرارة وغيرها من الأماكن وبغير ذلك من المنافع الدال على الفعل بالاختيار وتمام الاقتدار)(٢) .

وعلى هذا نجد أن الخالق القادر سبحانه جعل في حشرة النحل قدرة عجيبة ، ولكثرة عجائبها جعلها عنواناً لسورة من سور قرآنه العظيم .

فإذا نظرنا إلى هذه العلاقة بين الاسم والمسمى والرابط الذي بينهما الذي جعل هذه السورة من مصاف السور ذات دلالات القدرة في أسمائها فإنما يدل على مافي هذه الآيات من أسرار انطوت على هذه المعاني فكانت دلالاتها وإشاراتها عجيبة (إذ أودع في خلقة الحشرة الضعيفة هذه الصفة العظيمة وجعل فيها هذه المنفعة ، كما أودع في الأنعام ألبانها وأودع في ثمرات النخيل والأعناب شراباً ، وكان مافي النحل وسطاً بين مافي بطون الأنعام ومافي قلب الثمار ، فإن النحل يمتص مافي الثمرات والأنوار من المواد السكرية العسلية ثم يخرجه عسلا ، كما يخرج اللبن من خلاصة

* : لأن الآية [٦٧] ذكرت اللبن ومن ثم النخيل والأعناب ثم بعد ذلك ثلث بالنحل .

(١) آية [٦٨] سورة النحل .

(٢) نظم الدرر للبقاعي (ج١١/ ص: ١٩٦ - ١٩٧) .

المرعى، وفيه عبرة أخرى وهي أن أودع الله في ذبابة النحل إدراكا لصنع محكم مضبوط منتجاً شراباً نافعا لايحتاج إلى حلب الحالب)[1].

ولما للنحل من أهمية فبعد ذكره في كتاب الله تعالى، جاءت السنة النبوية كذلك تشير إلى النحل، وأن النحلة يضرب بها المثل في الطيب من الأكل وغيره.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**والذي نفس محمد بيده إن مثل المؤمن للمؤمن كمثل النحلة أكلت طيباً، ووضعت طيباً، ووقعت فلم تكسر ولم تفسد**»[2].

وهذا التشبيه على الصفات الطيبة، ومن المعروف أن المؤمن بإجماع العلماء أكرم الخلق عند الله عز وجل، وتشبيه المؤمن بالنحلة رفع لمكانة هذه الحشرة النافعة وتقدير من النبي ﷺ لجليل ما تقوم به من أعمال، وما تصنعه من أدوية ومواد هي في غاية النفع لهذا الإنسان.

ولقد كرم الله سبحانه وتعالى النحل، ورفع قدره على كثير من مثله وتشمل تكريم الرب جل وعلا للنحل، بتخليد ذكره بأن جعل له سورة في القرآن العظيم سميت باسمه، وسورة النحل درجة من التكريم مابعدها من تكريم.

---

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور (ج١٤/ ص: ٢٠٤).

(٢) رواه الإمام أحمد، (ج٢/ ص: (١٩٩)، وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح غير أبي سبرة وقد وثقه ابن حبان.

المبحث الثالث

سورة الجن

الآيات (١ - ١٦)

وتشتمل على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : فضلها وأهميتها.

المطلب الثاني : أسماؤها.

المطلب الثالث : اسم السورة (دلالات وإشارات).

﴿قل أوحي إليّ أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً(١) يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً (٢) وأنه تعالى جدّ ربنا ما اتخذ صاحبةً ولا ولداً(٣) وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططاً(٤) وأنا ظننا أن لن تقول الإنس والجن على الله كذباً(٥) وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً(٦) وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحداً(٧) وأنا لمسنا السماء فوجدناها

التفسير (الجلالين) :

(١) (قل) يامحمد للناس (أوحي إليّ) أي أخبرت بالوحي من الله تعالى (أنه) الضمير للشأن (استمع) لقراءتي (نفر من الجن) جن نصيبين، وذلك في صلاة الصبح ببطن نخلة، موضع بين مكة والطائف، وهم الذين ذكروا في قوله تعالى «وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن» الآية (فقالوا) لقومهم لما رجعوا إليهم (إنا سمعنا قرآنا عجبا) يتعجب منه في فصاحته وغزارة معانيه وغير ذلك.

(٢) (يهدي إلى الرشد) الإيمان والصواب (فآمنا به ولن نشرك) بعد اليوم (بربنا أحداً).

(٣) (وأنه) الضمير للشأن فيه وفي الموضعين بعده (تعالى جد ربنا) تنزه جلاله وعظمته عما نسب إليه (ما اتخذ صاحبة) زوجة (ولا ولداً).

(٤) (وأنه كان يقول سفيهنا) جاهلنا (على الله شططاً) غلواً في الكذب بوصفه بالصاحبة والولد.

(٥) (وأنا ظننا أن) مخففة، أي أنه (لن تقول الإنس والجن على الله كذباً) يوصفه بذلك حتى تبينا كذبهم بذلك، قال تعالى:

(٦) (وأنه كان رجال من الإنس يعوذون) يستعيذون (برجال من الجن) حين ينزلون في سفرهم بمخوف، فيقول كل رجل: أعوذ بسيد هذا المكان من شر سفهائه (فزادوهم) بهم (رهقاً) طغياناً فقالوا: سدنا الجن والإنس.

(٧) (وأنهم) أي الجن (ظنوا كما ظننتم) يا إنس (أن) مخففة من الثقيلة، أي أنه (لن يبعث الله أحداً) بعد موته.

مُلئت حرساً شديداً وشُهُباً(٨) وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً(٩) وأنا لا ندري أشرٌّ أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً(١٠) وأنا منّا الصالحون ومنّا دون ذلك كنا طرائق قِداداً(١١) وأنا ظننا أن لن نعجز الله في الأرض ولن نعجزه هرباً(١٢) وأنا لما سمعنا الهدى امنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً ولا رهقاً(١٣) وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشداً(١٤) وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً(١٥) وألو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماءً غدقاً(١٦) ﴾.

---

(٨) قال الجن (وأنا لمسنا السماء) رمنا استراق السمع (فوجدناها ملئت حرساً) من الملائكة (شديداً وشهباً) نجوماً محرقة وذلك لما بعد النبي ﷺ.

(٩) (وأنا كنا) أي قبل مبعثه (نقعد منها مقاعد للسمع) أي نستمع (فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً) أرصد له ليرمى به.

(١٠) (وأنا لا ندري أشر أريد) بعد استراق السمع (بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً) خيراً.

(١١) (وأنا منا الصالحون) بعد استماع القرآن (ومنا دون ذلك) أي قوم غير صالحين (كنا طرائق قدداً) فرقاً مختلفين، مسلمين وكافرين.

(١٢) (وأنا ظننا أن) مخففة من الثقيلة، أنه (لن نعجز الله في الأرض ولن نعجزه هرباً) لا نفوته كائنين في الأرض أو هاربين منها في السماء.

(١٣) (وأنا لما سمعنا الهدى) القرآن (آمنا به فمن يؤمن بربه). (فلا يخاف) بتقدير هو (بخساً) نقصاً من حسناته (ولا رهقاً) ظلماً بالزيادة في سيئاته.

(١٤) (وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون) الجائرون بكفرهم (فمن أسلم فأولئك تحروا رشداً) قصدوا هداية.

(١٥) (وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً) وقوداً، وأنهم وأنه: اثنى عشر موضعاً، هي (وأنه تعالى) (وأنا منا المسلمون) وما بينهما، بكسر الهمزة استئنافا وبفتحها بما يوجه به.

(١٦) قال تعالى في كفار مكة (وأن) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف، أي وأنهم وهو معطوف على أنه استمع (لو استقاموا على الطريقة) أي طريقة الإسلام (لأسقيناهم ماءً غدقاً) كثيراً من السماء، وذلك بعدما رفع المطر عنهم سبع سنين.

المطلب الأول: فضلها وأهميتها.

سورة الجن من السور المكية باتفاق الجميع وعدد آياتها ثمان وعشرون[1].

وهي الثانية والسبعون من سور القرآن الكريم، مكية، وعدد آيها [٢٨])[2].

وقد عدت السورة الأربعين في نزول السور، نزلت بعد الأعراف وقبل عبس، واتفق أهل العدد على عد آيها ثماني وعشرين)[3].

فضلها:

لم نقف على نص خاص بها، وإنما هي من عموم القرآن الكريم الذي لا تخلو آية منه ولا كلمة من فضل ومنّة ونور ورحمة، ومن هداية وشفاء حتى قيل: خذ من القرآن ما شئت لما شئت.

أما أهميتها:

فسورة الجن لها أهمية خاصة لأن هذه السورة عرفت البشر أن هناك جنساً آخر من المخلوقات لا يرونهم ولكن يؤمنون به، وهناك جن يؤذون الإنسان، ولم يتصوروا أن هؤلاء الجن يؤمنون بالله ورسوله ﷺ حتى نزلت هذه السورة وبينت مقصدها العظيم، وهو تبيان (عجائب القرآن وعظمة سلطان الملك الدّيان، وتعدى الجن على الإنسان، ومنعهم عن الوصول إلى السماء بالطيران، والرشد والصلاح لأهل الإيمان وتهديد الكفار بالجحيم والنيران، وعلم الله تعالى بالإسرار والإعلان، وكيفية تبليغ الوحي من الملائكة إلى الأنبياء بالإتقان، وحصر المعلومات في علم

---

(١) الإتقان في علوم القرآن (ج١ / ص:٧٢)، بصائر ذوي التمييز (ج١ / ص: ٤٨٤).
(٢) نظم الدرر (ج٢/ ص: ٤٦٠).
(٣) التحرير والتنوير (ج٢٩/ ص: ٢١٦).

خالق الخلق في قوله: ﴿ وأحصى كل شيء عددا ﴾[1])[2].

وتزداد أهمية هذه السورة عند ذكر الجن لأنهم تقدموا على جنس البشر في قبول دعوة النبي ﷺ، وتتضح هذه الأهمية عندما أشارت السورة إلى إيمان الجن برسول الله ﷺ الذي أرسل رحمة للعالمين، فدلت أهميتها على أن هناك أناساً من البشر نفى وجود الجن، وهناك من أشرك بهم، ومنهم من اعتقد فيهم المقصد، لهذا وضحت هذه السورة حقيقة الجن وأنهم عدل البشر في التكاليف الشرعية فمنهم من آمن ومنهم من كفر. وقال الله تعالى: ﴿ لقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس ﴾[3].

هذا و(اختلف في أصل الجن، فروى إسماعيل عن الحسن البصري: أن الجن ولد أبليس والإنس ولد آدم، ومن هؤلاء مؤمنون وكافرون، وهم شركاء في الثواب والعقاب، فمن كان من هؤلاء وهؤلاء مؤمناً فهو ولي الله، ومن كان من هؤلاء وهؤلاء كافراً فهو شيطان.

وروى الضحاك عن ابن عباس: (أن الجن هم ولد الجان وليسوا شياطين وهم يموتون ومنهم المؤمن والكافر، والشياطين هم ولد أبليس لا يموتون إلا مع أبليس)[4]. يعني جنسهم واحد وأنواع مختلفة بدليل قوله تعالى: ﴿ وكان من الجن ففسق عن أمر ربه ﴾[5].

---

(١) بصائر ذوي التمييز (ج١/ ص: ٤٨٤).
(٢) آية [٢٨] سورة الجن.
(٣) آية [١٧٩] سورة الاعراف.
(٤) تفسير الماوردي (ج٤/ ص: ٣١٩) ط. التراث الإسلامي الكويت ١٩٨٢م.
(٥) آية [٥٠] سورة الكهف.

المطلب الثاني: أسماؤها.

وسورة الجن من السور المكية التي لم يُختلف في تسميتها، وقد (سميت سورة الجن، لاشتمالها على الجن في قوله تعالى: ﴿يعوذون برجال من الجن﴾[1].

وقوله: ﴿نفر من الجن﴾)[2].

وذكر هذه الآيات التي فيها اسم الجن (دلت تسميتها بالجن)[3].

---

(١) آية [٦] سورة الجن.

(٢) آية [١] سورة الجن.

(٣) بصائر ذوي التمييز (ج١/ ص: ٤٨٤).

المطلب الثالث : اسم السورة (دلالات وإشارات) .

لقد تحدثت سورة الجن عن عالم خفي على بني البشر، فكلمة (الجن) لها معنى كبير في عقول البشر، لهذا كان لاسم هذه السورة وعنوانها الذي وضع لها علاقة كبيرة جداً بموضوعها، لأن الحديث فيها عن علاقة الجن مع البشر ، فلهذا كانت لهذه السورة دلالات عظيمة وإشارات لطيفة في علاقة الاسم بالمسمى .

فأول هذه الدلالات إعلام المؤمنين أن هناك جناً قد سمعوا القرآن من رسول الله ﷺ وهو يصلي بأصحابه، ففي هذا الخبر إشارة إلى أن الجن قد علموا أن هناك حدثاً منعهم من الوصول إلى مسارق السمع في السماء فنزلوا إلى الأرض، فبحثوا عن السبب، فلما وجدوا السبب بشروا قومهم برسول الله ﷺ وبما أنزل عليه . فهذا الإيمان من الجن إشارة ورسالة عاجلة إلى بني البشر، وهي إخبار الملك الديان عن إسلام الجن وإيمانهم برسول الله ﷺ قبل مشركي قريش، ثم توضح إشارة أخرى وهي أن الجن أخبروا بحال الإنس وفضحوهم، (وهذه إشارة من الجن إلى ماكان متعارفا في الجاهلية، ومايزال متعارفا إلى اليوم في بيئات كثيرة، من أن للجن سلطانا على الأرض وعلى الناس وأن لهم قدرة على النفع والضر، وأنهم محكومون في مناطق من الأرض أو البحر أو الجو . . إلى آخر هذه التصورات من الأفكار والخرافات، مما كان يقتضي القوم إذا باتوا في فلاة أو مكان موحش، أن يستعيذوا بسيد الوادي من سفهاء قومه، ثم يبيتون بعد ذلك آمنين، والشيطان مسلط على قلوب بني آدم، إلا من اعتصم بالله فهو في نجوة منه، وأما من يركن إليه فهو لاينفعه، ويكون له عدواً يرهقه ويؤذيه، وهؤلاء النفر من الجن يحكون ماكان يحدث : ﴿ **وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا** ﴾[1] . .

---

(١) آية [٦] سورة الجن.

ولعل هذا الرهق هو الضلال والقلق والحيرة التي تنتاب قلوب من يركنون إلى عدوهم، ولايعتصمون بالله منه ويستعيذون به، كما هم مأمورون منذ أبيهم آدم وماكان بينه وبين إبليس من العداء القديم)(١).

وعلى توضيح القرآن لمسألة الجن يتبين لنا أمر مهم للغاية، فيه يتضح جلياً علاقة السورة باسمها، لأن الدلالة على مقاصد الآيات التي تناولت حالة الجن لما سمعوا القرآن، فيه إشارات على مصداقية السمع، وأهمية التبليغ فكانت هناك دلالات إشارية تبين (إظهار شرف هذا النبي ﷺ، حيث ليّن له قلوب الجن والإنس وغيرهم، فصار مالكا لقلوب المجانس وغيره. وذلك لعظمة هذا القرآن ولطف ما له من عظيم الشأن)(٢).

مما يوضح أمر الدعوة الإسلامية، وإنها عامة لجميع المخلوقات العاقلة، وكما دلت على ذلك السنة في بيان كرامة هذا النبي العظيم ﷺ ومعجزاته الكثيرة التي تبين من خلالها أهمية هذه السورة (الجن وعلاقتها باسمها وما جاء فيها من أخبار).

---

(١) في ظلال القرآن السيد قطب (ج٦/ ص: ٣٧٢٩).

(٢) مصاعد النظر للاشراق على مقاصد السور (ج٣/ ص: ١٢٧).

المبحث الرابع

سورة التين

وتشتمل على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : فضلها وأهميتها.

المطلب الثاني : أسماؤها.

المطلب الثالث : اسم السورة (دلالات وإشارات).

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ والتين والزيتون(١) وطور سينين(٢) وهذا البلد الأمين(٣) لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم(٤)ثم رددناه أسفل سافلين(٥) إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون(٦) فما يكذبك بعد بالدين(٧) أليس الله بأحكم الحاكمين(٨) ﴾.

التفسير (الجلالين) :

(١) (والتين والزيتون) قيل : هو التين الذي يؤكل ، والزيتون الذي يُعصر ، أقسم الله بهما .

(٢) (وطور سينين) الجبل الذي كلم الله تعالى عليه موسى ومعنى سينين المبارك .

(٣) (وهذا البلد الأمين) مكة ، لأمن الناس فيها جاهلية وإسلاماً .

(٤) (لقد) (خلقنا الإنسان) الجنس (في أحسن تقويم) تعديل لصورته .

(٥) (ثم رددناه) في بعض أفراده (أسفل سافلين) كناية عن الهرم والضعف .

(٦) (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون) مقطوع ، وفي الحديث :«إذا بلغ المؤمن من الكبر ما يعجزه عن العمل كتب له ما كان يعمل»(١) .

(٧) (فما يكذبك) أيها الكافر (بعد) بعد ما ذكر من خلق الإنسان في أحسن صورة ثم رده إلى أرذل العمر الدال على القدرة على البعث (بالدين) بالجزاء المسبوق بالبعث والحساب ، أي ما يجعلك مكذباً بذلك ولا جاعل له قيمة ؟ .

(٨) (أليس الله بأحكم الحاكمين) هو أقضى القاضين وحكمه بالجزاء من ذلك ، وفي الحديث :«من قرأ التين إلى آخرها فليقل : بلى وأنا على ذلك من الشاهدين»(٢) .

---

(١) تفسير الجلالين (ج١/ ص : ٨١٣) . التمهيد لابن عبد البر (ج١٢/ ص : ٢٦٩) .

(٢) أخرجه الترمذي وأبوداود عن أبي هريرة .

المطلب الأول: فضلها وأهميتها.

إن سورة التين من السور المكية وعدد آياتها ثمان[1]، وعدت الثامنة والعشرين في ترتيب نزول السور، نزلت بعد سورة البروج وقبل سورة الإيلاف[2].

فضلها:

لم يرد نص خاص بها وإنما: (قال مالك وشعبة عن عدي بن ثابت عن البراء ابن عازب: كان النبي ﷺ، يقرأ في سفره في إحدى الركعتين بالتين والزيتون، فما سمعت أحداً أحسن صوتاً أو أقْرأ منه)[3].

وروى الترمذي وأبوداود عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قرأ منكم بـ ﴿والتين والزيتون﴾[4] فانتهى إلى آخرها ﴿أليس الله بأحكم الحاكمين﴾[5] فليقل: [بلى] وأنا على ذلك من الشاهدين**»[6].

أما أهميتها:

فسورة التين كما هو واضح من اسمها، أنها تتعلق بالنبات، وقد ذكر الحق سبحانه وتعالى شجرة التين وخصها بالذكر دون بقية النباتات، يعني أن هناك سراً في هذه الشجرة ناتج عن قدرة وضعها فيها القادر سبحانه وتعالى لتكون هذه الشجرة من الأشياء التي خصها الله سبحانه وتعالى بأن أقسم بها و(ذلك هو إثبات القدرة

---

(١) الإتقان للسيوطي (ج١/ ص: ٧٢)، وبصائر ذوي التمييز (ج١/ ص: ٥٢٧).

(٢) التحرير والتنوير (ج٣٠/ ص: ٤١٩).

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (ج٤/ س: ٥٦٣).

(٤) آية [١] سورة التين.

(٥) آية [٨] سورة التين.

(٦) سنن أبي داود (رقم ٨٨٣) ط. دار القبلة. والترمذي (رقم: ٣٣٤٧) ط. دار الحديث.

الكاملة وهو المشار إليه باسمها، فإن في خلق التين والزيتون من الغرائب مايدل على ذلك، وكذا فيما أُشير إليه بذلك من النبوات وضم القسم إلى المقسم عليه وهو الإنسان، الذي هو أعجب مافي الأكوان)(١).

(التين هو الثمرة المباركة التي ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز وأقسم بها (والتين والزيتون وطور سينين) وقد عرفه الفينيقيون واستعملوه كغذا ودواء، فصنعوا منه لزقات تشفي من البثور، واستعمله الفراعنة علاجاً لآلام المعدة، وجاء العلم الحديث ليكرس أهمية التين في البرامج الغذائية، وليكشف له منافع عديدة واستعمالات واسعة، والتين نبات شجري كبير، تؤكل ثماره، رطبة وجافة، منه الأبيض الفرنسي والأصفر الدسم والبنفسجي الطبي)(٢).

بهذا كان لسورة التين أهمية كبيرة لأنها وضحت آياتها في (القسم على خِلْقة الإنسان، ورجوع الكفار إلى النيران، وأكرم المؤمنين، بأعظم المثوبات الحسان، وبيان أن الله حكيم وأحكم في قوله: ﴿**أليس الله بأحكم الحاكمين**﴾(٣).

المطلب الثاني: أسماؤها.

لقد سميت هذه السورة (التين) في معظم كتب التفسير والمصاحف.

وسورة (التين) وهي من السور ذات الاسم الواحد كذلك، سميت (التين) لمفتتحها(٤).

---

(١) نظم الدرر (ج٢٢/ ص: ١٣٠).

(٢) الموسوعة الغذائية د. علي محمود عويضة ط. دار المعارف والراية.

(٣) آية [٨] سورة التين، بصائر ذوي التمييز (ج١/ ص: ٥٢٧).

(٤) الإتقان للسيوطي (ج١/ ص: ٧٢)، التحرير والتنوير (ج٣٠/ ص: ٤١٧).

المطلب الثالث : اسم السورة (دلالات وإشارات) .

إن سورة التين : من السور التي أقسم الله فيها بالتين، وهو يقسم بما يشاء في ملكه . على هذا دلت تسمية السورة ومدى علاقة السورة باسمها، الذي حمل لنا دلالات إشارية يعجز عنها العقل، ولايحيط بها الفكر لأنها من كلام الله الذي لايشبع منه المسلم .

ونحن في صدد ذكر السور التي جاءت تحت معنى القدرة فقد حملت إلينا السورة في طياتها تجليات القدرة الربانية في ذكر ما أقسم عليه سبحانه وتعالى، لما فيها من قدرات جعلت لهذه السورة تميزا عن غيرها، وفيها دلالات تحمل القارىء لها على فهم ما أودع فيها من أسرار الخلق، وتضع له إشارات توضح له منهج ومقصد الحياة من البداية إلى النهاية، ولأن (التين أحسن الفواكه تقويما فيما ذكروا من فضيلته، وهو مع كونه فاكهة شهية حلوة جداً غذاء يقيم الصلب وقوت كالبر، وهو مع ذلك في سرعة فساده وسوء تغيره أسفلها رتبة وأردؤها مغبة، فهو كالفطرة الأولى في مبدئه سهولة وحسناً وقبولاً لكل من الإصلاح والتغير، كآخر الهرم عند نهايته في عظيم تغيره، بحيث أنه لاينتفع بشيء منه إذا تغير، وغيره من الفواكه إذا فسد جانب منه بقي آخر، فكان في هذا كالقسم للسافل من الإنسان أقسم الله تعالى به)(١) فدل بهذا على علاقة السورة باسمها، حيث دل اسمها على مضمونها لأننا إذا نظرنا بإشارات لطيفة في حال الإنسان وإنه يرجع إلى أسفل سافلين فكذلك التين فإن الخراب يسرع إليه فدل مقصدها في القسم بأن هذا التين مع مافيه من لذة إلا أنه يتغير، وكذلك حال الإنسان فإنه متغير، وعلى ذلك دل القسم الثاني من السورة عندما تحدثت عن الإنسان (فأفادت الآية أن الله كوّن الإنسان تكويناً ذاتياً متناسباً مع

---

(١) نظم الدرر (ج٢٢/ ص: ١٣٤).

ماخلق له نوعه من الإعداد لنظامه وحضارته، وليس تقويم صورة الإنسان الظاهرة هو المتغير عند الله تعالى ولاجديراً بأن يقسم عليه إذ لا أثر له في إصلاح النفس وإصلاح الغير، والأصلاح في الأرض، ولأنه لو كان هو المراد، لذهبت المناسبة التي في القسم بالتين والزيتون وطور سينين، والبلد الأمين، وإنما هو متمم لتقويم النفس قال النبي ﷺ: «**إن الله لاينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم**»(١)، فإن العقل أشرف ماخُص به نوع الإنسان من بين الأنواع)(٢).

(١) رواه مسلم، رقم (٢٥٦٤) المكرر (٣٣) كتاب البر والصلة.
(٢) التحرير والتنوير (ج. ٣/ ص: ٤٢٤).

المبحث الخامس

سورة العلق

وتشتمل على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : فضلها وأهميتها.

المطلب الثاني : أسماؤها.

المطلب الثالث : اسم السورة (دلالات وإشارات).

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ اقرأ بسم ربك الذي خلق(١) خلق الإنسان من علق(٢) اقرأ وربك الأكرم(٣) الذي علم بالقلم(٤) علم الإنسان مالم يعلم(٥) كلا إن الإنسان ليطغى(٦) أن رآه استغنى(٧) إن إلى ربك الرجعى(٨) أرأيت الذي ينهى(٩) عبداً إذا صلى(١٠) أرأيت إن كان على الهدى(١١) أو أمر بالتقوى(١٢) أرأيت إن كذب وتولى(١٣) ألم يعلم بأن الله يرى(١٤) كلا لئن لم ينته لنسعفاً بالناصية(١٥)

التفسير (الجلالين) :

(١) (اقرأ) أوجد القراءة مبتدأً (باسم ربك الذي خلق) الخلائق.

(٢) (خلق الإنسان) الجنس (من علق) جمع علقة وهي القطعة اليسيرة من الدم الغليظ.

(٣) (اقرأ) تأكيد للأول (وربك الأكرم) الذي لا يوازيه كريم، حال من الضمير في اقرأ.

(٤) (الذي علم) الخط (بالقلم) وأول من خط به إدريس عليه السلام.

(٥) (علم الإنسان) الجنس (مالم يعلم) قبل تعليمه من الهدى والكتابة والصناعة وغيرها.

(٦) (كلا) حقاً (إن الإنسان ليطغى).

(٧) (أن رآه) أي نفسه (استغنى) بالمال، نزلت في أبي جهل، ورأى علمية واستغنى مفعول ثان وأن رآه مفعول له.

(٨) (إن إلى ربك) يا إنسان (الرجعى) الرجوع، تخويف له فيجازي الطاغي بما يستحقه.

(٩) (أرأيت) في الثلاثة مواضع للتعجب (الذي ينهى) هو أبو جهل.

(١٠) (عبداً) هو النبي ﷺ (إذا صلى).

(١١) (أرأيت إن كان) المنهي (على الهدى).

(١٢) (أو) للتقسيم (أمر بالتقوى).

(١٣) (أرأيت إن كذب) أي الناهي النبي (وتولى) عن الإيمان.

(١٤) (ألم يعلم بأن الله يرى) ما صدر منه، أي يعلمه فيجازيه عليه، أجب عنه يا مخاطب من حيث نهيه عن الصلاة ومن حيث النهي على الهدى آمر بالتقوى، ومن حيث أن الناهي مكذب متول عن الإيمان.

(١٥) (كلا) ردع له (لئن) لام قسم (لم ينته) عما هو عليه من الكفر (لنسعفاً بالناصية) لنجرن بالناصية إلى النار.

ناصيةٍ كاذبةٍ خاطئةٍ(١٦) فليدع ناديه(١٧) سندع الزبانية(١٨) كلا لا تطعه واسجد واقترب(١٩) ﴾.

---

(١٦) (ناصية) بدل نكرة من معرفة (كاذبة خاطئة) وصفها بذلك مجاز والمراد صاحبها.

(١٧)(فليدع ناديه)أهل ناديه وهو المجلس ينتدى ويتحدث فيه القوم، وكان قال للنبيﷺ لما انتهره حيث نهاه عن الصلاة :لقد علمت ما بها رجل أكثر نادياً مني، لأملأن عليك هذا الوادي إن شئت خيلا جردا ورجالاً مرداً.

(١٨)(سندع الزبانية)الملائكة الغلاظ الشداد لإهلاكه كما في الحديث «لو دعا ناديه لأخذته الزبانية عياناً».

(١٩)(كلا) ردع له (لا تطعه) يا محمد في ترك الصلاة (واسجد) صلّ لله (واقترب) منه بطاعته.

المطلب الأول: فضلها وأهميتها.

سورة العلق من السور المكية بالاتفاق لشهرتها.

و(هي أول سورة نزلت في القرآن كما ثبت في الأحاديث الصحيحة الواضحة، ونزل أولها بغار حراء على النبي ﷺ، وهو مجاور فيه في رمضان ليلة سبع عشرة من سنة أربعين - من ولادته المباركة - بعد الفيل إلى قوله: ﴿**علَّم الإنسان مالم يعلم**﴾(١)

ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة عن عائشة (رضي الله عنها)، وفيه حديث عن أبي موسى الأشعري وهو الذي قاله أكثر المفسرين من السلف والخلف)(٢).

فضلها:

سورة العلق أول سورة أُنزلت، ولم يُذكر شيء في فضلها إلا أنها أول سورة نزلت على رسول الله ﷺ، كما جاء في الصحيحين عن عائشة (رضي الله عنها) قولها في حديث طويل عن بدء الوحي، منه (حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ. قال فقلت: ما أنا بقارىء فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ. فقلت: ما أنا بقارىء فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ فقلت: ما أنا بقارىء فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: ﴿**اقرأ باسم ربك الذي خلق**﴾ إلى ﴿**مالم يعلم**﴾(٣). (٤).

---

(١) آية [٥] سورة العلق.

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور (ج٣/ ص: ٤٣١).

(٣) آية [١, ٥] سورة العلق.

(٤) صحيح البخاري (ج١/ ص: ٦٧ - ٦٨) ط، دار أبي حبان ١٩٩٦م.

أما أهميتها:

فسورة العلق من السور التي تحدثت عن القوة الكامنة الموضوعة من قبل رب العالمين لهذه العلقة التي يخلق منها أفضل الخلق. فجاءت السورة هذه تشير إلى محمدﷺ: بأنك قوي فأنت مخلوق من علقة جعل الله فيها سر قدرته (أي في الصورة) وفيها كذلك أمره لك بالقراءة فدل (إن (اقرأ) يشير إلى الأمر (والعلق) يشير إلى الخلق. و(اقرأ يدل على البداية وهي العبادة بالمطابقة، وعلى النهاية وهي النجاة يوم الدين باللازم، والعلق يدل على كل من النهاية ثم البداية بالالتزام، لأن من عرف أنه مخلوق من دم عرف أن خالقه قادر على إعادته من تراب، فإن التراب أقبل للحياة من الدم، ومن صدَّق بالإعادة عمل لها، وخص العلق لأنه مركب الحياة)(١).

وبما أن سورة العلق أول سورة منزلة كانت أهميتها عظيمةً لأنها جمعت أساس العلم وهو القراءة ثم أساس الحياة وهو العلق فكان العلم والعلق متعانقين ليصلا بالإنسان إلى كمال النعمة، وهي طاعة الله عز وجل.

---

(١) نظم الدرر (ج٣٠/ ص: ١٥١).

المطلب الثاني: أسماؤها.

سورة العلق من السور التي اشتهرت باسمين:

أولهما: أنها(سميت في المصاحف ومعظم كتب التفاسير (سورة العلق) لوقوع لفظ (العلق) في أوائلها)[1].

وعنونها البخاري (سورة اقرأ باسم ربك الذي خلق)[2].

ثانيهما: أنها (اشتهرت في عهد الصحابة والتابعين بهذا الاسم، وذكرها صاحب الإتقان في أسماء السور المكية بأن اسمها (اقرأ باسم ربك)[3].

---

(١) التحرير والتنوير (ج٣٠/ ص: ٤٣١).

(٢) صحيح البخاري تفسير سورة اقرأ.

(٣) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (ج١/ ٧٢).

المطلب الثالث: اسم السورة (دلالات وإشارات).

إن مسمي سورة (العلق) يشير إلى معنى القدرة وأن هذه السورة من السور التي جاءت تحت معنى القدرة، فعلاقة السورة باسمها يدل على إشارات عظيمة بين اسمها ومضمونها، وهي تفتتح بالعلق بل افتتحت بالقراءة ومع ذلك كان العلق هو سر القوة الخفية في تكوين هذا الإنسان الذي خلق من علق.

(ومعنى ﴿خلق الإنسان من علق﴾[1]:

أن نطفة الذكر ونطفة المرأة بعد الاختلاط ومضي مدة كافية تصيران علقة، فإذا صارت علقة فقد أخذت في أطوار التكون، فجعلت العلقة مبدأ الخلق ولم تجعل النطفة مبدأ الخلق لأن النطفة اشتهرت في ماء الرجل فلو لم تخالطه نطفة الأنثى لم تصر العلقة، فلا يتخلق الجنين، وفيه إشارة إلى أن خلق الإنسان من علق ثم مصيره إلى كمال أشده وهو خلق ينطوي على قوى كامنة وقابليات عظيمة أقصاها قابلية العلم والكتابة)[2].

ومن هنا كانت قوة معنى اسم السورة في مضمونها الذي تحدث عن (مظاهر القدرة والعلم وكمال النعم التي أنعم بها على الإنسان، ومقتضى ذلك ألا يكفر به أحد، ولكن الإنسان كفر وبغى فأراد الله أن يبين السبب، وأنه حب الدنيا والغرور بها والحرص عليها حتى تشغله عن النظر في الآيات الكبرى)[3]، التي أشارت دلالاتها على مدى القوة في النوع الحيواني وأقواه نوع بني البشر الذي مكنه الله واستخلفه في أرضه، والعلاقة هنا تناولت الحديث عن مبدأ العلم ثم اتجهت إلى مبدأ خلق الإنسان ثم بينت حال هذا الإنسان، فكل هذه الدلالات تشير إلى معنى قوي

---

(١) آية [٢] سورة العلق.

(٢) التحرير والتنوير (ج٣٠/ ص: ٤٣١).

(٣) التفسير الواضح (ج٣/. ص: ٨٨٤).

وهو الذي (علم الإنسان مالم يعلم، فشرفه وكرمه بالعلم وهو القدر الذي امتاز به أبو البرية آدم على الملائكة، والعلم تارة يكون في الأذهان، وتارة يكون في اللسان، وتارة يكون في الكتابة بالبنان، ذهني، ولفظي، ورسمي)[1].

فكان العلم بذلك هو شرف الإنسان ومحور حياته في الاستقامة والضلال لهذا جاءت دلالات السورة تشير إلى أهمية سورة العلق التي تناولت القراءة والعلم الذي من خلاله يتعرف الإنسان على أصل خلقته وهي العلقة ثم طرق تكوينه، ثم سلوك طريق الصلاح والنجاح أو طريق الفساد والخراب وعلى هذا كان لسورة العلق تأثير عظيم على صغر حجم آياتها إلا أنها حَوَتْ معاني عظيمة مهما تناولتها الأقلام فلن تصل إلى مكنونها لأنها هي سر الأقلام، وكان مبدأ القراءة والقلم من عند هذه السورة (التي هي أول مانزل أنسب الأمور، لأن أول الواجبات معرفة الله وهي بالنظر إلى أفعاله في غاية الوضوح فقال: ﴿الذي خلق﴾[2]

وحذف مفعوله إشارة إلى أن له هذا الوصف وهو التقدير والإيجاد على وفق التقدير الآن، وفيما كان وفيما يكون، فكل شيء يدخل في الوجود فهو من صنعه ومتردد بين إذنه ومنعه وضره ونفعه.

ولما كان الحيوان أكمل المخلوقات، وكان الإنسان أكمل الحيوان وزبدة مخضه ولباب حقيقته وسر محضه وأدل على تمام القدرة لكونه جامعا لجميع ما في الأكوان. فكان خلقه أبدع من خلق غيره فكان لذلك أدل على كمال الصانع وعلى وجوب إفراده بالعبادة فقال: ﴿خلق الإنسان﴾[3]،

أي هذا الجنس الذي من شأنه الأنس بنفسه وما رأى من أخلاقه وحسه، وما ألفه من أبناء جنسه)[4].

---

(١) تفسير القرآن العظيم (ج٤/ ص: ٥٦٤).
(٢) آية [١] سورة العلق.
(٣) آية [٢] سورة العلق.
(٤) نظم الدرر (ج٢٢/ ص: ١٥٤ - ١٥٥).

المبحث السادس

سورة العاديات

وتشتمل على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : فضلها وأهميتها.

المطلب الثاني : أسماؤها.

المطلب الثالث : اسم السورة (دلالات وإشارات).

﴿ والعاديات ضبحاً(١) فالموريات قدحاً(٢) فالمغيرات صبحاً(٣) فأثرن به نقعاً(٤) فوسطن به جمعاً(٥) إن الإنسان لربه لكنود(٦) وإنه على ذلك لشهيد(٧) وإنه لحب الخير لشديد(٨) أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور(٩) وحصل ما في الصدور(١٠) إن ربهم بهم يومئذٍ لخبير(١١) ﴾.

التفسير (الجلالين):

(١) (العاديات) الخيل تعدو في الغزو وتصبح (ضبحاً) هو صوت أجوافها إذا عدون.

(٢) (فالموريات) الخيل تغير الناري (قدحاً) بحوافرها إذا سارت في الأرض ذات الحجارة بالليل.

(٣) (فالمغيرات صبحاً) الخيل تغير على العدو وقت الصبح بإغارة أصحابها.

(٤) (فأثرن) هيجن (به) بمكان عدوهن أو بذلك الوقت (نقعاً) غباراً بشدة حركتهن.

(٥) (فوسطن به) بالنقع (جمعاً) من العدو، أي سرن وسطه أوعطف الفعل على الإسم لأنه في تأويل الفعل أي والتي عدون فأورين فأغرن.

(٦) (إن الإنسان) الكافر (لربه لكنود) لكفور يجحد نعمته تعالى.

(٧) (وإنه على ذلك) الكنود (لشهيد) يشهد على نفسه بصنعه.

(٨) (وإنه لحب الخير) المال (لشديد) الحب له فيبخل به.

(٩) (أفلا يعلم إذا بعثر) أثير وأخرج (مافي القبور) من الموتى، أي بعثوا.

(١٠) (وحصل) بيّن وأفرز (مافي الصدور) القلوب من الكفر والإيمان.

(١١) (إن ربهم بهم يومئذ لخبير) لعالم فيجازيهم على كفرهم، أعيد الضمير جمعاً نظراً لمعنى الإنسان، وهذه الجملة دلت على مفعول يعلم، أي إنا نجازيه وقت ما ذكر، وتعلق خبير بيومئذ، وهو تعالى خبير دائما ،لأنه يوم المجازاة.

المطلب الأول: فضلها وأهميتها.

إن سورة العاديات من السور المكية[1] وعدد آياتها إحدى عشرة[2]، وعدت الرابعة عشرة في ترتيب نزول السور عند جابر بن يزيد بناء على أنها مكية. نزلت بعد سورة العصر وقبل الكوثر[3].

فضلها:

لم نقف على نص خاص بها وإنما هي من عموم القرآن الكريم الذي لا تخلو آية منه ولا كلمة من فضل ومنّة ونور ورحمة، ومن هداية وشفاء حتى قيل: خذ من القرآن ما شئت لما شئت.

أما أهميتها:

فسورة العاديات كما هو اسمها يدل على نوع من أنواع القوة في صنف من أصناف الحيوانات التي خصها الله بالقوة عن بقية مثيلاتها، وهي تبين (شرف الغزاة في سبيل الرحمن، وذكر كفران الإنسان، والخبر عن اطلاع الملك الديان على الإسرار والإعلان، وذم محبة ماهو فان، والخبرعن إحياء الأموات بالأجساد والأبدان، وأنه تعالى خبير بما خلق من الطاعة والعصيان)[4].

ولأهمية مقاصد القرآن الكبرى جاءت هذه السور والعاديات خاصة في آياتها الأخيرة تنوه إلى ذم خصال تفضي بأصحابها إلى الخسران في الآخرة، وهي خصال غالبة على المشركين والمنافقين، ويراد تحذير المسلمين منها، ووعظ الناس بأن وراءهم

---

(١) الإتقان للسيوطي (ج١/ ص: ٧٢).
(٢) بصائر ذوي التمييز (ج١/ ٥٣٧)، التحرير والتنوير (ج٣٠/ ص: ٤٩٧).
(٣) التحرير والتنوير (ج٣٠/ ص: ٤٩٧).
(٤) بصائر ذوي التمييز (ج١/ ٥٣٧)

حسابا على أعمالهم بعد الموت ليتذكره المؤمن ويهدد به الجاحد، وأكد ذلك كله بأن افتتح بالقسم، وأدمج في القسم التنويه بخيل الغزاة أو رواحل الحجيج[1].

المطلب الثاني: أسماؤها.

وسورة العاديات من السور التي اشتهرت باسم واحد وهو (العاديات)[2] وسميت بالعاديات لمفتتحها[3]، وقد علم أن اسمها أدل شيء على ذلك، لما هدى إليه القسم والمقسم عليه[4].

(١) التحرير والتنوير (ج٣٠/ ص: ٤٩٨).
(٢) الإتقان للسيوطي (ج١/ ص: ٧٢).
(٣) نظم الدرر للبقاعي (ج٢٢/ ص: ٢١٠).
(٤) بصائر ذوي التمييز (ج١/ ص: ٥٣٧).

المطلب الثالث : اسم السورة (دلالات وإشارات) .

(العاديات) كلمة جاءت تحت معنى أُشير إليه ألا وهو القوة، ونُسِبَت هذه القوة إلى هذا الحيوان لكونه مقر القسم الذي أقسم به خالقه سبحانه وتعالى، فكان بذلك أحق من غيره من الحيوانات لأنه أصبح مميزاً في كتاب الله تعالى . فمن عنوان السورة الذي اتخذ من افتتاحيتها (والعاديات) كانت هناك صلة عظيمة بين اسم السورة ومضمونها الذي يتحدث عن القوة التي تميز بها هذا الحيوان، وليكون كذلك عبرة في جواب القسم وهو الإنسان ويتضح ذلك عند قوله تعالى: ﴿ **والعاديات** ﴾(١) :

(أقسم بثلاثة أشياء : العاديات، والموريات، والمغيرات. وجعل جواب القسم أيضاً في ثلاثة أشياء : إن الإنسان لربه لكنود، وإنه على ذلك لشهيد، وإنه لحب الخير لشديد)(٢) .

للمتمعن في علاقة السورة باسمها يجد ربط الدلالة قوياً جداً بين موضع السورة، والذي هو اندفاع القوة في (العاديات)، وبين مضمون السورة الذي تناول جوانب مختلفة في القوة، وعلى ذلك دلت إشاراتها في القسم بهذا النوع القوي، وفي جواب القسم وهو الأقوى لأن قوته هي التي تسيطر على القوة الأولى ، وذلك من خلال تحكم الإنسان بهذه الخيل القوية، التي أشير إليها (بدلالات القوة من خلال أوصافها التي وصفها الله سبحانه وتعالى في قوله :

﴿ **والعاديات ضبحا** ﴾(٣)،﴿ **فالموريات قدحا** ﴾(٤)، ﴿ **فالمغيرات** ﴾(٥) .

---

(١) آية [١] سورة العاديات .

(٢) بصائر ذوي التمييز (ج١/ ص: ٥٣٧).

(٣) آية [١] سورة العاديات .

(٤) آية [٢] سورة العاديات .

(٥) آية [٣] سورة العاديات .

فقد: (أقسم الله بالخيل الشديدة العدو التي تخرج من أفواهها زفيراً عالياً، فالتي توري النار أثناء الجري، وتغير على العدو في الصبح، وتعبر النقع، وتتوسط به جميع الأعداء، تلك أوصاف للخيل التي يجاهد بها أصحابها في سبيل الله، وهذا شرف كبير، ولذلك أقسم الله بها، على أن الخيل من الدواب التي لها مكانتها، وهي كما قال ابن العربي: ظهورها حرز وبطونها كنز)[1].

وهناك دلالة أخرى أشار إليها القرآن الكريم في هذه السورة هي عظمة تناسق هذه الآيات في وحدة مضمونها مع اختلاف ألفاظها، وهذا يدل على مدى عمق الترابط بين اسم السورة وعلاقة مضمونها، الذي يشير إلى أهمية هذا الترابط من خلال تلك الإشارات الموحية للقارىء بأن هذا القرآن وحده الذي يعالج مختلف القضايا في مكان واحد أو أماكن متفردة، وهنا وفي هذه السورة نجد كيف جاءت الدلالات الإشارية في قوله تعالى: ﴿والعاديات﴾[2]،

أي الدواب التي من شأنها أن تجري بغاية السرعة، وهي الخيل التي ظهورها عز وبطونها كنز، وهي لرجل وزر ولرجل أجر، فمن فاخر بها وفادى بها أهل الإسلام وأبطره عزها حتى قطع الطريق وأخاف الرفيق كانت له شراً، ومن جعلها في سبيل الله كانت له أجراً، ومن حمل عليها ولم ينس حق الله في رقابها وظهورها كانت له ستراً، وإنما أقسم بها ليتأمل مافيها من الأسرار الكبار التي باينت به أمثالها من الدواب كالثور مثلاً والحمار، ليعلم الذي خصها بذلك فاعل مختار واحد قهار فالقسم في الحقيقة به سبحانه)[3].

---

(١) التفسير الواضح (ج٣/ ص: ٨٩٥).

(٢) آية [١] سورة العاديات.

(٣) نظم الدرر للبقاعي (ج٢٢/ ص: ٢١١).

ولا شك أن هناك لفتة كبرى لبيان خيرية هذه الأمة، لأن الخيل في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، والحق إذا أقسم بشيء فقد نوه بعظمته، ثم إن القسم توجيه إلى وظيفتها من حيث ما تحدثه في أرض المعركة، ومن حيث زمن إغارتها، ثم بين الحق حقيقته في الإنسان وهو الكنود والحضور بالمشاهدة، ومنطق يوم القيامة وسيعلم أنه حب المال والعبودية للمال من أعظم الأسباب التي تحجب البشر عن الخير الكثير.

الباب الثاني

دلالات الأسماء في القصص القرآني

الباب الثاني

دلالات الأسماء في القصص القرآني

ويشتمل على تمهيد وثلاثة فصول

الفصل الأول : الإشارة إلى التحولات الكبرى.

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : سورة القصص.

المبحث الثاني : سورة سبأ .

المبحث الثالث : سورة الفيل.

الفصل الثاني : الأنبياء والاقتداء بهم.

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : سورة إبراهيم.

المبحث الثاني : سورة محمد ﷺ .

المبحث الثالث : سورة نوح.

الفصل الثالث : أسماء ومعالم في الألفاظ.

ويشتمل على أربعة مباحث :

المبحث الأول : سورة الحجر.

المبحث الثاني : سورة الأحقاف.

المبحث الثالث : سورة المنافقون.

المبحث الرابع : سورة الكافرون.

التمهيد:

القصة ووظيفتها في الحياة:

للقصة أثر كبير واضح في الحياة منذ أقدم العصور وإلى يومنا هذا، وقد استخدمها الأدباء منذ عصور قديمة في التأثير على مجريات الأحداث في شتى المجالات، الإجتماعية والسياسية وغيرها، لذا (سمى القرآن الأحداث والوقائع قصصا، وبالنظر في المعنى اللغوي للقصة نرى أن أصل اشتقاقها يتفق مع المفهوم الذي قام عليه أصل التسمية للقصص القرآني، فالقصة مشتقة من القص وهي تتبع الأثر. قال تعالى: ﴿ **وقالت لأخته قصيه** ﴾(١)

أي: تتبعي آثاره على ما انتهى إليه أمره، ومن هذا قولهم: قص الأثر، أي: نظر فيه، واقتفى آثاره وشواهده. يقال: قصصت أثره واقتصصته، وتقصصته، وخرجت في أثر فلان قصصا، وفي القرآن: ﴿ **قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا** ﴾(٢)، وقص عليه الرؤيا، قال تعالى: ﴿ **لا تقصص رؤياك على إخوتك** ﴾(٣)، (فالقص للأثر مثل رفع البصمات ليستدل منها على ما وراءها من أحداث مضت، وليمسك بما يقدر على إمساكها منها، والقصة في القرآن إنما تتبع أحداثاً ماضية واقعة وتعرض منها ما ترى عرضه)(٤).

---

(١) آية [١١] سورة القصص.

(٢) آية [٦٤] سورة الكهف.

(٣) آية [٥] سورة يوسف.

(٤) فن علوم القرآن (ص: ١٨٧) د. فؤاد على رضا، ط٢ دار اقرأ بيروت ١٩٨٣.

يقول الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم:

والقصة أسلوب من أساليب التغيير الهادئة البعيدة الأثر وليست كالوعظ الذي تنفر منه القلوب غالباً لأنه حديث مباشر مصحوب في كثير من الأحيان بالوعيد والتخويف والإنذار، لذا كان قليل الأثر إلا عند قلة من الناس، أما القصة فتتسرب معانيها وأخيلتها إلى النفوس دون استفزاز للمشاعر، فالمعاني المباشرة فيها غير واضحة عن عمد حتى لا تنقلب إلى ضرب من الوعظ المباشر، ولهذا كانت عظيمة التأثير عبر العصور كلها خاصة في الأدب المعاصر الذي تستحوذ فيه القصة على النصيب الأكبر، وخاصة بعدما تراجع دور الشعر وانحسر تأثيره على الجمهور وصار ترفاً يدور بين الخاصة. وأما القصص القرآني فقد امتاز (بسمو غاياته وشريف مقاصده وعلو مراميه، اشتمل على فصول في الأخلاق مما يهذب النفوس ويجمل الطباع وينشر الحكمة والآداب، وعلى طرق التربية والتهذيب قصص تساق أحيانا مساق الحوار وطورا مسلك الحكمة والاعتبار وتارة مذهب التخويف والانذار، كما حوى كثيراً من تاريخ الرسل مع أقوامهم والشعوب وحكامهم، وشرح أخبار قوم هدوا فمكن الله لهم في الأرض، وأقوام ضلوا فساءت حالهم وخربت ديارهم ووقع عليهم العذاب والنكال، يُضرب بسيَرهم المثل، ويدعو الناس إلى العظة والتدبر، كل هذا قصَّه الله في قول بيِّنٍ وأسلوب حكيم ولفظ رائع وافتتان عجيب ليدل الناس على الخلق الكريم، ويدعوهم إلى الإيمان الصحيح، ويرشدهم إلى العلم النافع، بأحسن بيان وأقوم سبيل وليكون مثلهم الأعلى فيما يسلكون من طرق التعليم، ونبراسهم فيما يصطنعون من وسائل الإرشاد)(١).

لهذا نجد اليوم أن القصة تعاظم دورها أكثر من ذي قبل عندما حولت إلى شكل

(١) قصص القرآن. تأليف محمد أبو الفضل إبراهيم (ص: ٨) المقدمة، ط، العاشرة ١٩٦٩.

تمثيلي في روايات لا تنقطع عن كل بيت معاصر، تبثها وسائل الإعلام مسموعة ومرئية، وبهذا انقلبت الحياة المعاصرة انقلاباً عظيماً في كل أنحائها بسبب تأثير القصة، والقرآن الكريم الذي لا تنقضي عجائبه كان سابقاً إلى الاهتمام بالقصة التي أخذت حيزاً كبيراً بين دفتيه، بل سمى سورة كاملة منه باسم القصص وفي هذا اعتراف واضح بدور القصة، ويبيِّن لنا أن في القصص عبرة لأولى الألباب، وبهذا فهو يسمو بأدب القصة ويضعه سلاحاً ماضياً في التأثير والتغيير، وقد تنوعت قصص القرآن تنويعاً عجيباً يتناول كل جوانب الحياة تقريباً، وهذا كله يدعونا إلى التأمل أكثر وأكثر لنعيد ترتيب أفكارنا من جديد نحو أدب القصة للخروج بالدعوة الإسلامية من رتابة أدوارها الحاليَّة العقيمة التي حصرتها في الوعظ على المنابر عند أكثر الناس، إلى رحاب القرآن العظيم الذي أطنب في القصة(١) ونوَّع من مقاصدها ومعالجتها، و(تحليلها من حيث عوامل التأثير فيها، ومن حيث منهجها القصصي، ومصادر المعرفة فيها، ودورها في التوجيه والتربية وغرس الإيمان، وتحليل عناصرها من حوار وأحداث وأشخاص، مما يمكن من الوقف على ما فيها من إبداع فني يكشف عن أسرار اعجازها البياني، وإقناع عقلي يلزم بالحجة ويهدي إلى الحق، وتأثير وجداني ليغذي المشاعر ويسمو بالنفس)(٢)، لندرك في النهاية أن القرآن الكريم عندما اتجه هذا الاتجاه وسمى سورة باسم القصص فكأنما أراد لنا أن نسمو بهذا الأدب، لأن الاسم من السمو كما سلف ذكره في هذا البحث، وهذه دعوة من القرآن الكريم لكل المعلمين والدعاة من أئمة الإسلام أن يعطوا فن القصص أهمية أسبغها عليه القرآن الكريم، ليستخدم في البناء والتوعية والنهضة، ولا يترك للمفسدين ليستخدموه في الهدم والفساد كما هو جارٍ الآن مع الأسف الشديد في معظم الأحيان.

---

(١) المراد بالقصة هو البيان الواقعي وهذا عين الوعظ والإرشاد بأسلوب آخر.

(٢) سيكولوجية القصة في القرآن (ص: ٢٣)د. التهامي نقره، ط٢. الشركة التونسية للتوزيع ١٩٨٧.

الفصل الأول

الإشارة إلى التحولات الكبرى

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : سورة القصص.

المبحث الثاني : سورة سبأ.

المبحث الثالث : سورة الفيل.

المبحث الأول

سورة القصص

الآيات (٢٣ - ٢٥)

وتشتمل على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : فضلها وأهميتها.

المطلب الثاني : أسماؤها.

المطلب الثالث : اسم السورة (دلالات وإشارات).

قال تعالى: ﴿ ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمةً من الناس يسقون ووجد من دونهم أمرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير[٢٣] فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال رب إني لمآ أنزلت إليَّ من خير فقير[٢٤] فجاءته إحداهما تمشي على أستحيآء قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فلما جآءه وقصَّ عليه القصص قال لاتخف نجوت من القوم الظالمين[٢٥] ﴾.

التفسير:

﴿ ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم أمرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاءُ وأبونا شيخ كبير ﴾ آية [٢٣]: أي ولما وصل إلى مدين ورد ماءها وقد كان لها بئر يردهُ رعاء الشاء فوجد جماعة منهم يسقون نعمهم ومواشيهم ووجد في مكان أسفل من مكانهم أمرأتين تكفان غنمهما أن ترد مع غنم أولئك الرعاة لئلا يؤذوهما، فلما رآهما موسى رق لهما ورحمهما، قال: ما خبركما، ولم لا تردان الماء مع هؤلاء القوم؟ فأجابتاه، قالتا: لا نسقي غنمنا إلا إذا فرغ هؤلاء من السقي وأبونا شيخ كبير لا يستطيع السقي بنفسه، فنحن نلجأ إلى ما ترى، تشرب مواشينا فضل الماء.

﴿ فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال رب إني لمآ أنزلت إليَّ من خير فقير ﴾ آية[٢٤]:

أي فسقى لهما غنمهما، ثم انصرف إلى ظل شجرة ليقيل ويستريح، وناجى ربه قائلاً: إني لمحتاج إلى شيء تنزله إليَّ من خزائن جودك وكرمك.

﴿ فجاءته إحداهما تمشي على أستحيآء قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا ﴾

أي فجاءته إحدى المرأتين تمشي وهي حيية قد سترت وجهها بثوبها قائلة : إن أبي يدعوك ليكافئك على ما صنعت من الإحسان وأسديت إلينا من المعروف بسقي غنمنا .

﴿ فلما جآءه، وقصَّ عليه القصص قال لاتخف نجوت من القوم الظالمين ﴾ آية[٢٥]

أي فلما جاء موسى هذا الشيخ وحدثه حديثه مع فرعون وآله في كفرهم وطغيانهم وإذلالهم للعباد وتآمرهم على قتله وهربه منهم بعد الذي علمه ـ قال له : لا تخف من حولهم وطولهم إنك قد نجوت من سطوة هؤلاء الظلمة إذ لا سلطان لهم علينا ولسنا في دائرة ملكهم(١) .

(١) تفسير المراغي (ج٧/ ص: ٤٩ - ٥١) ط، دار الفكر ١٩٧٤ .

المطلب الأول: فضلها وأهميتها:

إن سورة القصص من السور المكية بالاتفاق وعدد آياتها ثمانية وثمانون[1]، وهي الثامنة والعشرون من سور القرآن الكريم[2]، وهي السورة التاسعة والأربعون في عداد نزول سور القرآن، نزلت بعد النمل وقبل الإسراء[3].

فضلها:

لم نقف على نص خاص بها وإنما هي من عموم القرآن الكريم الذي لا تخلو آية منه ولا كلمة من فضل ومنَّة ونور ورحمة، ومن هداية وشفاء حتى قيل: خذ من القرآن ما شئت لما شئت.

أما أهميتها:

فيقول صاحب التفسير الواضح:

سورة (القصص) من السور العظيمة التي تحدثت باستفاضة عن أخبار أمم سابق،ة وأشارت إلى التحولات التي حصلت لتلك الأمم، وكيف تعاقب عليها الزمن، وكيف تغيرت عليها خلال هذه الفترة الزمنية الأفكار العقائدية، التي ظهر أثرها في التحول الكبير في الانقلاب على كل ما ألِفوه ليصبح بعد ذلك جيلاً جديداً ومثلاً يحتذى به ولهذا كانت هذه السورة من السور - التي سوف نرى كيف كانت نقطة البداية - التي تأثرت بها الأمة الإسلامية و(لذا نراها تعلم المسلمين - وقت أن كانوا يعانون العذاب من المشركين - أن النصر من عند الله، وأن الأمن في جوار الله، وأن الكفار مهما كانوا على جانب من القوة والجاه والعلم والمال، فمآلهم

---

(١) الإتقان في علوم القرآن (ج١/ ص: ٧٣)، بصائر ذوي التمييز (ج١/ ص: ٣٥٣).
(٢) نظم الدرر (ج١٤/ ص: ٢٣٢).
(٣) التحرير والتنوير (ج٢٠/ ص: ٦١).

الخسف من الله والإبادة، ولذلك ضرب الله مثلاً لهذا بفرعون ذي البطش وبقارون ذي المال وكيف كان مآله . . ووسط ذلك ساق البراهين المادية على قدرته وصدق رسله، مع ذكر بعض المواقف يوم القيامة)[1].

ولهذه الأهمية العظيمة للقصص القرآني نجد أن الله سبحانه وتعالى قد ذكر في كتابه المحكم هذه القصص وأشار إليها في تسعة مواقع[2]، في آيات مختلفة من سور القرآن التي تشير إلى القصة وأهميتها في تربية الأمة الإسلامية، فجاءت أهمية هذه السورة العظيمة من خلال سياق السور التي تؤخذ منها مفاهيم التحولات الكبرى التي حصلت للشعوب نتيجة التغيرات العقائدية والإيمانية فيسودها العدل والأمان بعد أن مزقها الظلم والعدوان، فكانت سورة القصص من السور التي يحتاجها المسلمون في ذلك الوقت ومابعده حتى يستأنسوا بكلام الله، وأنه كلما مر عليهم شيء من الظلم والقهر، كان عليهم العودة إلى المنهاج الذي أعده لهم رب العالمين الذي ربَّى أصحاب اليقين عليه فيحذو حذوهم فيفوزوا.

---

(١) التفسير الواضح (ج٢/ ص: ٨١٣).

(٢) الآية [٣] سورة يوسف، آية [٧٨] سورة غافر، آية [١٣] سورة الكهف، آية [١٢٠] سورة هود، آية [١١١] سورة يوسف، آية [١٧٦] سورة الأعراف، آية [٨٣ - ٨٦] سورة الأنعام، آية [٢٥٣] سورة البقرة، آية [٢٥] سورة القصص.

المطلب الثاني: أسماؤها.

سورة القصص من السور التي أخذت اسما واحدا واشتهرت به.

و(سميت سورة القصص، لاشتمالها عليها في قوله تعالى: ﴿وقص عليه القصص﴾[1].

و(سميت سورة القصص ولايعرف لها اسم آخر، ووجه التسمية بذلك وقوع لفظ «القصص» فيها عند قوله تعالى: ﴿فلما جآءه وقصّ عليه القصص﴾[2]، فالقصص الذي أُضيفت إليه السورة هو قصص موسى الذي قصَّه على شعيب عليهما السلام، فيما لقيه في مصر قبل خروجه منها، فلما حُكي في السورة ماقصه موسى كانت هذه السورة ذات قصص، فكان القصص متوغلا فيها، وجاء لفظ القصص في سورة يوسف ولكن سورة يوسف نزلت بعد هذه السورة)[3].

---

(١) بصائر ذوي التمييز.

(٢) آية [٢٥] سورة القصص.

(٣) التحرير والتنوير (ج٢٠/ ص: ٦١).

المطلب الثالث : اسم السورة (دلالات وإشارات) .

سورة «القصص» من السور التي تناولت (دلالات الأسماء في القصص القرآني) لهذا كان عنوان اسمها «القصص»، فجاء هذا ليدل على قوة المعاني المترابطة بين الاسم وبين المحتوى حيث كان عنوان السورة واسمها «القصص»، وفي طياتها تحدثت عن القصص والوقائع التاريخية التي حصلت، وليس لمحمدﷺ ولا أصحابه أن يعرفوها لولا نزولها من رب العزة، فكانت قصص حقيقية واقعة، تشير في سياقها المشوق إلى دلالات القصص القرآني، ومدى تأثير القصة وخطرها في قضايا الفكر والسلوك، وتبرز في عرضها إشارات كبيرة تفيد المعتبر مما سبق حدوثه .
إن سورة (القصص)تشير إلى التحولات الكبرى التي حصلت نتيجة هذه القصص، التي تخبر عنه كما جرى في سالف الوقت، ومن هنا (جاء كيان هذه السورة على قصة موسى وفرعون في البدء، وقصة قارون مع قومه في الختام .

القصة الأولى تعرض قوة الحكم والسلطان، قوة فرعون الطاغية المتجبر اليقظ الحذر وفي مواجهتها موسى طفلاً رضيعاً لاحول له ولاقوة، ولاملجأ له، ولاوقاية، إلا عناية الله ورعايته له، وقد علا فرعون في الأرض، واتخذ أهلها شيعاً واستضعف بني إسرائيل، يذبح أبنآءهم ويستحي نسآءهم، وهو على حذر منهم، وهو قابض على أعناقهم ولكن قوة فرعون وجبروته وحذره ويقظته لا تغني عنه شيئاً بل لا تمكنه من موسى الطفل الصغير، المجرد من كل قوة وحيلة، لكن في الحقيقة إن موسى في حراسة القوة الحقيقية الوحيدة لترعاه وهي العناية الإلهية .

والقصة الثانية تعرض قيمة المال، ومعها قيمة العلم، (كما تحدثت الآيات) لقد بغى فرعون على بني إسرائيل واستطال بجبروت الحكم والسلطان، واستطال بجبروت العلم والمال، وكانت النهاية واحدة فقارون خسف به وبداره، وفرعون

أغرقه الله في اليم هو وجنوده.

وبين القصتين يجول السياق مع المشركين جولات ينصر الله فيها أهل الإيمان بدلالة القصص، ويفتح أبصارهم على آيات الله المبثوثة في مشاهد الكون تارة، وفي مصارع الغابرين تارة، وفي مشاهد القيامة تارة، وكلها تؤكد العبرة المستفادة من القصص، وسوقها وتناسقها، وتؤكد أن سنة الله التي لاتتخلف ولاتتبدل على مدار الزمان)(١).

وعن هذه التحولات التي ذكرتها السورة بين الحاكم والمحكوم يتضح لنا أن الأمم تمر بمراحل زمنية يتخللها انقلاب على الفطرة السليمة فإذا حصل هذا (الانقلاب) تدخلت السنة الكونية الإلهية لإعادة الحياة إلى طبيعتها التي فطرها الله عليها.

فنرى أن فرعون يمثل حقبة من الزمن انقلبت فيها المفاهيم، حتى جاءت دعوة الحق من رب العالمين عن طريق موسى وهارون وشعيب فاصطدمت مع الباطل وأحدثت فيه تحولات فكرية وسلوكية، لذا (لا تكاد تخلو قصة في القرآن من ترهيب يشير إلى الخوف، أو ترغيب يبعث على الرجاء، فهما قوتان في الإنسان لا يستقيم أمره إلا بهما معاً)(٢)، وعندهما لا بهما يحصل تحولات الأمم من النقص - بقدر قيام حجة الله على الجميع - إلى الكمال بقدر الله مع تمام منة الله وفضله على المجتمع.

(قال الإمام الغزالي: لا يقود إلى قرب الرحمن إلا أزمة الرجاء، ولا يصدّ عن نار الجحيم إلا سياط التخويف)(٣).

---

(١) في ظلال القرآن (ج٥/ ص: ٢٦٧٤ - ٢٦٧٥).

(٢) سيكولوجية القصة في القرآن ـ د. التهامي (ص: ٢) الشركة التونسية للتوزيع ١٩٨٧.

(٣) محمد جمال الدين القاسمي: موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين (ص: ٣٣٠).

فذكر هذه القصص في الكتاب الكريم، كانت بمثابة دعوة للخروج من جمود الفكر وانحراف السلوك إلى تحرر الفكر ليتبع سبيل الرشاد، وضبط السلوك بقانون السماء، لتعم الفضيلة محل الرذيلة، والعطاء بدل النهب، والإيمان بدل الكفر الموروث بالجهل والأنانية، وعلى ذلك جاءت علاقة السورة بين الاسم والمضمون ولتجعل لهذه السورة دلالات وإشارات تظهر من خلال ماحصل من تحولات كبرى في الشعوب، حيث أصبحت بعد نزول القرآن الكريم الذي عدَّل مسار الفكر والسلوك، ليكون منهجها منهجاً ذا قوة مبنية على الإيمان، وعقيدة مبنية على حقائق الدين التي تلتمس من خلال توجيهاته ومباديه، وتأتي أهمية القصص القرآنية في تحويل الفكر الإنساني إلى الحرية وعدم الإستسلام للطغاة ولكل معاد لله وإنها ذات تأثير كبير نتج عنه هذا التحول الذي أدى إلى قيام أُمة قوية مترابطة لها كيانها الذي أسسه الإيمان بالله وبرسولهﷺ، والبراءة من كل نقص ومذلة وخوف مما سوى الله والاعتماد على ما في الكون من سنن التكامل وتطويعها لتحصيل جميع الأهداف التي تقيم الكمال الإجتماعي وترسي قواعد الجمال الاحساني والاستعداد للكمال الأخروي.

المبحث الثاني

سورة سبأ

الآيات (١٥ - ٢٠)

وتشتمل على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : فضلها وأهميتها.

المطلب الثاني : أسماؤها.

المطلب الثالث : اسم السورة (دلالات وإشارات).

قال تعالى: ﴿لقد كان لسبإ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور(١٥) فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتَيْ أُكلٍ خمطٍ وأثلٍ وشيء من سدر قليل(١٦) ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى إلا الكفور(١٧) وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياماً آمنين(١٨) فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور(١٩) ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين(٢٠)﴾.

التفسير:

(﴿لقد كان لسبأ في مسكنهم آية﴾:

لما ذكر تعالى حال الشاكرين لنعمه، بذكر داود وسليمان، بيَّنَ حال الكافرين بأنعمه، بقصة سبأ، موعظةً لقريش وتحذيراً وتنبيهاً على ما جرى لمن كفر بنعم الله تعالى، ولما ملكت بلقيس اقتتل قومها على ماء واديهم فتركت ملكها وسكنت قصرها، وراودوها على أن ترجع فأبت فقالوا: لترجعن أو لنقتلك فقالت لهم: لا عقول لكم ولا تطيعوني، فقالوا: نطيعك، فرجعت إلى واديهم وكانوا إذا مطروا أتاهم السيل من مسير ثلاثة أيام فأمرت به فسد ما بين الجبلين بالصخر والقار وحبست الماء من وراء السد وجعلت له أبواباً بعضها فوق بعض وبقيت من دونه بركة فيها اثنا عشر مخرجاً على عدد أنهارهم، وكان الماء يخرج لهم بالسوية إلى أن كان من شأنها مع سليمان عليه السلام).

﴿واشكروا له﴾: على ما أنعم به عليكم.

﴿بلدة طيبة﴾: أي كريمة التربة، حسنة الهواء سليمة من الهوام والمضار.

﴿ورب غفور﴾: لا عقاب على التمتع بنعمه في الدنيا، ولا عذاب في الآخرة، فأعرضوا عما جاء به إليهم أنبياؤهم وكانوا ثلاثة عشر نبياً دعوهم إلى الله وذكروهم نعمه فكذبوهم وقالوا ما نعرف لله نعمة فسلط الله تعالى عليهم فاراً أعمى توالد فيه ويسمى الخلد فخرقه شيئاً بعد شيء وأرسل سيلاً في ذلك الوادي فحمل ذلك السد)[1].

(١) تفسير النهر الماد من البحر المحيط. (ص: ٧٤٨ - ٧٤٩) لأبي حيان الأندلسي دار الجنان مؤسسة الكتب الثقافية.

المطلب الأول: فضلها وأهميتها:

سورة سبأ(١) من السور المكية بالاتفاق وعدد آياتها خمس وخمسون في عدِّ الشام، وأربع وخمسون في عدِّ الباقي(٢).

وهي الرابعة والثلاثون من سور القرآن الكريم(٣).

وهي السورة الثامنة والخمسون في عِداد السور، نزلت بعد سورة لُقمان وقبل سورة الزُمَر(٤).

فضلها:

لم نقف على نص خاص بها وإنما هي من عموم القرآن الكريم، الذي لا تخلو آية منه من فضل ومنَّة ونور ورحمة، وهداية وصفاء حتى قيل: خذ من القرآن ما شئت لما شئت.

أهميتها:

تنطلق أهميتها من اسمها لأن اسمها حمل معنى دلالات الأسماء في القصص

---

(١) سبأ: دولة ظهرت في شرق اليمن في المنطقة المعروفة الآن باسم صرواح، ومأرب، فسميت البلاد باسمها، وإليها تنسب الحضارة، واللغة، والديانةالسبئية.
وورد ذكرها في التوارة، في قصة زيارة بلقيس ملكتها لسليمان في القرن، ١٠ .ق.م.، استمرت حضارة السبئين فترة طويلة ورغم انتقال العاصمة إلى مناطق أخرى بقيت لبلاد سبأ أهميتها، طالما كان سد مأرب يؤدي وظيفته وظلت للعاصمة مأرب مكانتها، كمركز ثقافي وتجاري هام في الجزيرة العربية، حتى قبل ظهور الإسلام، عندما تهدم السد ولم يهتم أحد بترميمه حتى الآن.
ملاحظة: لقد أعاد ترميمه صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة.
(٢) الإتقان في علوم القرآن (ج١/ ص: ٧٢)، بصائر ذوي التمييز (ج١/ ص: ٣٨٢).
(٣) نظم الدرر (ج١٥/ ص: ٤٢٨).
(٤) التحرير والتنوير لابن عاشور (ج٢٢/ ص: ١٣٣).

القرآني، فإن كلمة سبأ - عند سماعها - تشير إلى تلك البلاد العربية التي طرأت عليها تحولات كبرى في حياتها وتغيرت مستويات المعيشة لدى شعبها (بعد أن كانوا آمنين مطمئنين ينتقلون بين قراهم ومدنهم المتجاورة والآمنة -لامشقة ولاخوف - للرحلة والنزهة والتجارة ، فكانوا يسيرون فيها ليالي ذوات العدد ، وأياماً قليلة في أمان وهدوء ، ثم تغير الحال وتبدل ، وقالوا كُفراً وبَطراً: (ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم) فحق عليهم العذاب ، وتمت كلمة ربك فيهم (فجعلناهم أحاديث) للناس يُضَرب بهم المثل ، (ومزقناهم كل ممزق) وفرقناهم في صحراء العرب[1] فأصبحت قصتهم مضرب المثل وجعلهم الله عبرة لأهل قريش ولمن بعدهم، على أنه من لم يؤمن ولم يصدق سوف تكون الدائرة عليه ومن هنا يظهر التأثير بالقصص القرآني ومدى روعته في سياق العبر التي دعت إلى التوحيد والإيمان بالله وبرسوله ﷺ قبل حلول العقاب.

المطلب الثاني: أسماؤها.

سورة سبأ أشتهرت باسم واحد. و(سميت سورة سبأ، لاشتمالها على قصة سبأ: ﴿لقد كان لسبأ في مسكنهم آية﴾[2].

(هذا اسمها الذي اشتهرت به في كتب السنة وكتب التفسير وبين القراء ولم أقف على تسميتها في عصر النبوة، ووجه تسميتها به أنها ذكرت فيها قصة أهل سبأ[3].

---

(١) التفسير الواضح (ج٣/ ص: ١٣٥).

(٢) آية [١٥] سورة سبأ.

بصائر ذوي التمييز (ج١/ ص: ٣٨٢).

(٣) نظم الدرر (ج١٥/ ص: ٤٢٨).

(ولقصة سبأ التي سميت بها السورة مناسبة كبيرة لهذا المقصد، كما يأتي بيانه ولذلك سميت بها)(١).

و(سبأ أرض باليمن مدينتها مأرب بينهما وصنعاء مسيرة ثلاثة أيام سميت هذه الأرض بهذا الاسم لأنها كانت منازل ولد سبأ بن يشجب من يعرب ابن قحطان، سُمي سبأ لأنه أول من سبى السبيء من ملوك العرب وأدخل إلى اليمن السبايا)(٢).

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور (ج٢٢/ ص: ١٣٣).
(٢) معجم البلدان: ياقوت الحموي.

المطلب الثالث: اسم السورة (دلالات وإشارات).

سورة (سبأ) عندما يسمع الإنسان هذه الكلمة يتحول الفكر إلى تلك البلاد العزيزة، التي كانت يوماً من الأيام عامرة بالخير والنماء والسعادة، ولكن نتيجة انحرافهم عن الحق وتكذيبهم الرسل وإنكارهم وجحدهم، تغير الحال إلى حال آخر، دلت عليه السورة في عنوانها الذي ارتبط بمضمونها ارتباطاً وثيقاً وصريحاً، وكلمة سبأ هنا دلت على الحادثة العظيمة لهذه الدولة، فكان لهذه السورة دلالات نحو خَطر القصة ومدى تأثيرها في تثبيت المعلومات، فكانت لها إشارات مختلفة، ونسيج مختلف المشارب متحد المورد، حيث أن قصة سبأ تثير فضولاً في النفس لمعرفة تاريخ هذه الدولة العظيمة - والتي أصبحت مملكتها مضرب المثل في كتاب الله- على مدى ماجرى عليها من تغيرات، مع أنه ذُكرَ معها قصص أخرى ولكن قصة سبأ كان لها وقع آخر، و(ولما كان سيل العرم فرق أهل هذه الأرض في البلاد، وساركلٌ طائفة منهم إلى جهة فضربت العرب بهم المثل (فقيل: ذهب القوم أيدي سبأ، وأيادي سبأ أي متفرقين)(١)، وأهل سبأ (كانوا يسكنون جنوبي اليمن، وكانوا في أرض مخصبة ماتزال منها بقية إلى اليوم، وقد ارتقوا في سلم الحضارة حتى تحكموا في مياه الأمطار الغزيرة التي تأتيهم من البحر في الجنوب والشرق، فأقاموا خزاناً طبيعياً يتألف جانباه من جبلين، وجعلوا على فم الوادي بينهما سداً به عيون تُفتَح وتُغلق، وخَزَّنوا الماء بكميات عظيمة وراء السد . . . وبعد ذلك، . . أعرضوا عن شكر الله وعن العمل الصالح والتصرف الحميد فيما أنعم الله عليهم، فسلبهم الله سبب هذا الرخاء الجميل الذي يعيشون فيه، وأرسل عليهم السيل الجارف الذي يحمل العرم في طريقه وهي الحجارة لشدة تدفقه فحطم السد وانسابت المياه فطغت وأغرقت، ثم لم يعد الماء يخزن بعد ذلك فجفت واحترقت وتبدلت تلك الجنان

(١) معجم البلدان لياقوت الحموي (ص: ١٨١) ط، دار صادر بيروت.

الفسيحة صحراء تتناثر فيها الأشجار البرية الخشنة)، وفي ختام القصة يخرج النص من إطار القصة المحدودة إلى الإطار الفسيح والتدبير الإلهي العام، والتقدير المحكم الشامل والسنة الإلهية العامة، ويكشف عن الحكمة المستخلصة من القصة كلها ومايكمن فيها وخلفها من تقدير وتدبير)[1].

وعلى ماتقدم إذا وضعنا لأنفسنا سؤالاً عاماً، ماهو التحول المراد من عنوان الفصل ؟.

والإجابة على هذا التساؤل الذي قد يشغل الفكر عن التحولات الكبرى التي حصلت للأمة في سياق السور القرآنية.

نقول: إن الحديث عن السور التي جاءت أسماؤها على معانيها التي تشير إلى تحولات جذرية حصلت لهذه الأمم ضمن تلك الأسماء التي أشار إليها القرآن الكريم، مثل (سبأ) فالتحول الذي حصل هو انقلاب تام وليس انقلاب حكومي، لأن الأُمة التي تحدث عنها القرآن كانت أمةً ذات قوة ونهضة وحضارة يضرب بها المثل، ويشد إليها الرحال ولكنها لما رفضت حكم الحكيم عليها، ولم تتبع ما أمر به جرت عليهم سننه التي سنها على كل أُمة تخالف أمره، وهذا حصيلة الذنوب فكانت النتيجة أن المجتمع بكل مافيه وعلى مافي البسيطة من خير قد تغير وأصبح لا شيء وهنا نسمي هذا الذي حصل تحول كبير في مجرى الحياة (فسبأ) بعد أن أصبحت مضرب الأمثال في الرخاء والخير، أصبحت مضرب الأمثال في المسخ والخسف والانتكاس والتمزيق والتفرقة والتباعد، هذا ما حصل لهذه الأُمة وأُم سبقتها وكذلك سوف يحصل لأُم لاحقة، إلى أن يرث الله الأرض.

فكل أُمة تبطر عيشها لابد أن يحصل لها التحول إما من ناحية الحياة الدنيوية أو

(١) في ظلال القرآن (ج٥/ ص: ٢٩٠٠ - ٢٩٠١).

الأُخروية، ونقصد بذلك إما بتحول المجتمع من شرك وفقر وتمزق إلى هداية ووحدة ورخاء أو العكس وهذا ما حصل لأهل سبأ حيث (تفرقوا في شتى البلاد، فانحازت غسان إلى الشام، وأنمار إلى يثرب، وجذام إلى تهامة، والأزد إلى عمان، ومُزِّقُوا كل ممزق، حتى صار أمرهم حديثا ينتقل، وحكايات تروى، وأحاديث تتداول، كانوا في نعمة سابغة فلم يحفظوها وثياب من العز ضافية فلم يصونوها فجزاهم الله بما كفروا، :﴿ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى إلا الكفور﴾(١))(٢).

هذا من حيث الماضي أما اليوم فالشواهد في حياة الأُمم الحاضرة كثيرة، وقد نلحق بهذا التحول بعض الدول والشعوب التي يحصل عندها مثل ذلك سواء في الخير أو الشر، فمن ناحية الخير والرقي وقوة العقيدة والدين نرى أن هناك دولة قائمة وأخرى تفككت واضمحلت وهكذا يدور أمر الله الذي يبدل ويغير ويحول من حال إلى حال، وهو لايتغير بتغير الأحوال لأنه هو الله الدائم.

وفي السورة إشارة لطيفة قد تكون خافية ولكن فيها دلالة على حاله أشارت إليها عند أهل سبأ: وهي الحسد، فالحسد آفة تدمر كل نعمة، ولو تتبعنا كل قصة حصل لها دمار وانهيار لوجدنا أن الحسد هو السبب الأول والأخير في زمانه ومكانه وذلك:

أ) بالسبب المباشر بالعين؛ وهو دخول الشياطين قوى الإنسان بواسطة الحسد والبغضاء.

ب) السبب الخفي عند الله؛ غضبه سبحانه على الحاسدين لأن مجمل الحسد هو اعتراض على قسمة الله لعباده.

---

(١) آية [١٧] سورة سبأ.

(٢) قصص القرآن (ص: ٢٩٠) أ/ محمد أبو الفضل إبراهيم.

والحسد فيه الآيات والأحاديث الكثيرة، وإنما جعلت قصة سبأ نموذجاً للحسد الصادر من الكبار للصغار لأنهم قالوا إن أبناء الذوات يعيشون النعم بعراقة وجدارة فما بال أبناء الفقراء صاروا غير محتاجين؟ فسألوا الله أن يباعد بين أسفارهم حسداً منهم حتى يعمل أبناء الفقراء لديهم وما ذاك إلا حسداً منهم، نسأل الله أن يغير حالنا من حسد وبغضَاء إلى حب وولاء.

المبحث الثالث

سورة الفيل

وتشتمل على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : فضلها وأهميتها.

المطلب الثاني : أسماؤها.

المطلب الثالث : اسم السورة (دلالات وإشارات).

قال تعالى: ﴿ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل(١) ألم يجعل كيدهم في تضليل(٢) وأرسل عليهم طيراً أبابيل(٣) ترميهم بحجارة من سجيل(٤) فجعلم كعصف مأكول(٥)﴾.

التفسير:

(هذه من النعم التي امتن الله بها على قريش، فيما صرف عنهم من أصحاب الفيل الذين كانوا قد عزموا على هدم الكعبة، ومحو أثرها من الوجود، فأبادهم الله، وأرغم آنافهم وخيب سعيهم وأضل عملهم وردهم بشر خيبة)(١).

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير للصابوني (ج٣/ ص: ٦٧٦) ط، دار العلم، الطبعة الخامسة ١٩٨٦.

المطلب الأول: فضلها وأهميتها:

سورة الفيل من السور المكية بإجماع وعدد آياتها خمس[1].

وهي الخامسة والمائة من سور القرآن الكريم، مكية، وعدد آيها خمسة[2].

وقد عُدت التاسعةَ عشرةَ في ترتيب نزول السور نزلت بعد سورة «قل يأيها الكافرون»، وقبل سورة «الفلق»، وقيل: قبل سورة «قريش»[3].

فضلها:

لم نقف على نص صريح في الفضل ولكنها من عموم فضائل القرآن الكريم.

أما أهميتها:

فسورة (الفيل) لها أهمية خاصة عند قريش وأهمية عامة عند العرب واسم السورة يدل على أهميتها لما حدث فيها، فهي قصة لها آثار واضحة في أسماء السور القرآنية التي أشارت إلى أهمية القصص القرآني الذي تناول هنا قصة (الفيل) وهي قصة معروفة عند أهل قريش لأنهم شاهدوها ورسول الله ﷺ لم يشاهدها إنما ولد فيها، فكان تذكيرهم من رسول الله ﷺ بهذه الحادثة عن طريق التنزيل القرآني لهو أمر فيه مشاهدة حقيقية على صدقه ﷺ، فجاءت (هذه السورة تشير إلى حادث مستفيض الشهرة في حياة الجزيرة العربية قبل البعثة، عظيم الدلالة على رعاية الله لهذه البقعة المقدسة التي اختارها الله لتكون ملتقى النور الأخير، ومحض العقيدة الجديدة، والنقطة التي يبدأ منها النور لمطاردة الجاهلية في أرجاء الأرض وإقرار الهدى والحق والخير فيها)[4].

---

(١) الإتقان للسيوطي (ج١/ ص: ٧٢)، بصائر ذوي التمييز (ج١/ ص: ٥٤٤).

(٢) نظم الدرر للبقاعي (ج٢٢/ ص: ٢٤٩).

(٣) التحرير والتنوير (ج٣٠/ ص: ٥٤٣).

(٤) في ظلال القرآن (ج٦/ ص: ٣٩٧٤).

وقصة (الفيل) عملت نوعاً من رد الفعل عند أهل قريش وخاصة الذين حضروا وشاهدوا ماحصل بأهل جيش الفيل، الذي تحول حاله من القوة إلى الضعف، ومن التجمع إلى التمزق، ومن النصر إلى الخذلان، لأن الله ينتصر للمظلوم متى عجزت وسائله وأيقن أنه لا ملجأ من الله إلا إليه، وعندما يفقد الظالم أدنى مقومات الفطرة يتضح ذلك عندما (أرسل الله عليهم طيراً جماعات تحمل حجارة فيها جراثيم الأمراض التي فتكت بمعظم الجيش، حتى باء بالخيبة، ورجع بالخذلان المبين، وهذه الطيور رمت الجيش بحجارة من طين متحجر، فأهلكت أكثره وتركته نهبا للطير أشبه مايكون بالعصف المأكول للحيوان، وهو ورق الشجر إذا جف بعد الحصاد)(١).

وعلى موضوع الجراثيم والأمراض التي ذكرت، فإننا نقول: علمها عند الله ويكفي أنها حجارة من سجيل منضود، مسمومة عند ربك للمسرفين. أي نوع من العذاب الأليم للمسرفين الجاحدين: ﴿**وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم**﴾(٢).

المطلب الثاني: أسماؤها.

إن سورة (الفيل) من السور التي اشتهرت باسم واحد، (وسميت بسورة الفيل، لقوله: ﴿**بأصحاب الفيل**﴾)(٣).

(واسمها الفيل ظاهر الدلالة على ذلك بتأمل سورته)(٤).

---

(١) التفسير الواضح (ج٣/ ص: ٩٠٥).
(٢) آية (٣٧) سورة الذاريات.
(٣) بصائر ذوي التمييز (ج١/ ص: ٥٤٤).
(٤) نظم الدرر (ج٢٢/ ص: ٢٤٩).

المطلب الثالث : اسم السورة (دلالات وإشارات) .

إن سورة (الفيل) من السور التي ارتبط عنوانها بموضمونها حيث إن الفيل كان له حدث كبير معلوم، ومع هذا نجد أن السورة عندما تضمنت قصة الفيل أشارت إلى التحولات الاجتماعية نتيجة الأحداث التي جرت خلال القصة، إلا أن هذه القصص، في أسماء السور تحمل بين ثناياها لطائف عظيمة يستفاد منها حسب مايفتح الله لعباده من كلامه السابق وخزائنه التي لا تنضب لأن هذا القرآن هو كلامه .

والملاحظ في قصة سورة الفيل بالذات أمر مختلف عن بقية القصص حيث إن بعض القصص جاء في سياق أكثر من سورة ولكن (لم يتكرر في القرآن ذكر إهلاك أصحاب الفيل خلافاً لقصص غيرهم من الأمم لوجهين : أحدهما : أن هلاك أصحاب الفيل لم يكن لأجل تكذيب رسول من الله : وثانيهما، أن لا يتخذ منه المشركون غروراً بمكانة لهم عند الله كغرورهم بقولهم المحكي في قوله تعالى : ﴿ **أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر** ﴾[1]، وقوله : ﴿ **وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون ولكن أكثرهم لايعلمون** ﴾[2] .

ومن جهة أخرى لو نظرنا إلى هذه السورة نجدها تحدثت عن قومٍ أضلهم إبليس بغروره واتخذوا من أفكاره طريقاً إلى جهنم، وهذا الحديث في قصة الفيل يظهر جلياً عند قوله تعالى : ﴿ **بأصحاب الفيل** ﴾[3][4] .

---

(١) آية [١٩] سورة التوبة،

(٢) آية [٣٤] سورة الأنفال .

(٣) التحرير والتنوير (ج٣٠/ ص: ٥٤٤).

(٤) آية [١] سورة الفيل .

(أي الذين قصدوا انتهاك حرمات الله سبحانه وتعالى فيخربوا بيته ويدمروا جيرانه بما أوصلهم إلى البطر من الأموال والقوة التي مَنَّ عليهم سبحانه وتعالى بها، فحسبوا أنها تخلدهم فبان أنها توردهم المهالك ضد ماحسبوه، وهم الحبشة الذين كانوا غلبوا على بلاد اليمن مع أميرهم وهو أبويكسوم أبرهه بن العبام الأشرم الذي بنى بيعة بصنعاء وسماها القليس وأراد أن يصرف الناس إليها ليحج إليها العرب بدلاً عن الكعبة)(١).

وبعد توضيح ما تضمنته السورة من أقوال أهل العلم نخرج إلى موضوع آخر وهو مراد البحث في التحولات الكبرى التي نتجت عندما حدث حادث الفيل، فإنه بعد هذه الحادثة حصلت انتكاسة كبرى جاء على أثرها تفرق دولة قوية بقيادة قوية ممثلة في أبرهه الذي حاول السيطرة على أعظم المقدسات. وهذه الانتكاسة جاءت نتيجة الظلم والتعدي، حصل بعدها علو شأن أمة أخرى كان بها الضعف والهوان، وبعد هذه الحادثة قامت لها دلائل القوة الروحانية ممثلة في قولهم: (إن للبيت ربا يحميه)، و(بذلك حفظ الله لقريش بيتها وأبقى لها زعامتها وزاد هذا الحدث العجيب من مكانة مكة، وجعل أهلها يحتفظون بتلك المكانة الرفيعة ويتربصون لكل من يحاول الانتقاص منها أو الاعتداء عليها، وقد كان ذلك إرهاصاً لنبوة محمد ﷺ، الذي نشأ في ظل هذا البيت العتيق، وعد هذا الحادث من أعجب الحوادث، لأن الله ردّ أصحاب الفيل على أعقابهم خاسرين، فأرخ العرب بعامه(٢)، وتحدثوا بوقوعه وصار ذكرى لهم وحديث أبناء أبنائهم)(٣).

فدانت العرب لأهل قريش بعد ذلك وأصبحوا مورد قوة خفية، فهذه

---

(١) نظم الدرر (ج٢٢/ ص: ٢٥١).

(٢) كان ذلك عام ٥٧٠م.

(٣) قصص القرآن (ص: ٢٩٨) أ/ محمد أبو الفضل إبراهيم.

التحولات بين الشعوب ترشد إلى أن الله سبحانه وتعالى يريد للعباد الحياة التي خلقوا لها، فمتى تخلوا عن ذلك حصل التغير.

لما ساد الجهل والشرك بالله، جاءت حادثة الفيل التي كانت عبرة وعظة وكانت سبباً في التحول والرجوع إلى بيت الله (مكة) ليكون قبلة لقاصدي العبادة، وفي عام الفيل كان أهم وأعظم حدث: مولد أفضل خلق الله خاتم النبيين والمرسلين سيدنا محمدﷺ.

إن كل أمة قادت البشرية في فترة من فترات التاريخ تمثل فكرة، والأمم التي لم تكن تمثل فكرة كالتتار الذين اجتاحوا الشرق، والبرابرة الذين اجتاحوا الدولة الرومانية في الغرب لم يستطيعوا الحياة طويلاً، إنما ذابوا في الأمم التي فتحوها، والفكرة الوحيدة التي تقدم بها العرب (أي أصحاب النبيﷺ) للبشرية كانت هي العقيدة الإسلامية، وهي التي رفعتهم مكان القيادة، فإذا تخلوا عنها لم تعد لهم في الأرض وظيفة ولم يعد لهم في التاريخ دور...، وهذا مايجب أن يذكره العرب جيداً، إذا هم أرادوا الحياة، وأرادوا القوة، والقيادة. والله الهادي من الضلال)[1].

والسورة تشير إلى قدرة الخالق عز وجل وأنه قادر بأدنى جند من جنده، وهم الطير الضعيف، أن يهلك الأساطيل الكبرى والجيوش الجرارة فلا يهن المؤمن ولا يحزن ولا يغرَّنه تقلب الذين كفروا في البلاد، فالله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

والسورة تعطينا هذا الأمل وتشحذ همتنا الإيمانية، ونخلص بأن أبرهه كان قد

---

(١) في ظلال القرآن (ج٦/ ص: ٣٩٨١).

طغى وتفاقم ظلمه حتى جاءت نهايته بمحاولته الغاشمة الفاشلة في هدم الكعبة فحفظها الله لتكون بعد ذلك دولة الإسلام لرسول الله الأمين خاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وسلم.

الفصل الثاني

الأنبياء والاقتداء بهم

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : سورة إبراهيم عليه السلام.

المبحث الثاني : سورة محمد صلى الله عليه وسلم.

المبحث الثالث : سورة نوح عليه السلام.

المبحث الأول

سورة إبراهيم

الآيات (٣٥ - ٤١)

وتشتمل على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : فضلها وأهميتها.

المطلب الثاني : أسماؤها.

المطلب الثالث : اسم السورة (دلالات وإشارات).

قال تعالى: ﴿ وإذ قال إبراهيم رب أجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الأصنام(٣٥) رب إنهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم(٣٦) ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غيرذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون(٣٧) ربنا إنك تعلم ما نخفى وما نعلن وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء(٣٨) الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق إن ربي لسميع الدعاء(٣٩) رب أجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعآء(٤٠) ربنا أغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب(٤١) ﴾.

التفسير :

(تذكر السورة طرفاً من قصة إبراهيم عليه السلام. وهو الطرف الخاص به وبأسرته، وما يدعو به الله سبحانه في أن يحفظ عليه الإيمان، وأن يبقيه في ذريته، ويوفر لهذه الذرية معيشتها، حيث تقيم فيما لا نبت ولا زرع فيه: «وإذ قال إبراهيم: رب اجعل هذا البلد آمناً» (تطلب الآية إلى الرسول محمد عليه السلام أن يُذكّر كفار مكة وزعماء المادية والجاهلين فيها، بفضل الله على مكة هذه من الأمان والاطمئنان فيها، استجابة لدعاء إبراهيم عليه السلام في أن يحفظها سبحانه حرماً آمناً للناس جميعاً، لما يرتبط بهذا البلد من أمان لايرجع إلى وجود الأصنام فيها، كما يزعم الكبراء فيها، بل يعود إلى فضل الله وحده) «واجنبني وبني أن نعبد الأصنام، رب إنهن أضللن كثيراً من الناس» (كما يذكرهم صلوات الله عليه بأن إبراهيم في دعائه إلى ربه قرن طلب الأمن لهذا البلد الحرام بأن يجنبه هو وأولاده عبادة الأصنام التي كانت قائمة

على عهده؛ لأنها مصدر ضلال لكثير من الناس، مما يدل على أن دعوته كانت لوحدة الألوهية خالصة، ضد الوثنية المادية. وقد جاء تنديده عليه السلام صراحة بهذه الأصنام فيما يحكيه قول الله تعالى في سورة الأنبياء: (ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل، وكنا به عالمين. إذ قال لأبيه وقومه: ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون ؟ قالوا: وجدنا آباءنا لها عابدين ، قال: (لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين) آية[٥٤,٥١] الأنبياء، وفي قوله تعالى: ﴿ فمن تبعني فإنه مني ، ومن عصاني فإنك غفور رحيم ﴾آية [٣٦] إبراهيم (وإبراهيم في دعوته إلى ربه في أن يجنبه هو وأبناءه عبادة الأصنام يشير إلى أن أبناءه هم أهل قومه. ولذا كان تعقيبه: أن من يتبع دعوته إلى الله كان منتسباً وجديراً بأن يكون واحداً من هؤلاء الأبناء. ومن يعصه فإنه لا يستعجل من الله العذاب له، وإنما يدعه لمغفرته ورحمته، فمن صفاته سبحانه: (أنه الغفور الرحيم) ﴿ ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم، ربنا ليقيموا الصلاة، فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم، وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ﴾ آية [٣٧] إبراهيم (أما أسرته الخاصة – وهي ذريته – فإنه يطلب لهم من الله مصدر رزق، تعيش عليه، وهو يتمثل في وفود الناس للحج إلى بيت الله الحرام مرة.. كما يتمثل في جلب الثمرات للاتجار بها هناك مرة أخرى.

وقد أبقى إبراهيم عليه السلام ذريته هناك – وهو مكان لا زرع فيه – لتباشر عبادة الله وحده بين العابدين للأصنام، عن طريق إقامة الصلاة. فاستجاب الله لدعاء إبراهيم في شأن توفير الرزق لأسرته الخاصة فإن عبادة الله وحده في هذا المكان ستظل قائمة، تعبيراً عن الشكر للمولى جل جلاله على فضله في الرزق) ﴿ ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن، وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء. الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحق، إن ربي لسميع الدعاء ﴾ آية [٣٩,٣٨] إبراهيم،

وإذ يبرز إبراهيم نعمة الله عليه في أن وهبه ولديه إسماعيل وإسحاق، فإنه يشير بذلك إلى حفاوة الله به، وإلى أنه من أجل هذه الحفاوة والرعاية له : سيحقق سبحانه ما يطلبه منه هنا. وما طلبه منه هنا ثلاثة أمور:

الأمر الأول: جعل البيت الحرام آمناً.

الأمر الثاني: تجنبيه وقومه الشرك وعبادة الأصنام.

والثالث: رزق ذريته في مكانها الذي تقيم فيه، حتى تبقى عباده الله وحده قائمة)[1].

(١) التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، د. محمد البهى / ط، مكتبة وهبة القاهرة الطبعة الأولى١٩٧٦م.

المطلب الأول: فضلها وأهميتها

سورة إبراهيم من السور المكية إجماعا، وعدد آياتها خمس وخمسون عند الشاميين واثنتان وخمسون عند الكوفيين وأربع وخمسون عند الحجازيين، وواحدة وخمسون عند البصريين(١).

وهي (السورة الرابعة عشر، مكية على قول الجمهور وهي إحدى وخمسون آية في البصرى وقيل خمسون فيه واثنان وخمسون في الكوفي وأربع في المدني، وخمس في الشامي)(٢).

سورة إبراهيم (نزلت بعد سورة الشورى وقبل سورة الأنبياء وقد عُدت السبعين في ترتيب السور في النزول)(٣).

أما عن فضلها:

فلم نقف على نص خاص بها وإنما هي من عموم القرآن الكريم الذي لا تخلو آية منه ولا كلمة من فضل ومنّة ونور ورحمة، ومن هداية وشفاء حتى قيل: خذ من القرآن ما شئت لما شئت.

وأما أهميتها:

فإن لسورة (إبراهيم) أهمية كبيرة لأنها تخاطب العقل والواقع والماضي لأن أهل مكة فازوا بدعاء إبراهيم عليه السلام ونتيجة لهذا الدعاء عاشوا في أمن وأمان، والسورة فيها توجيه لكفار قريش يردهم إلى الماضى ويذكرهم بحال أسلافهم الذين

---

(١) الإتقان في علوم القرآن (ج١/ ص: ١٢)، بصائر ذوي التمييز (ج١/ ص: ٢٦٨).
(٢) نظم الدرر (ج١/ ص: ٢٦٩).
(٣) التحرير والتنوير (ج١٣/ ص: ١٧٩).

يدّعَوُن أنهم على دين إبراهيم عليه السلام، ويخاطبهم الله بالحوار العقلي لكي يتفكروا فيما هم فيه من اضطراب نفسي بين تصديق محمد صلى الله عليه وسلم أو تكذيبه، فأتاهم القرآن بالحجة الدامغة التى لامفر منها في قضية اتباع الرسل وإلا سوف يحل بهم ماحل بغيرهم من عُبّاد الأصنام، ولهذا جاء في سياق الآية دعوة إبراهيم عليه السلام لربه أن يجنبه عبادة الأصنام هو وبنيه.

وتأتي أهمية هذه السورة في عظمة مقصودها من دعاء أبي الأنبياء عليه السلام. عند قوله: ﴿وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الأصنام﴾(١).

وفي هذه المسألة وجهان في الآية:

الأول: أنه عليه السلام وإن كان يعلم أن الله تعالى يعصمه من عبادة الأصنام: إلا أنه ذكر ذلك هضماً للنفس وإظهاراً للحاجة والفاقة إلى فضل الله في كل المطالب.

والثاني: أن إبراهيم عليه السلام: هو خليل الله وهو العبد المحسن بل إنه في أعلى درجة من مقام الإحسان والخلة ومع ذلك يخشى على نفسه من عبادة غيره سبحانه كما قال أهل الإحسان: إن الشرك نوعان: شرك جَلي وهو الذي يقول به المشركونة وشرك خفي وهو تعليق القلب بالوسايط وبالأسباب الظاهرية، والتوحيد المحض هو أن ينقطع نظره عن الخلق ولا يرى متصرفاً سوى الحق سبحانه وتعالى فيحتمل أن يكون قوله: ﴿واجنبني وبني أن نعبد الأصنام﴾(٢) المراد منه أن يعصمه عن هذا الشرك الخفي والله أعلم بمراده)(٣).

---

(١) آية [٣٥] سورة إبراهيم.

(٢) آية [٣٥] سورة إبراهيم.

(٣) الفخر الرازي (ج١٠/ ص: ١٤).

المطلب الثاني: أسماؤها.

هذه السورة (تسمى بسورة إبراهيم: لتضمنها قصة إسكانه ولده إسماعيل بواد غير ذي زرع، وشكره لله تعالى على ما أنعم عليه بالولدين: إسماعيل وإسحق)(١).

وأرى أن أهمية تسمية هذه السورة باسم إبراهيم عليه السلام (لاشتمالها على أعظم شيء في حياة الإنسان وهو الحفاظ على التوحيد الخالص لله رب العالمين، والدعاء والتضرع إلى الله أن يكون على المنهج الإلهي، وسائر المؤمنين يوم العرض على الله، بالإضافة إلى أسماء الأنبياء عليهم السلام التي جاءت قصصهم فيها)(٢).

---

(١) بصائر ذوي التمييز (ج١/ ص: ٢٦٨).

(٢) التحرير والتنوير (ج١٣/ ص: ١٧٩).

المطلب الثالث : اسم السورة (دلالات وإشارات) .

إن سورة إبراهيم عليه السلام من السور التي جاءت في سياق ذكر دلالات الأسماء في القصص القرآني وأهميه الأنبياء والاقتداء بهم فكان لهذه السورة علاقة قوية بينها وبين اسمها الذي حمل معنى التضحية، وفيه الإشارات إلى أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام .

ومن هذه السورة تتضح علاقتها القوية بين الاسم والمضمون وإن كانت الايات التي في السورة قد وضحت قضايا مختلفة إلا أنها بينت أنَّ (مقصود السورة التوحيد وبيان أن هذا الكتاب غايته البلاغ عن الله لأنه كافل ببيان الصراط الدال عليه المؤدى إليه ناقل بما فيه من الأسرار - للخلق من طور إلى طور - وأدل ما فيها على هذا المرام قصة إبراهيم عليه الصلاة والسلام أما التوحيد فواضح، وأما أمر الكتاب فلأنه من جمله دعائه لذريته الذين أسكنهم عند البيت المحرم من ذرية إسماعيل عليه السلام : ﴿**ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتب والحكمة ويزكيهم**﴾(١))(٢)

فهذا المقصد الذي أبرزته السورة من خلال الآية بيّن أهمية مقصود الأنبياء في ما أُرسلوا به من عند الله عز وجل فكان بذلك الاتباع والاقتداء بهم هو المراد من جعل قصصهم عبرةً ، وتوضيح جهودهم للدعوة وصبرهم على الإيذاء، وسلوك يقتفى أثرهُ من بعدهم لكل من أراد الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، لأن الأنبياء عليهم السلام هم صفوة الخلق وهم حملة شريعته في الأرض ، وعلى ذلك تأتي أهمية الاقتداء بهم ، وإذا نظرنا إلى أسماء السور وإيحائها من هذه الأسماء إنما نقول: إن البشر في حالة عدم انقيادهم لدعوة الأنبياء عليهم السلام ، سوف يحل

---

(١) آية [١٢٩] سورة البقرة.

(٢) نظم الدرر (ج١٠/ ص: ٢٦٩).

بهم العذاب لأنهم بين أمرين لا ثالث لهما: إما الاتباع. وإما الابتداع: والاتباع يأتي عن طريق اتباع الشريعة على حسب ما أنزلت وعلى من أنزلت، وأما الابتداع فهو مخالفة الشرع من أهل الهوى والضلال الذين لهم طقوس وأعمال ما أنزل الله بها من سلطان لبعدهم عن طريق الهدى بمخالفتهم الأنبياء، وعلى ذلك دلت هذه السور التي سميت بأسماء الأنبياء تخليدا لجهودهم في الدعوة، وليكونوا رمزاً للعطاء والتضحية وقدوة لمن بعدهم إلى يوم القيامة.

وأن ذكر إبراهيم عليه السلام في سورة تسمى باسمه ليس شيئاً قليلاً لأن إبراهيم عليه السلام هو أبو الأنبياء، ولايسع هذا البحث الحديث عن إبراهيم عليه السلام، وعن السور والآيات التي ذكرت إبراهيم وقصصه مع القوم الكافرين وقصة أزواجه وأولاده، وبناء الكعبة، و(قد كان إبراهيم عليه السلام مفعم القلب بالإيمان لربه، ممتلئاً بالثقة واليقين بقدرة خالقه، مؤمنا بما أوحى إليه، من بعث الناس بعد موتهم، وحسابهم في حياة أخرى على أعمالهم، ولكنه أراد أن يزداد بصيرة وإيماناً، وثقة ويقيناً، وتطلع إلى أن يلمس الآية البينة على البعث ويرى الحجة الواضحة على النشور فسأل ربه، أن يريه كيف يُحي الموتى بعد موتهم، ويبعثهم بعد فناء أجسامهم(١)). إن قصص إبراهيم عليه السلام كثيرة جداً في كتاب الله لما لقصته عليه السلام من عظة وعبرة، لهذا كان للأنبياء دور فعال ومؤثر في المجتمعات التي دعوها للإيمان.

و(من عوامل تأثير الأنبياء أن كل نبي كان مثلاً أعلى وقدوة حسنة للذين أرسل إليهم، وكان يمكن أن يصبح قدوة لمن جاء بعده أيضاً لو عرف التاريخ حياته وسيرته على الوجه الأكمل، ولكن القصص القرآني لا يخلو من إشارات بعيدة المدى إلى ما حباهم الله به من كريم السجايا وحميد الفعال)(٢).

---

(١) راجع تفسير آية [٢٦١] من سورة البقرة.

(٢) قصص القرآن، (ص: ٣٦) أ/ محمد أبو الفضل إبراهيم.

فقد كان إبراهيم عليه السلام مثلا يُحتذى به في الحلم والرأفة: ﴿إن إبراهيم لحليم أواه منيب﴾(١)،

﴿رب إنهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم﴾(٢)،

وإذا ذكر القرآن الكريم في قصص أنبيائه ما أكرمهم به من الرضا والنصر وقبول الدعاء والغلبة على الأعداء، فإنه يعقبه بذكر ما يشجع أتباعهم على الاقتداء بهم والتأسي بأخلاقهم(٣)، وإبراهيم عليه السلام تميز على الأنبياء جميعاً بميزة أنه أب لعدد كبير من الأنبياء، عليهم صلوات الله أجمعين، وهو نبي مبجل في الآيات السماوية، ولا نجد لنبي بعده له هذه الميزة، فأهل الصليب لا يؤمنون بجميع الأنبياء وإن كانوا يعظمون إبراهيم ويتسمون باسمه، وأهل اليهودية لا يؤمنون بجميع الأنبياء ويطعنون في المسيح عليه السلام وفي أمه وإن كانوا يعظّمون إبراهيم عليه السلام، وأهل الإسلام عافاهم الله من كل ذلك فهم ورسولهم ﷺ: ﴿كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله﴾[آية ٨٥ البقرة]،

وإبراهيم من هؤلاء الرسل الأمجاد.

وإبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً وقد أُبتلى الابتلاءات العظيمة، وأكبرها ذبح ولده وهو على الكبر فأرى من نفسه عظيم الطاعة والاصطبار، وقذف في النار الموقدة، وكان صابراً محتسباً فجعلها الله له برداً وسلاماً، وفي سيرته العظيمة دلالات كبرى للمؤمنين قادةً وأفراداً.

---

(١) آية [٧٥] سورة هود.

(٢) آية [٣٦] سورة إبراهيم.

(٣) سيكولوجية القصة في القرآن (ص: ٥٦٩ - ٥٧٠) د/ التهامي.

ولإبراهيم عدة مزايا مذكورة في القرآن، وعدد الآيات التي ذكر فيها إبراهيم عليه السلام اثنان وخمسون آية (٥٢) في سور مختلفة.

ومن مزايا إبراهيم عليه السلام :

أولاً: أنه صاحب مقام الخلة. فهو خليل الله.

ثانياً: أنه هو الذي وفّى ولم يشهد لغيره بذلك: ﴿**وإبراهيم الذي وفى**﴾[آية ٣٧ النجم]

ثالثاً: أنه أتم كلمات البلاغ باصطباره بذبح الولد وغيره من أنواع البلاء: ﴿**وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين إن هذا لهو البلاء المبين**﴾[آية ١٠٤ - ١٠٦ الصافات]

رابعاً: هو الذي حرص على مصالح المسلمين في تسميتهم المسلمين: ﴿**.... هو سماكم المسلمين من قبل ..**﴾.

خامساً: هو الذي دعا للمسلمين برسول منهم محمدﷺ فكانﷺ دعوة إبراهيم وبشارة عيسى: ﴿**ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلواْ عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم**﴾[آية ٢٩ البقرة]

وهناك الكثير عن أبي الأنبياء عليه السلام يضيق المقام عن ذكرها فنسأل الله أن نكون قد وفينا بعضها وصلى الله وسلم على نبينا وعليه الصلاة والسلام.

المبحث الثاني

سورة محمد صلى الله عليه وسلم

الآيات (١ - ٣)

وتشتمل على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : فضلها وأهميتها.

المطلب الثاني : أسماؤها.

المطلب الثالث : اسم السورة (دلالات وإشارات).

قال تعالى: ﴿ الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم(١) والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم(٢) ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس أمثالهم(٣) ﴾.

التفسير:

يقول تعالى: ﴿ الذين كفروا ﴾ أي بآيات الله ﴿ وصدوا ﴾ غيرهم ﴿ عن سبيل الله أضل أعمالهم ﴾ أي أبطلها وأذهبها، ولم يجعل لها ثواباً ولا جزاء، كقوله تعالى: ﴿ وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً ﴾[آية ٢٣ الفرقان]، ثم قال جلّ وعلا: ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ أي آمنت قلوبهم وسرائرهم، وانقادت لشرع الله جوارحهم وبواطنهم، ﴿ وآمنوا بما نزل على محمد ﴾ عطف خاص على عام، وهو دليل على أنه شرط في صحة الإيمان بعد بعثه ﷺ، وقوله تبارك وتعالى: ﴿ وهو الحق من ربهم ﴾ جملة معترضة حسنة، ولهذا قال جلّ جلاله: ﴿ كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم ﴾ قال ابن عباس: أي أمرهم، وقال مجاهد: شأنهم، وقال قتادة: حالهم، والكل متقارب، وفي حديث تشميت العاطس «يهديكم الله ويصلح بالكم»، ثم قال عزّ وجلّ: ﴿ ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل ﴾ أي إنما أبطلنا أعمال الكفار، وتجاوزنا عن سيئات الأبرار، وأصلحنا شؤونهم، لأن الذين كفروا اتبعوا الباطل، أي اختاروا الباطل على الحق، ﴿ وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس أمثالهم ﴾ أي يبين لهم مآل أعمالهم، وما يصيرون إليه في معادهم، والله سبحانه وتعالى أعلم(١).

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير: للشيخ محمد على الصابوني (ج٣/ ص: ٣٢٩) ط. دار القلم.

المطلب الأول: فضلها وأهميتها:

سورة محمدﷺ، (من السور المدنية بالاتفاق)(١).

وهي (السابعة والأربعون من سور القرآن الكريم وعدد آياتها (٣٨) عند الكوفيين و(٣٩) عند المدنيين والمكي والشامي و(٤٠) عند البصرين)(٢).

وقد (عُدتّ السادسة والتسعين في عِداد نزول سور القرآن، نزلت بعد سورة الحديد وقبل سورة الرعد)(٣).

أما عن فضلها:

فلم نقف على نص خاص بها وإنما هي من عموم القرآن الكريم الذي لا تخلو آية منه ولا كلمة من فضل ومنّة ونور ورحمة، ومن هداية وشفاء حتى قيل: خذ من القرآن ما شئت لما شئت.

أما أهميتها:

فلهذه السورة أهمية عظيمة ممتدة عظمتها من عظمة مسماها الذي جُعِلَ اسمه عنواناً لها (محمدﷺ)، وأن اتباعَهُ هو غايةُ الأمر الموصل إلى رضا رب العالمين والذي جعل رِضَاه سبحانه في الاقتداء بأنبيائه عليهم الصلاة والسلام، (لهذا خلق الله الخلق، وجعلهم فريقين، فريق في الجنة وفريق في السعير، فريق اتبع الباطل من نفسه وهواه، وآخر اتبع الحق من ربه ومولاه، فالذين كفروا بالله ورسوله، وأعرضوا عن النور الذي أُنزل على رسولهﷺ، وصدوا غيرهم عن سبيل الله الذي

---

(١) الإتقان في علوم القرآن (ج١/ ص: ١٣)، بصائر ذوي التمييز (ج١/ ص: ٤٣٠).
(٢) نظم الدرر (ج١٨/ ص: ١٩٤).
(٣) التحرير والتنوير (ج٢٦/ ص: ٦١).

هو سبيل العدل والكرامة، هؤلاء أضل الله أعمالهم وأبطلها، وجعلها ضائعة لا أثر لها ولاخير فيها)(١).

فتبين بذلك أهمية مقصود السورة ودلالتها على أن الأنبيآء عليهم السلام جاءوا لإصلاح البشر، وأن عدم اتخاذهم قدوة واتباع ماجاءوا به يحل العذاب بالمنكرين والذين ضلوا طريق الهداية واتبعوا طريق الغواية.

إن لسورة (محمدﷺ) مقصودها العظيم وهو(التقدم إلى المؤمنين في حفظ حظيرة الدين وإدامة الجهاد للكفار حتى يلزموهم الصَّغار، أو يبطلوا ضلالاهم كما أضل الله أعمالهم لاسيما أهل الردة الذين فسقوا عن محيط الدين إلى أودية الضلال المبين)(٢)، وعلى ماكان من تفكير وتصرف من أهل الكفر والنفاق جآءت سورة (محمدﷺ) تحمل لهم هذا الأمر الذي دل على أهميتها في افتتاحيتها بالتشنيع على الكفار الذين صدوا عن سبيل الله، فوجه لهم العتاب وهددهم بالعذاب إذ لم يتبعوا هذا النبي المرسلﷺ.

---

(١) التفسير الواضح (ج١/ ص: ٤٥٧).

(٢) نظم الدرر (ج١٨/ ص: ١٩٤).

المطلب الثاني: أسماؤها:

لهذه السورة اسمان اسم اشتهرت به في كتب التفسير واسم قُرِنَ بها لما فيها من ذكر أحكامه:

فالأول والأشهر أن اسمُها: سورة (محمدﷺ) لقوله تعالى: ﴿نُزِلَ على محمد﴾(١)، وسورة القتال لقوله تعالى: ﴿وذكر فيها القتال﴾(٢).

وقد (سميت هذه السورة في كُتب السُّنة (بسورةُ محمد) وكذلك تُرجِمتْ في صحيح البخاري من رواية أبي ذر الغفاري(٣) وكذلك في التفاسير قالوا: تسمى (سورة القتال)(٤).

---

(١) آية [٢] سورة محمدﷺ.

(٢) بصائر ذوي التمييز (ج١/ ص: ٤٥٧).

(٣) صحيح البخاري كتاب التفسير (ج١٠/ ص: ٦٤٩) ط - دار أبي حيان ١٩٩٦.

(٤) التحرير والتنوير (ج٢٦/ ص: ٧١).

المطلب الثالث: اسم السورة (دلالات وإشارات).

سورة (محمدﷺ): لهذه السورة موقع خاص جداً لأنها أُعطيت عنواناً جعل لها سمةً متميزةً بعنوانها عن بقية السور، فكانت بذلك هي السورة الفائزة باسم حبيب ربّ العالمينﷺ فظهرت قيمة العلاقة بين السورة واسمها الذي حمل عنوان الخير والبشرى لبني البشر الذي وضح الدلالات المعتبرة في قيمة ما أُنزل على محمدﷺ، وأوجه الإشارات الظاهرة والخفية في هذه السورة، مشيرة كلها إلى أهمية اتباع ما أُنزل على محمدﷺ، عند قوله تعالى: ﴿**والذين آمنوا وعملوا الصالحات**﴾(١)،

أي جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح. ﴿**وآمنوا بما نُزِلَ على محمد**﴾(٢) خُص بالذكر مع اندراجه فيما قبله، تنويها بشأنه وتنبيها على سمو مكانه من بين سائر مايجب الإيمان به، وأنه أصل في الكل، ولذا أكد بقوله تعالى: ﴿**وهو الحق من ربهم**﴾(٣) بطريق حصر الحقيقة فيه. ﴿**كفر عنهم سيئآتهم**﴾(٤) أي سترها بالإيمان والعمل الصالح ومحاها وغفرها لهم. ﴿**وأصلح بالهم**﴾(٥) أي حالهم في الدين والدنيا، بالتأييد والتوفيق، وقيل قلوبهم، لأن القلوب إذا صَلُحت صَلُحَ الجسد كله)(٦).

ومن هنا نرى أن السورة وجهت إلى أمر مهم وهو الاستماع لمحمدﷺ واتباعه، وفيها إشارة إلى أن هناك سمعاً بالآذان وسمعاً بالقلوب و(هذا الاسماع أخص من اسماع الحجه والتبليغ، فإن ذلك حاصل لهم. وبه قامت الحجه عليهم، لكن ذلك سماع الآذان وهذا سماع القلوب، فإن الكلام له لفظ ومعنى، وله نسبة إلى الآذان

(١)، (٢)، (٣)، (٤)، (٥)آية [سورة محمدﷺ].

(٦) المقتطف من عيون التفاسير للمرحوم الشيخ مصطفى الخيرى المنصوري (ج٥/ ص: ٢٤). تحقيق الشيخ محمد الصابوني.

والقلب، فإنه سبحانه نفى عن الكفار سماع المقصود الذي هو حظ القلوب وأثبت لهم سماع الألفاظ الذي هو حظ الآذان في قوله تعالى: ﴿ **ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم** ﴾(١)،

وهذا سماع لا يفيد السامع إلا قيام الحجة عليه، وأما مقصود السماع وثمرته والمطلوب منه فلا يحصل مع لهو القلب وغفلته وإعراضه. بل يخرج السامع قائلاً للحاضر معه: ﴿ **ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم** ﴾(٢)

فمرتبة السماع مدارها على إيصال المقصود إلى القلب ويترتب على هذا السماع القبول والإجابة)(٣)

لهذا نجد أن سورة محمد ﷺ فيها دلالة الإجابة، مشيرة بذلك إلى أن الذين أجابوا دعوة محمد ﷺ ينا لهم غفران الذنوب وإصلاح البال، لأنهم اتبعوا الحق وهو دعوة الأنبياء عليهم السلام الذين جاءوا رسلا من عند الله، بعثهم الله ليخرجوا عباده من ظلمات الشر إلى نور الإيمان، وفي هذه السورة وجهة في مقصودها أشارت إليه في مضمون آياتها وهوأن المراد من البشر هو الاتباع والاقتداء بالأنبياء عليهم السلام ونصت هنا صراحة بالاقتداء بالنبي المرسل محمد ﷺ، وأن اتباعه وتنفيذ توجيهاته التى دعا إليها هي الغاية المطلوبة من العباد، لتوحيد رب العباد والإيمان والاقتداء برسول الإيمان، وأن العمل الصالح المطلوب مقيد في قبوله أو رده بالاتباع والاقتداء بالنبي ﷺ.

و(إذا كانت الرسالةُ الإسلاميةُ هي الرسالةُ التامةُ الكاملة المحفوظةُ الخالدةُ

---

(١) آية [٣٠٢] سورة الأنبياء.

(٢) آية [١٦] سورة محمد.

(٣) سيكولوجية القصة في القرآن (ص: ٤٣٢).

الجامعة الشاملة من كل نواحيها فلابد وأن يكون حاملها والداعي إليها الذي بعثه الله بها على ذلك المستوى بل وأرفع، وفي نفس تلك المنزلة والدرجة بل وأجلُ، لأنه هو المتحمل القائمُ بأعباء هذه الرسالةِ، ومعلومٌ أن الحِمل الكبيرَ لايحملهُ إلا من هو أكبر منه)(١).

وإذا تأملنا في دلالات سورة محمدﷺ نجد أن هذه السورة أدت إلى إشارات مثلها مثل بقية السور التى جاءت بأسماء الأنبياء عليهم السلام لأن هذه السورة العظيمة سورة (محمدﷺ) جاءت بإسلوب مغاير حيث إنها بدأت أياتها من طريقة تعاون كل من المعنى والمبنى على عرض (عنيفة في أسلوبها، عنيفة في معانيها، عنيفة في أصواتها وجرسها وقد إحداث تلك الحالات إلى حد الانفعال والحماس لدى كل من يتلو هذه السورة الكريمة أو تتلى عليه بحيث إنها تبدو بحق وكأنها ذلك النشيد الحربي العنيف المزجر الصاخب القادر على تحويل المقاتلين براكين ثائرة هائجة مائجة متفجرة ترمي بحممها ولهيبها وقذائفها في كل اتجاه و كيف لا يكون الحال كذلك ونحن بصدد السورة الكريمة، من أسمائها القتال، يعلن فيها رب العزة الحرب على الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله تعالى)(٢).

فإذا كانت سورة محمدﷺ أوضحت مرادها في طريقة الحوار مع الكفار بهذه الصورة الغير مسبوقة، يجدر بنا أن نتوقف لنرى الإشارات والدلالات في مثل هذه المخاطبة العجيبة من بداية السورة بـ(افتتاح يمثل الهجوم بلا مقدمة ولا تمهيد، واضلال الأعمال الذى يواجه به (الذين كفروا) وصدوا عن سبيل الله، سواء صدوا هم أم صُدوا أو صدّوا غيرهم فأعمالهم ضائعة. وهذه الأعمال التى أُضِلّت ربما كان

---

(١) محمدﷺ (الإنسان الكامل) الشيخ محمد علوي المالكي (ص: ٨).

(٢) تأملات في سورة محمدﷺ (ص: ٢٣) د. حسن محمد باجودة. ط، دار الاعتصام القاهرة.

المقصود منها بصفه خاصة الأعمال التى يأملون من ورائها الخير، والتى يبدو ظاهرها الصالح، فلا قيمة لعمل صالح من غير إيمان، والعبرة بالباعث الذى يصدر عنه العمل لا شكل العمل. وفي الجانب الآخر: ﴿**والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم**﴾ والإيمان الأول يشمل الإيمان بما نزل على محمد ولكن السياق يبرزه ويظهره ليصفه بصفته: ﴿**وهو الحق من ربهم**﴾ ويؤكد المعنى ويقرره وعلى الإيمان المستكن في ضمير العمل الظاهر في الحياة وهو ثمرة الإيمان الدالة على وجوده وحيويته وانبعاثه.. (وهؤلاء): ﴿**كفَّر عنهم سيئاتهم**﴾، ﴿**وأصلح بالهم**﴾ ومتى صلح البال استقام الشعور والأعصاب ورضيت النفس واستمتعت بالأمن والسلام)(١)، لأنها دخلت باب السعادة وهو دين الإسلام واتباع محمدﷺ خير الأنام، وجاءت هذه السورة معنونة باسم محمدﷺ لتخبر قريش ومن حولها ومن بعدهم أن اتباع محمدﷺ هو طريق الفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة.

فكان لاسم السورة دلالات في توضيح المعنى العام منها، في أهمية اتباع هذا الدين، وإشارات فاصلة في قضية الاتباع أو الابتداع، وإذا عدنا لأهمية أسماء السور وتأثيرها نجد أن سورة محمدﷺ أخذت من المعانى الجليلة، والأحكام الفاضلة العظيمة، في موضوع الهداية والغواية، ومن هنا كان اختيارنا لسورة محمدﷺ في موضوع الأنبياء والاقتداء بهم، لأن محمدﷺ خاتم الأنبياء والرسل، فلا بد من الإشارة إلى هذه السورة الكريمة التى تعطى المتأمل فيها علماً جديداً لأنها سورة تميزت باسم محمدﷺ. الذي ذكر صراحة في هذه السورة التي تحدثت عن الذين

(١) سلسلة رسائل البعث الحضاري، تأملات في سورة محمدﷺ، الاستاذ- عبد الباسط صالح سبدرات. المركز القومي للإنتاج الإعلامي ١٩٩٨م.

كفروا من أهل الكتاب الذين عاصروا الدعوة الإسلامية الخاتمة.

فمن آمن بالرسولﷺ كفر الله عنه سيئاته التي اقترفها أثناء كونه يهودياً أو نصرانياً قبل البعثة وآتاه أجره مرتين بإيمانه بالرسالة السابقة والرسالة الخاتمة، ومن كفر بمحمدﷺ أحبط عمله وأضله فلم ينفعه إيمانه السابق بموسى أو عيسى، لأن الجزاء من نفس العمل، وقد خص الاسم المحمدي عند أهل الكتاب لأن له سجلاً عندهم وهم يعرفونه كما يعرفون أبنائهم، فصح أن يذكر اسمه عند أهل الكتاب صراحة لأن المحمدية هي سمات كل حمد وليس علماً صرفاً جامداً جمود الأعلام. فكان هذا شأنه عند عامة أهل الكتاب وعند المؤمنين: رحمة لجميع الوجود فلا يستمد الكمال إلا من كماله الذي جعله الله قبلة الأرواح والقلوب بمعانيه الظاهرة والغيبية التي يعلم مكانتها الله الذي عرف قدر نبيه صلى الله عليه وسلم. والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل.

المبحث الثالث

سورة نوح عليه السلام

الآيات (١ - ٤)

وتشتمل على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : فضلها وأهميتها.

المطلب الثاني : أسماؤها.

المطلب الثالث : اسم السورة (دلالات وإشارات).

قال تعالى : ﴿ إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم(١) قال ياقوم إني لكم نذير مبين(٢) أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون(٣) يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون(٤) ﴾.

التفسير :

يقول تعالى مخبراً عن نوح عليه السلام : إنه أرسل إلى قومه ، آمراً له أن ينذرهم بأس الله قبل حلوله بهم ، فإن تابوا وأنابوا رفع عنهم ، ولهذا قال تعالى : ﴿ أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم ، قال ياقوم إني لكم نذير مبين ﴾ أي بيَّن النذارة ، ظاهر الأمر واضحه ﴿ أن اعبدوا الله واتقوه ﴾ أي اتركوا محارمه واجتنبوا مآثمه ، ﴿ وأطيعون ﴾ فيما أمركم به ونهاكم عنه ، ﴿ يغفر لكم من ذنوبكم ﴾ أي إذا فعلتم ما أمركم به وصدقتم ما أرسلت به إليكم غفر الله لكم ذنوبكم ، ﴿ ويؤخركم إلى أجل مسمى ﴾ أي يمد في أعماركم ويدرأ عنكم العذاب ، وقد يستدل بهذه الآية للقول : إن الطاعة والبر وصلة الرحم يزاد بها في العمر حقيقة كما ورد به الحديث : ((صلة الرحم تزيد في العمر)) ، وقوله تعالى : ﴿ إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون ﴾ أي بادروا بالطاعة قبل حلول النقمة ، فإن أمره تعالى لا يرد ولا يمانع ، فإنه العظيم الذي قد قهر كل شيء ، العزيز الذى دانت لعزته جميع المخلوقات(١) .

---

(١) تفسير ابن كثير للشيخ الصابوني - سورة نوح .

المطلب الأول: فضلها وأهميتها.

سورة نوح[1] من (السور المكية وآياتها ثمان وعشرون في عدّ الكوفة وتسع وعشرون في عدّ البصرة والشام وثلاثون عند الباقين)[2].

وهذه السورة هي (الحادية والسبعون من سور القرآن الكريم وهي (٢٨)آية)[3] وهذه السورة (قد عُدت الثالثة والسبعون في ترتيب نزول السور، نزلت بعد نزول أربعين آية من سورة النحل وقبل سورة الطور[4].

فضلها:

لم نقف على نص خاص بها وإنما هي من عموم القرآن الكريم الذي لا تخلو آية منه ولا كلمة من فضل ومنّة ونور ورحمة، ومن هداية وشفاء حتى قيل: خذ من القرآن ما شئت لما شئت.

وأما أهميتها:

فسورة (نوح) من السور التي رسمت لوحة فنية خاصة تناولت فيها أحداثاً مميزة ذات طابع تحدٍ بين الرسول والمرسل إليهم، فجآء معظم مقصودها (أمر نوح بالدعوة، وشكاية نوح من قومه، والاستغفار لسعة النعمة، وتحويل حال الخلق من حال إلى حال، وإظهار العجآئب على سقف السماء، وظهور دلائل القدرة على بسط الأرض وغرق قوم نوح، ودعاؤه عليهم بالهلاك وللمؤمنين بالرحمة،

---

(١) (هو نوح بن لامك بن متوتلخ بن خنوخ - وهو ادريس بن يريد بن مهلا يبل ابن قنين بن انوش بن شيت ابن آدم أبي البشر عليه السلام)، قصص الأنبياء لابن كثير. ط، دار الفكر ١٩٩٢م.

(٢) الإتقان في علوم القرآن (ج١/ ص: ١٣)، بصائر ذوي التمييز (ج١/ ص: ٤٨٢).

(٣) نظم الدرر (ج٢٠/ ص: ٤٢٢).

(٤) التحرير والتنوير (ج٢٩/ ص: ١٩٥).

وللظالمين بالثبار والخسارة. والناظر في سورة نوح يجد فيها لطائف العبر من منهج الدعوة إلى الله بمختلف الطرق، ثم يأتي العذاب مخالف لكل الاحتمالات فهو ذلك العذاب الذي عم كل الأرض وما عليها ولم يتبق إلا القلوب المؤمنة ، يدل ذلك على أنه لم يتبق من الكفار والمشركين في زمن نوح أحد، وبعد الطوفان لم يبق إلا هم أهل التوحيد، وفي هذا إشارة إلى أن أصل الناس هو التوحيد وأنهم بعد ذلك غيروا دينهم فكانت الحاجة ماسة إلى تنبيه أهل قريش بهذه القصة العظيمة.

المطلب الثاني : أسماؤها.

هذه السورة من السور التي اشتهرت باسم واحد وعرفت به و(سميت سورة نوح لذكره في مفتتحها ومختتمها)[1].

و(سبب تسمية هذه السورة بنوح أدل ما جاء فيها)[2].

وكذلك سميت (بهذا الاسم في المصاحف وكتب التفسير وترجمها البخاري[3] [سورة إنَّا أرسلنا نوحًا] ولعل ذلك كان الشائع في كلام السلف ولم يترجم لها الترمذي في جامعه)[4].

---

(١) بصائر ذوي التمييز (ج١٠/ ص: ٤٨٢).
(٢) نظم الدرر (ج١٠/ ص: ٤٢٣).
(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري (ج١١/ ص: ٧٠) كتاب التفسير (ج١٠/ ص: ٢٦٩).
(٤) التحرير والتنوير (ج٢٩/ ص: ١٩٥).

المطلب الثالث: اسم السورة (دلالات وإشارات).

سورة (نوح) هذا العُنوان جعل لها، فيه لفت النظر إلى أهمية هذا النبي ليقتدي به رسول الهدى صلى الله عليه وسلم أو من اتبعه لأن قصة نبي الله نوح مع قومه فيها: إشارة للتحمل والتضحية، ومن هنا نستطيع أن نربط العلاقة المتينة بين عُنوان السورة ومضمونها الذي تحدث بواقعية تامة عن طريقة الأحداث التي جرت بين نوح عليه السلام وبين قومه، ولتبين لنا بعد ذلك أهمية مراد تسمية الباب بدلالات الأسماء في القصص القرآني لأن قصة نوح لها وقعها على السامعين وعلى كيفية الحوار بين الداعي والمدعو.

ووضحت هذه السورة إشارات صريحة لأتباع النبي صلى الله عليه وسلم وهم الصحابة رضي الله عنهم ومن يأتي بعدهم إلى يوم القيامة.

إنَّ ما حدث لقوم صدوا عن سبيل الله قد يحصل لكل أُمة لم تهتد بنبيها، فجآء على ذلك عُنوان الفصل، الأنبياء والاقتداء بهم لأنهم هم أهل الله وخاصته، وقصة نوح عليه السلام مع قومه فيها: إشارات عجيبة ودلالات عظيمة في أهمية الطاعة والانقياد والإعراض والتكبر، فهؤلاء القوم كانوا (يعبدون الأصنام دهراً طويلاً واتخذوا آلهة يرجون منها الخير ويستدفعون بها الشر، ويردون كل شيء في الحياة إليها، ودعوها بمختلف الأسماء، تارة وداً أو سواع ويغوث، وتارة يعوق ونسرا، على حسب ما يملي عليهم الجهل ويزين لهم الهوى، فأرسل الله إليهم نوحاً عليه السلام، وكان رجلاً فتيق[1] اللسان، واضح البيان رزين الحصاة[2]، بعيد الأناة[3]، رزقه الله صبرا على الجدل، وقدرة على تصريف الحجج، وبعداً بمسائل

(١) فتيق اللسان: فصيح اللسان.
(٢) الحصاة: العقل والرأي.
(٣) الأناه: الحلم.

الاقناع، دعاهم إلى الله فأعرضوا فأنذرهم العقاب فعموا وصموا، ورغبهم في الثواب فوضعوا اصابعهم في أذانهم واستكبروا)[1].

لهذا كله كان لسورة نوح مقام استحقت أن تسمى هذه السورة باسم النبي العظيم، لأن في قصته وقصص إخوانه من الأنبياء الأثر الكبير لأن اتباعهم هو الطريق الصحيح المنجي يوم القيامة، والمنجي من عذاب الدنيا الذي يحل بالعصاة والطغاة لانحرافهم عن طريق الهدى وظلمهم وفجورهم. وفي هذه السورة تتضح لنا مراحل الدعوة التي نهجها سيدنا نوح عليه السلام مع قومه، تنبيهاً وعبرةً للمسلمين، وأن عليهم مهمة كبيرة في الدعوة ونشر الإسلام، وأن يتبعوا ويمتثلوا قصص الأنبياء ويقتدوا بهم في الصبر والتحمل لتبليغ دين الله ويسلكوا مسلك خاتم المرسلين سيدنا محمد ﷺ، لهذا جمع الله له أخبار من سلف حتى تقتفي أمته آثار هذه الأخبار وتختار الطرق المناسبة لكل قوم في إيصال الإسلام إليهم وتعليمهم تعاليم الدين الحنيف، (فالمنزع التعليمي في القرآن يحيي في الإنسان شعوراً عميقاً متجدداً بما بينه وبين الكون من وشائج، ومن علاقات سامية، فنوح عليه السلام يوجه في جهاده المرير إلى حقيقة يدركونها بأدنى فكر، يوجههم إلى آيات الله في الكون المحيط بهم لينشيء في قلوبهم إيماناً يقوم على المشاهدة الحسية وما تتركه في القلوب من شعور حيّ)[2]، كما وضحته السورة عند الآية [١٥ إلى ٢٠].

وإذا أعدنا النظر في علاقة السورة باسمها نلاحظ أن نوح عليه السلام مر ذكره وقصة قومه في سور كثيرة مختلفة في كتاب الله العظيم، ولكن في هذه السورة وعلى قصر آياتها عن غيرها من السور السابقة نجد أنها أخذت طابع القصة القصيرة

---

(١) قصص القرآن (ص: ١٥) أ/ محمد أبو الفضل إبراهيم.

(٢) سيكولوجية القصة في القرآن (ص: ٢٦٩) د/ التهامي.

التي وضحت المقصود بأدق التفاصيل وبأقل المعاني وأوجز الكلمات، وما ذاك إلا لنعلم أن هذا القرآن فيه من الأسرار ما لا يعلمه إلا منزله سبحانه وتعالى، وأن قصة نوح عليه السلام مع قومه كانت درساً عملياً لأتباع المرسلين، وعلى الأمة الإسلامية أن تتبع خاتم المرسلين محمد ﷺ.

وفي سورة نوح منهج متكامل للدعاة، فهو يُسِرّ بالدعوة حيناً عندما يرى السرية مجدية وهو يعلن بها ويجهر حين يرى ذلك نافعاً، وهو يأخذ بأسلوب الإغراء حين يروم فيه الجدوى، وهو يدعو على قومه دعاءً مهلكاً نافذاً حين يبلغ به اليأس منهم منتهاه.

وإذا نظرنا سيرة نبينا الخاتم صلوات الله عليه وسلامه نجده أخذ بكل تلك الأساليب لأن قصة نوح حينما قصت عليه في قرآن خالد، فإنما قصت للاهتداء بها، والاقتداء والاعتبار: ﴿**لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب ما كان حديثاً يفترى..**﴾[1]، اقتداء للنبي ﷺ من بعده، وللدعاة أجمعين، وهي تجربة دعوية خالدة خلَّد الله تعالى ذكرها في القرآن لتكون منهجاً مسلوكاً.

وللتنويه بهذا المنهج وصاحبه عليه السلام، جعل اسمه لسورة جامعة في القرآن لكل تلك المعاني الخالدة في الدعوة.

ونقف عند قصة نوح عليه السلام لأنه أبو البشرية الثاني الذي نقل قومه في السفينة بعد الطوفان الحسي الذي عمَّ كُلَّ الأرض ليكوِّن بهم أُمة جديدة ذات ولاء واحد لعقيدة التوحيد فكان هو آدم الثاني، فإن البشرية انتشرت منه وممن معه من المسلمين في السفينة، ممن أنجاه الله من قومه حتى ظهر منهم العرب الذين خرج منهم

---

(١) آية [١١١] سورة يوسف.

خير خلق الله محمد صلى الله عليه وسلم، وكانت أمته خير أمة أُخرجت للناس. نسأل الله أن يجعلنا منهم ويهيىء لهذه الأمة رشدها لتعود لقيادة البشرية قبل فوات الآوان وتتخذ من قرآنها دستوراً لإصلاح البشر.

الفصل الثالث

معانٍ ومعالم في الألفاظ

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: سورة الحجر.

المبحث الثاني: سورة الأحقاف.

المبحث الثالث: سورة المنافقون.

المبحث الرابع: سورة الكافرون.

المبحث الأول

سورة الحجر

الآيات (٨٠ - ٨٥)

وتشتمل على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : فضلها وأهميتها.

المطلب الثاني : أسماؤها.

المطلب الثالث : اسم السورة (دلالات وإشارات).

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: ﴿ ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين(٨٠) وآتيناهم أياتنا فكانوا عنها معرضين(٨١) وكانوا ينحتون من الجبال بيوتاً آمنين(٨٢) فأخذتهم الصيحة مصبحين(٨٣) فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون(٨٤) وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وإن الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل(٨٥) ﴾.

التفسير(١):

(٨٠) ﴿ أصحاب الحجر ﴾: مدينة ثمود [وهم قوم صالح].

(٨١) ﴿ وكانوا ينحتون من الجبال بيوتاً آمنين ﴾ قيل: آمنين من عذاب الله.

(٨٢) ﴿ مصبحين ﴾: حين أصبحوا من اليوم الرابع.

(٨٣) ﴿ ماكانوا يكسبون ﴾: يجترحون من الأعمال الخبيثة.

(٨٤) ﴿ وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق ﴾: بالعدل والإنصاف، يعني: أنه لم يظلم أحداً ممن ذكر من الأمم ﴿ وإن الساعة ﴾ التي تقوم فيها القيامة ﴿ لآتية ﴾ فأرضَ بها لمشركي قومك ﴿ فاصفح ﴾ عنهم: أعرض عنهم.

(٨٥) ﴿ الصفح ﴾: الإعراض ﴿ الجميل ﴾ وكان هذا قبل أن ينزل الجهاد.

---

(١) مختصر تفسير الإمام الطبري إمام المفسرين(ج٤/ ص: ٢٩٧).

المطلب الأول: فضلها وأهميتها:

(سورة الحجر من السور المكية إجماعاً وعدد آياتها تسع وتسعون بلاخلاف)[1]، وهي(الخامسة عشرة من سور القرآن الكريم ، وهي مكية مع استثناء الآية الأولى وغيرها)[2].

وهي (على الصحيح مكية فقد عُدت الرابعة والخمسون في عدد نزول السور، نزلت بعد سورة يوسف وقبل سورة الأنعام، وعدد آياتها تسع وتسعون باتفاق العادين)[3].

فضلها:

لم نقف على نص خاص بها وإنما هي من عموم القرآن الكريم الذي لا تخلو آية منه ولا كلمة من فضل ومنّة ونور ورحمة، ومن هداية وشفاء، حتى قيل: خذ من القرآن ما شئت لما شئت.

أما أهميتها:

فسورة الحجر من السور التي ظهرت أهميتها لتميزها باسم علم لم يتكرر في كتاب الله تعالى إلا في هذه السورة، ولما كانت أهمية هذه الحادثة ذات طابع خاص يظهر جانب القوة التي يحصل عليها الإنسان في تمكينه من نحت الحجار، وعندما ظن هذا الإنسان أنه بهذه القوة يستطيع تحدي الواحد القهار أظهر الله له معجزة من نفس ما امتزج به عمله وهو نحت الحجارة فأخرج له من الحجارة ناقة: آية تدل على صدق رسولهم.

---

(١) الإتقان في علوم القرآن (ج١/ ص: ١٢)، بصائر ذوي التمييز (ج١/ ص: ٢٧٢).
(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (ج١١/ ص:٦).
(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور (ج١٤/ ص:٦).

و(الحجر اسم واد كان يسكنه ثمود[1]) وقوله تعالى: ﴿المرسلين﴾ المراد منه صالح وحده، ولعل القوم كانوا براهمة منكرين لكل الرسل. وقوله تعالى: ﴿وآتيناهم آياتنا﴾ يريد الناقة، وكان في الناقة آيات كثيرة كخروجها من الصخر، وعَظم خَلْقها، وظهور نتاجها عند خروجها، وكثرة لبنها، وأضاف الإيتاء إليهم وإن كانت الناقة آية لصالح لأنها آية رسولهم)[2].

وتتضح أهمية السورة التي كانت مضرب المثل لمن كذب وعاند بعد أن جاءت البينات عند قوله تعالى: ﴿وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين﴾[3]، (إن ثمودا اجتمعوا يوما في ناديهم، فجاءهم رسول الله صالح فدعاهم إلى الله، وذكرهم وحذرهم ووعظهم وأمرهم، فقالوا له: إن أنت أخرجت لنا من هذه الصخرة - وأشاروا إلى صخرة هناك - ناقة، من صفاتها كيت وكيت، وذكروا أوصافا سموها ونعتوها وتعنتوا فيها. وأن تكون عشراء طويلة من صفتها كذا وكذا، فقال لهم النبي صالح عليه السلام: أرأيتم إن أجبتكم إلى ما سألتم على الوجه الذي طلبتم، أتؤمنون بما جئتكم به وتصدقوني فيما أرسلت به؟ قالوا: نعم. فأخذ عهودهم ومواثيقهم على ذلك. ثم قام إلى مصلاه فصلى لله عز وجل ما قدر له، ثم دعا ربه عز وجل أن يجيبه إلى ماطلبوا. فأمر الله عز وجل تلك الصخرة أن تنفطر عن ناقة

---

(١): هم قبيلة مشهورة يقال لهم (ثمود) باسم جدهم ثمود أخ جديس وهما أبناء عاتر من إرم من سام من نوح. (قصص الأنبياء - لابن كثير).

: هو عبد الله ورسوله: صالح بن عبيد بن ماسح بن عبيد بن حادر بن ثمود بن عثر ارم بن نوح فدعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له وأن يخلعوا الأصنام والأنداد ولايشركوا به شيئاً، فآمنت به طائفة منهم وكفر جمهورهم، ونالوا منه باعقال والفعال، وهموا بقتله، وقتلوا الناقة التي جعلها الله حجة عليهم، فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر. (قصص الأنبياء لابن كثير).

(٢) الفخر الرازي (ج١/ ص: ٢١٤) ط، دار الفكر ١٩٩٥م.

(٣) آية [٨٢] سورة الحجر.

عظيمة عشراء، على الوجه المطلوب الذي طلبوا، وعلى الصفة التي نعتوا، فلما عاينوها كذلك رأوا أمراً عظيماً هائلاً، وقدرة باهرة ودليلاً قاطعاً وبرهاناً ساطعاً فامن كثير منهم، واستمر أكثرهم على كفرهم وضلالهم وعنادهم)[1].

هكذا جاءت أهمية السورة عموما (كبقية السور المكية تدور حول نقاش المشركين في معتقداتهم وأفكارهم ومايتبع ذلك من إثبات البعث وبيان مظاهر قدرة الله أو تذكير الإنسان بنشأته الأولى، وعلاقته بالملائكة والجن، ثم ذكر قصص بعض الأنبياء وختام السورة بالحديث مع الرسول ﷺ)[2].

المطلب الثاني: أسماؤها.

فسورة الحجر من السور التي اشتهرت باسم واحد.

و(تسمي بسورة الحجر، لاشتمالها على قصتهم، وقوله تعالى: ﴿ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين﴾)[3].

وقيل (سميت هذه السورة، سورة الحجر، ولايعرف لها اسم غيره، ووجه التسمية أن اسم الحجر لم يذكر في غيرها)[4].

---

(١) قصص الأنبياء لابن كثير (ص: ١٣٩).
(٢) التفسير الواضح (ج٢/ ص: ٢٧١).
(٣) بصائر ذوي التمييز (ج١/ ص: ٢٧٢).
(٤) التحرير والتنوير (ج١٤/ ص: ٥).

المطلب الثالث : اسم السورة (دلالات وإشارات) .

(الحجر) هذا العنوان لهذه السورة له خاصية لأنه يشير إلى إسم مميز له شأن، فكان عنوان السورة له علاقة بمضمونها الذي وَجه الدلالات الواضحة إلى أهمية اتباع الأوامر الربانية والتسليم لرسل الله عليهم السلام، وجاءت إشارات هذه السورة محذرة مشركي مكة خاصة وسائر الكفار عامة مما سوف يحل بهم في حالة تكذيبهم لرسولهم محمدﷺ، وضرب لهم المثل بأهل الحجر فهم على قوتهم البدنية التي مكنتهم من نحت الجبال إلا أنها لم تمنع عنهم العذاب حينما رفضوا دعوة الحق.

و(أصحاب الحجر هم ثمود كانوا يقيمون بالحجر . بكسر الحاء، وسكون الجيم.

والحجر : المكان المحجور، أي الممنوع من الناس بسبب اختصاصهم به.

أو أُشتق من الحجارة لأنهم كانوا ينحتون بيوتهم في صخر الجبل نحتاً محكماً، وقد جعلت طبقات وفي سطحها بئر عظيمة وآبار كثيرة.

والحجر هو المعروف بوادي القُرى وهو بين المدينة والشام، وهو المعروف اليوم باسم مدائن صالح على الطريق من خيبر إلى تبوك)[1].

وبعد معرفة (الحجر) اسماً ومكاناً ، ننظر إلى هذه السورة من خلال العنوان الذي وضع لها وهو (الحجر) الذي لم يذكر في غيرها بين دفتي المصحف الشريف، وهذا يدعونا إلى النظر والعبرة في عظمة الأسماء ومعالم الألفاظ في كتاب الله تعالى فإن هذه الأسماء لها مدلولها (فالحجر) اسم لنوع من مخلوقات الله، وهو الحجر . والحجر معلوم ولكن ليس هو المقصود مباشرة إنما هو مقصد من مقاصد عظيمة، كانت لها مدلولات في هذه السورة حيث وضحت أن هذا الجماد أخرج الله منه الناقة وهي الحيوان الأليف الذي يستفاد منه، وكون هؤلاء القوم اتخذوا من الحجارة

---

(١) التحرير والتنوير (ج١٤/ ص: ٧٢ - ٧٣).

وسيلة لحمايتهم من حر الصيف وبرد الشتاء والحماية من العدو، وعلى شدة تعلقهم بفن النحت على الحجارة، يبين الله لهم قدرته من خلال ذلك، فجاءت على الإشارات التي حملتها السورة في معالم الألفاظ التي تشير إلى أن الله جعل في كل شيء خلقه حكمة، وفي هذه الحادثة إشارة عظيمة إلى من يجيء من الأمم من بعد قوم أصحاب الحجر أن يتعظوا بما حدث إلى سلفهم ولا يفعلوا كما فعل أصحاب الحجر فيحل عليهم العذاب، بل عليهم أن يستفيدوا من هذه الحوادث لتكون داعيةً لهم إلى الإيمان والتسليم لله، ولهذا وضعت هذه السورة في هذا الفصل المخصص : (معانٍ ومعالم الألفاظ).

و(من أهم عناصر التحليل في هذه القصة ما تثيره في النفس من شعور بالخوف من عذاب الله ونقمته، وبالأمن في حمى الإيمان بالله وقوته، وعلى اشتمال وحدانية الله على الكثير من نعمه على ثمود وإقامة الحجة عليهم عند تذكيرهم بهذه النعم، وانقطاع حجتهم لما أراهم آية الناقة، واستنفاد نبيهم صالح عليه السلام كل ما في جهده لإ قناعهم ودعوتهم إلى الله وبذلك استحقوا العذاب لتحديهم وإتيانهم ما حذروا وهو عقر الناقة)[1]، ولونظرنا إلى إشارات هذه السورة في هذه القصة وما دلت عليه من آيات الإعجاز التي يستخدمها الله سبحانه وتعالى على حسب طلب المدعين - وهنا كان الطلب هو إخراج ناقة ذات مواصفات خاصة من الحجر- فجاءت دلالات هذه السورة لأنها أخذت اسم الحجر عنواناً لها فدل ذلك على أن معالم الألفاظ لها ذكر في كتاب الله، وهذه المعالم التي أشار إليها القرآن الكريم كانت معروفة لدى العرب، ويعرفون مكانها، وهذا واضح في السيرة النبوية للرسول ﷺ عندما تحدثت عن مغازيه وذكرت مروره ﷺ في الطريق على أصحاب الحجر.

(١) سيكولوجية القصة في القرآن (ص: ٣٣١) د/ التهامي.

كما جاء عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (لما مر النبي ﷺ بالحجر قال: **«لاتدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم أن يصيبكم ما أصابهم إلا أن تكونوا باكين»**، ثم قَنَّعَ رأسه وأسرع السير حتى أجاز الوادي)(١).

وفي هذا التوجيه من رسول الله ﷺ أنه يذكر وينهى من الدخول في ديار الظلمة لأنه يجلب العذاب فكيف بمن يعمل مثل عملهم ؟ فهو أولى أن يحل به العذاب، ولهذه الأسباب وغيرها التي نجهلها من الحكم والمواعظ في هذا العلم ومن أسماء السور التي توضح لنا أهمية هذه المقاصد التي تنبه المسلم من الغفلة التي تجره إلى المعصية، وأن في ضرب هذه الأمثلة بأحوال الأمم السابقة الخير للأمة الإسلامية وكذلك توجيه رسول الأمة ﷺ في هذا الحديث الشريف لهو أكبر عظة على تجنب المعاصي والتزام الطاعات، وفي هذا القدر كفاية لمن أراد الموعظة الحسنة والتمسك بالهدى المبارك، والاستنتاج من مقاصد القرآن الكريم المختلفة وخاصة ما جاء في هذا البحث الذي خصص لمعالم الألفاظ في القرآن الكريم لما فيه من خير عظيم وأجر كبير.

---

(١) صحيح البخاري كتاب المغازي باب نزول النبي ﷺ الحجر (ج٩/ ص: ٧٥٩).

المبحث الثاني

سورة الأحقاف

الآيات (٢١ - ٢٦)

وتشتمل على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : فضلها وأهميتها.

المطلب الثاني : أسماؤها.

المطلب الثالث : اسم السورة (دلالات وإشارات).

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: ﴿ واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه ألا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم(٢١) قالوا أجئتنا لتأفكنا عن ألهتنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين(٢٢) قال إنما العلم عند الله وأبلغكم ما أرسلت به ولكني أراكم قوما تجهلون(٢٣) فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم(٢٤) تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا يُرى إلا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين(٢٥) ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون(٢٦) ﴾.

التفسير(١):

٢١) ﴿ أخا عاد ﴾: هود عليه السلام بالأحقاف «الأحقاف» واحدها: حِقف هو واد بين عمان إلى حضرموت، كان ينزله قوم هود صلى الله عليه وسلم ﴿ وقد خلت النذر ﴾: مضت الرسل ﴿ من بين يديه ﴾: قبله ﴿ ومن خلفه ﴾ بعده.

٢٢) ﴿ لتأفكنا ﴾: تصرفنا عن عبادة آلهتنا.

٢٣) ﴿ فلما رأوه ﴾: لما جاءهم عذاب الله الذي يستعجلونه ﴿ عارضاً ﴾: سحاباً عارضاً في ناحية من نواحي السماء (معترضاً في أفق السماء) ﴿ مستقبل أوديتهم ﴾.

---

(١) مختصر تفسير الإمام الطبري (ج٦/ ص: ٥٧٣ ٥٧٤).

٢٤) ﴿تدمر كل شيء﴾ :تهلكه، وترمي ببعضه على بعض .[﴿فأصبحوا لا يرى إلا مسكنهم﴾ :فأصبح قوم هود وقد هلكوا وفنوا فلا يرى في بلادهم شيء إلا مساكنهم].

٢٥) ﴿ولقد مكناهم﴾ يعني: عاداً في الدنيا ﴿فيما إن مكناكم فيه﴾ يقول عز وجل لمشركي قريش: فيما لم نمكنكم فيه، وأعطيناهم من كثرة الأموال وبسطه الأجسام ما لم نعطكم ﴿وجعلنا لهم سمعا﴾ يستمعون به مواعظ ربهم ﴿وأبصاراً﴾: يبصرون بها حججه ﴿وأفئدة﴾ يعقلون بها ما يضرهم وينفعهم. ﴿وحاق﴾ : نزل ﴿ما كانوا به يستهزءون﴾ من استعجالهم العذاب).

المطلب الأول: فضلها وأهميتها:

إن سورة الأحقاف[1] من السور المكية بالاتفاق وعدد آياتها خمس وثلاثون في الكوفيين، وأربع في الباقين[2].

- وهي السادسة والأربعون من سور القرآن الكريم وعدد آياتها [٣٥] عند الكوفيين و[٣٤] عند غيرهم[3].

- وهذه السورة معدودة الخامسة والستين في عِداد نزول السور، نزلت بعد الجاثية وقبل الذاريات[4].

فضلها:

لم نقف على نص خاص بها وإنما هي من عموم القرآن الكريم الذي لا تخلو آية منه ولا كلمة من فضل ومنّة ونور ورحمة، ومن هداية وشفاء، حتى قيل: خذ من القرآن ما شئت لما شئت.

أما أهميتها:

فسورة الأحقاف من السور المكية التي تعالج قضايا المجتمع العربي، فمحور هذه السورة في سياقها ومواضيعها يتحدث عن أهمية قضايا العقيدة والشريعة (وتشتمل كغيرها من السور المكية على التوحيد ونفي الشركاء، وإثبات النبوة وصدق محمدﷺ، فيما بلغه عن ربه، ورد شبهاتهم في القرآن والنبوة، ثم تسلية

---

(١) الأحقاف: أحقاف: الرحل، واحدهما: حقف والحقف: الرحله المستطيلة المرتفعة إلى فوق. (الموسوعة العربية، حرف: ح).

(٢) الإتقان للسيوطي (ج١/ ص: ٧٢)، بصائر ذوي التمييز (ج١/ ص: ٤٤٨).

(٣) نظم الدرر للبقاعي (ج١٨/ ص: ١١٨).

(٤) التحرير والتنوير (ج٢٦/ ص: ٦).

النبي ﷺ ببيان موقف الأولاد من آبائهم، وضرب الأمثال للمشركين بقوم هود وغيرهم، ثم بيان انقياد الجن له حتى يطمئن النبي ﷺ، ثم بعد ذلك أثبتت الميعاد والبعث، وختم السورة بالنصيحة الغالية للنبي ﷺ، ولكل من يقوم بالدعوة إلى الله تعالى)(١).

وتأتي الأهمية العظيمة لهذه السورة لذكرها توجيه النبي ﷺ لأهل قريش بأعلامهم: (واذكر يا محمد لأهل مكة هوداً(٢) أخا عاد إذ أنذر قومه، وقد كانوا يسكنون الأحقاف فقال لهم: لاتعبدوا إلا الله الذي خلقكم ورزقكم لأني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم هوله، وأعلمهم أن الرسل الذين بعثوا قبله، والذين سيبعثون بعده كلهم ينذرون قومهم بهذا الإنذار، وهو ألا يعبدوا إلا الله)(٣).

وتأتي أهمية هذه السورة في عظمة محتواها الذي تحدث عن قوم عاد وقصتهم مع أخيهم الذي بعث فيهم هود عليه السلام.

و(المقصود أن عاداً كانوا جفاة كافرين متمردين في عبادة الأصنام، فأرسل الله فيهم رجلاً منهم يدعوهم إلى الله وإلى إفراده بالعبادة والإخلاص له فكذبوه وخالفوه وتنقصوه، فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر)(٤).

---

(١) التفسير الواضح (ج٣/ ص: ٤٣٧).

(٢) هو هود بن شالخ بن ارفخسن بن سام بن نوح عليه السلام، وكان من قبيلة يقال لها عاد بن عوص بن سام ابن نوح وكانوا عرباً يسكنون الاحقاف بارض مطلة على البحر وهي جبال، الرمل، وكانت باليمن بين عمان وحضرموت، يقال لها(الشحر) واسم واديهم مضيت(قصص الأنبياء لابن كثير قصة هود).

(٣) التفسير الواضح (ج٣/ ص: ٤٤٩).

(٤) قصص الانبياء لابن كثير (ص: ١١٦) ط، دار الفكر ١٩٩٢م.

المطلب الثاني: أسماؤها.

هذه السورة من السور التي اشتهرت باسم واحد.

- وسميت سورة الأحقاف لقوله تعالى: ﴿**إذ أنذر قومه بالأحقاف**﴾[1].

- وعلى ذلك دلت تسميتها بالأحقاف، الدالة على هدوء الريح وسكون الجو)[2].

- وسميت هذه السورة (بسورة الأحقاف) في جميع المصاحف وكتب السنة ووجه تسميتها(الأحقاف): ورود لفظ الأحقاف فيها ولم يرد في غيرها من سور القرآن الكريم)[3].

---

(١) سورة الأحقاف آية (٢١).

(٢) بصائر ذوي التمييز (ج١/ ص: ٤٤٨).

(٣) نظم الدرر (ج١٨/ ص: ١١٨).

المطلب الثالث : اسم السورة (دلالات وإشارات) .

إن سورة (الأحقاف) من السور التي جاءت في سياق القصص القرآني وأخذت اسماً عَلَماً تميز في دلالات الأسماء على كون الألفاظ القرآنية لها دلالات تعبر عن سر أهمية هذا الاسم الذي جعل عنوانا لها، ويظهر مدى علاقة اسم السورة بمضمونها الذي من خلاله (يخدم القضية التي تعالجها السورة، وتأخذ القلب البشري من جانب غير الجوانب التي عالجتها المراحل السابقة في مصرع عاد، ومصرع قُرى غيرها حول مكة، وقد وقفوا من رسولهم وأخيهم هود - عليه السلام - موقف المشركين من رسولهم وأخيهم محمدﷺ، واعترضوا اعتراضاتهم، وأجابهم نبيهم بما يليق به من أدب النبوة في حدود بشريته وحدود وظيفته، ثم أخذهم ما أخذهم من العذاب المدمر، حين لم يسمعوا النذير، فلم تغن عنهم قوتهم وكانوا أقوى، ولم يغن عنهم ثراؤهم - وكانوا أغنى - ولم ينتفعوا بسمعهم وأبصارهم وأفئدتهم - وكانوا اذكياء - ولم تغن عنهم آلهتهم التي اتخذوها تقرباً - بزعمهم - إلى الله)[1].

ومن جهة أخرى لدلالات (الأحقاف) التي أشار فيها القرآن الكريم إلى أهمية ذكر هذه المعالم لأنها تُعبر عن حقائق كبيرة جداً : دروس يستفاد منها إذا أمعنا النظر في إشاراتها التي تستخرج منها، فالقرآن الكريم لما جعل عنوان السورة اسم قرية لأمة من الأمم أراد أن يلفت النظر إلى أن هذه القرية وهذا العلم الذي ضرب به المثل له شأن في دلالات الأسماء في القصص القرآني، وأن هذه الأسماء ذات المعالم والألفاظ لها معنى في كتاب الله تعالى .

---

(١) في ظلال القرآن (ج٦/ ص: ٣٢٦٥).

ونجد من خلال سياق السورة كيف حاور هود عليه السلام قومه قال: (ياقوم ما هذه الأحجار التي تنحتونها ثم تعبدونها وتلجئون إليها، ما خطرها وما غناها، وماضرها وما نفعها ؟ إنها لا تجلب لكم نفعاً ولا تدفع عنكم شراً، إن هذا إلا ازدراء لعقولكم، وامتهان لكرامتكم، ولكن هناك إلها واحداً حقيقاً بأن تعبدوه وجديراً أن تتوجهوا إليه، هو الذي خلقكم ورزقكم وهو الذي أحياكم وهو الذي يميتكم، مكنَّ لكم في الأرض وأنبت الزرع، وبسط لكم في الأجسام، وبارك لكم في الأنعام، فامنوا به وأحذروا أن تعموا عن الحق أو تكابروا في حق الله فيصيبكم ما أصاب قوم نوح، وما عهدهم منكم ببعيد(١).

فكان المقصود هو توجيه النظر في هذه السورة إلى أن ماحصل لقوم عاد قد يتكرر في صورة ثانية لأهل قريش إذا هم أعرضوا عن دعوة نبيهم محمدﷺ، ومن المعلوم أن ارتباط الحدث بمعلم مشهور يبقي محفوظاً في أذهان الأجيال، تتناقله جيلاً عن جيل على مر العصور، فجاء الحق سبحانه وتعالى، ونَزَّلَ على رسولهﷺ، نبأ هؤلاء القوم وأخبارهم وما حدث لهم من تدمير، سواء عُلم سبب هذا التدمير أم لم يُعلم، المهم هو أن هذه القرية حل بها بلاء وعذاب أصبح معروفاً عند كل جيل، يخبر به الجيل الذي يأتي بعده، ولهذا لما أخبر رسول اللهﷺ أهل قريش عن هذه القصة وأطلعهم على شيء قد يجهلونه وهو أن العذاب كان نتيجة تكذيب الرسول الذي أرسل إليهم، فهنا تحقق عندهم الخبر اليقين وصححت عندهم المعلومات، حيث إن خبر الأحقاف موجود عندهم ولكن دون معرفة الواقعة التي حدثت. فلما جاء القرآن وشرح هذه القصة وكيف وقعت تنبه أهل قريش لخطورة الموقف وعادت عقولهم إليهم وأكثرهم أجاب دعوة الرسولﷺ، خوفاً من العذاب الذي توعدهم به

(١) قصص القرآن (ص: ٢٤) أ/ محمد أبو الفضل إبراهيم.

رب العزة سبحانه وتعالى وأنه سوف يحل بهم ماحل بالأحقاف إذا لم يؤمنوا بالله ورسولهﷺ .

ويتضح ذلك جلياً عند (أدلة القرآن بتعذيب المعنيين الذين عذبهم على تكذيب رسله، وعصيان أمره ، وعلى أن هذا الحكم عام شامل ، على كل من سلك سبيلهم ، واتصف بصفتهم ، وقد نبه سبحانه وتعالى عباده على نفس هذا الاستدلال وتعديه هذا الخصوص إلى العموم . . . كقوله تعالى عقب إخباره عن عقوبة قوم عادٍ :

﴿ ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة ، فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ، ولا أفئدتهم من شيء ، إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون ﴾(١) .

فتأمل قوله : (ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه) كيف تجد المعني : أن حكمكم كحكمهم، وأنا إذا كنا قد أهلكناهم بمعصية فأنتم كذلك، تسوية بين المتماثلين ، وأن هذا محض عدل الله بين عباده)(٢)، إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، فهذا الإخبار في كتاب الله المنزَّل على رسولهﷺ ما ساقه الله عبثاً وإنما أخبر به الله نبيه محمدﷺ ليؤمن الناس بالغيب حتى يفوزوا ويسعدوا لأن مجيء هذا الإنسان لهذه الدنيا ليتحصل على الإيمان الكامل لقوله سبحانه وتعالى : **﴿ فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا . . . ﴾**(٣) .

---

(١) آية [٢٦] سورة الاحقاف .

(٢) أعلام الموقعين عن رب العالمين (ج١/ ص : ١٣٠ - ١٣٢) لابن القيم الجوزية .

(٣) آية [١٣٧] سورة البقرة .

وإن خرج الإنسان من هذه الدنيا بدون الإيمان فهو في خسران، ثم يتمنى العودة إلى الدنيا ليستكمل إيمانه ولكن هيهات هيهات . . وذلك مصداق قوله تعالى: ﴿حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون﴾[1].

وذلك لما عاين كل ما أخبر به الرسول ﷺ معاينة تامة نافية للجهالة، لهذا كان النبي ﷺ باخعاً نفسه حتى يؤمن القوم بالخبر ويكذبوا النظر.

كما أن السورة (الأحقاف) تحمل معاني عظيمة كثيرة تدل على كثرة الدلالات والإشارات فيها، وتذكر السورة أن عاداً الأولى تعد من العرب البائدة مع ذلك ذكرها بقوة الملاحظة واستعمال الحواس حتى أصبحت ذات حضارة ولكن لما غلب عليهم الفساد والاستهزاء بالضعفاء نتيجة القوة التي كانت منحت لهم من الله واستعملوها للطغيان والظلم وقهر الضعفاء أخذتهم سنة الله التي لا تتغير في إذلال كل ظالم، فأهلكهم الله بالمطر الذي كان يحمل العذاب.

ثم بعد ذلك كوّن الله سبحانه وتعالى عاداً الثانية من ضعفاء المؤمنين الذين استجابوا لسيدنا هود فأخرج بهم أمة كانت حاملة لواء التوحيد بعد نوح.

إن ذكر هؤلاء الأقوام في هذه السورة لأنها حالة من الطغيان أُهلكت لاهمالها ما تتمتع به من القوة الجسدية، وهم عاد الثانية التي كانت استمراراً لعقيدة التوحيد في أرض العرب ليثبت التاريخ أن العرب كانوا دائماً الأمة التي تنتقل من الجهل إلى العلم حتى ثبت لها هذا العلم عن طريق ختم الأديان السماوية بدين الإسلام عن طريق خاتم الأنبياء محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، والحمد لله الذي هدانا وما كنا لنهتدي لو لا أن هدانا الله.

---

(١) آية [٩٩] سورة المؤمنون.

المبحث الثالث

سورة المنافقون

الآيات (١ - ٣)

وتشتمل على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : فضلها وأهميتها.

المطلب الثاني : أسماؤها.

المطلب الثالث : اسم السورة (دلالات وإشارات).

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: ﴿إذا جاءك المنافقون* قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون(١) اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله إنهم سآء ما كانوا يعملون(٢) ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون(٣)﴾.

التفسير:

(يقول تعالى مخبرا عن المنافقين: إنهم إنما يتفوهون بالإسلام ظاهراً فأما في باطن الأمر فليسوا كذلك بل على الضد من ذلك، ولهذا قال تعالى: ﴿إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله﴾ أي إذا حضروا عندك واجهوك بذلك، وأشهروا لك ذلك، وليس كما يقولون ولهذا اعترض بجملة مخبرة أنه رسول الله فقال: ﴿والله يعلم إنك لرسوله﴾. ثم قال تعالى: ﴿والله يشهد إن المنافقين لكاذبون﴾ أي فيما أخبروا لأنهم لم يكونوا يعتقدون صحة ما يقولون ولا صدقه، ولهذا كذبهم بالنسبة إلى اعتقادهم، وقوله تعالى: ﴿اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله﴾ أي اتقوا الناس بالأيمان الكاذبة ليصدقوا فيما يقولون فاغتر بهم من لا يعرف جلية أمرهم، فاعتقدوا أنهم مسلمون، وهم من شأنهم أنهم كانوا في الباطن لا يألون الإسلام وأهله خبالاً، فحصل بهذا القدر ضرر كبير على كثير من الناس، ولهذا قال تعالى: ﴿فصدوا عن سبيل الله إنهم ساء ما كانوا يعملون﴾،

* النفاق: مأخوذ من نفق، والنفق: سَرَبٌ في الأرض، مشتق إلى موضوع آخر. والنفقة والنافقاء: جحر الضب واليربوع، ونفق اليربوع، ونفق خرج منه ويقال: نافق اليربوع إذا دخل في نفاقه، وسمي المنافق منافقاً للنفق وهو السرب في الأرض، وقيل إنما سمي منافقاً: لأنه نافق كاليربوع، وهكذا يفعل المنافق يدخل في الإسلام ثم يخرج منه من غير الوجه الذي دخل فيه، والمنافق: اسم إسلامي لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به وهو الذي يستر كفره ويظهر إيمانه، لسان العرب مادة نفق (١٠/٣٥٨).

وقوله تعالى: ﴿ذلك بأنهم آمنوا، ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون﴾ أي إنما قدر عليهم النفاق لرجوعهم عن الإيمان إلى الكفران، واستبدالهم الضلالة بالهدى، (فطبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون، أي: فلا يصل إلى قلوبهم هدى، ولا يخلص إليها خير فلا تعي ولاتهتدي)[1].

(١) مختصر تفسير ابن كثير. الشيخ/ محمد علي الصابوني.

المطلب الأول: فضلها وأهميتها:

إن سورة المنافقين من السور المدنية بالاتفاق وآياتها إحدى عشرة(١).

- وهي الثالثة والستون من سور القرآن الكريم، مدنية وعدد آياتها [١١](٢).

- وقد عُدت الثانية بعد المائة في عداد نزول السور عند جابر بن زيد، نزلت بعد سورة الحج وقبل سورة المجادلة(٣).

فضلها:

لم نقف على نص على وجه الخصوص لفضلها وإنما هي من عموم فضائل كتاب الله تعالى.

أما أهميتها:

فسورة المنافقين تأتي أهميتها من عنوانها إذ أنها تخص فئة معينة من الناس، لهم أحوال متقلبة، فجاءت السورة لتوضيح هذه الصفات المذمومة فكان (مقصدها كمال التحذير مما يُسلب الإيمان من الأعمال الباطلة والترهيب مما يقدح في الإسلام من الأحوال الظاهرة، بمخالفة الفعل للقول، فإنه نفاق في الجملة فيوشك أن يجر إلى كمال النفاق فيخرج من الدين ويدخل في الهاوية، ليكون هذا التحذير سبباً في صدق الأقوال وصدق الأعمال وصدق الأخلاق ثم صدق الأحوال وصدق الأنفاس.

فصدق القول أن لايقول القائل إلا عن برهان، وصدق العمل أن لايكون

---

(١) الإتقان للسيوطي (ج١/ س: ٧٣)، بصائر ذوي التمييز (ج١/ ص: ٤٦٥).
(٢) نظم الدرر (ج٢٠/ ص: ٧٣) الهامش.
(٣) التحرير والتنوير (ج٢٨/ ص: ٢٣١).

للبدعة عليه سلطان، وصدق الأخلاق أن لايلاحظ مايبدو منه من الإحسان بعد المبالغة فيه بعين النقصان، وصدق الأحوال أن يكون على كشف وبيان، وصدق الأنفاس أن لايتنفس إلا عن وجود كالعيان)[1].

كما أن سورة المنافقين لها من الأهمية بمكان حيث جاءت تعالج خللاً في اعتقاد بعض البشر وهم الفئة التي توعدها الله بالعذاب لأنهم يظهرون خلاف مايبطنون فكان من مقاصد هذه السورة وأهميتها (تقريع وتوبيخ المنافقين وتبكيتهم وبيان ذلهم وكذبهم، وذكر تشريف المؤمنين وتبجيلهم وبيان عزهم وشرفهم، والنهي عن نسيان ذكر الحق تعالى، والغفلة عنه والإخبار عن ندامة الكفار بعد الموت وبيان أنه لاتأخير ولا إهمال بعد حلول الأجل)[2].

المطلب الثاني : أسماؤها.

سورة المنافقين من السور التي أخذت اسماً واحداً.

وسميت سورة المنافقين بمفتتحها[3].

وكذلك سميت هذه السورة في كتب السنة وكتب التفسير (بسورة المنافقين) اعتباراً بذكر أحوالهم وصفاتهم[4].

---

(١) نظم الدرر (ج٢٠/ ص: ٧٣).

(٢) بصائر ذوي التمييز (ج١/ ص: ٤٦٥).

(٣) المصدر السابق (١).

(٤) التحرير والتنوير (ج٢٨/ ص: ٢٣١).

المطلب الثالث: اسم السورة (دلالات وإشارات).

سورة (المنافقون) لاسمها عند المسلمين وقع يختلف عن كل ما سمعوا من المشركين والكافرين، لهذا كانت لهذه السورة العظيمة علاقة قوية جداً بين اسمها وموضوعها حيث اشتملت على دلالات في سياق نظمها العجيب عند الحديث عن المنافقين، فحملت لهم إشارات بليغة في اسمها مما يدل على أن هذا القرآن جعل في عنوان أسماء سوره معانٍ للألفاظ، كلٌّ منها له مدلوله الذي وضع من أجله و(هذه السورة التي تحمل هذا الاسم الخاص (المنافقون) الدال على موضوعها . . ليست هي السورة الوحيدة التي فيها ذكر النفاق والمنافقين، ووصف أحوالهم ومكائدهم، فلا تكاد تخلو سورة مدنية من ذكر المنافقين تلميحاً أوتصريحاً، ولكن هذه السورة تكاد تكون مقصورة على الحديث عن المنافقين، والإشارة إلى بعض الحوادث والأقوال التي وقعت منهم ورويت عنهم، وهي تتضمن حملة عنيفة على أخلاق المنافقين وأكاذيبهم ودسائسهم ومناوراتهم، وما في نفوسهم من البغض والكيد للمسلمين، ومن اللؤم والجُبن وانطماس البصائر والقلوب)[1].

إذن تسمية هذه السورة بهذا الاسم يُلفت الانتباه إلى شيءٍ خطير ألا وهو ذلك العمل الظاهري الذي يخالفه المعتقد في الباطن، الذي يظهر على صورة الحقيقة عند المنافقين (فقد كانوا قوماً من الأنصار، أبناء عمومة، أبطنوا الكفر وأضمروا العداء، ثم أعلنوا الإسلام وتظاهروا بالمحبة الصافية، وانتحلوا الإخاء الصافي، واصطنعوا الود المنخول، وأن قلوبهم لتنطوى على المرض والحقد والغدر والمكر: زعموا أن سيوفهم مع المسلمين، صدقوا ولكن قلوبهم كانت مع الكفار، وزعموا أنهم خالصون خيرون، كذبوا هم جبناء أخساء أشرار)[2]، فكانت هذه السورة على

---

(١) في ظلال القرآن (ج٦/ ص: ٣٥٧٢).

(٢) قصص القرآن (ص: ٣٩٢).

المنافقين أشدُ وقعاً من السيوف المسلطة عليهم لأنها أفشت أسرارهم وضعفهم وبينت خطرهم وخبث سريرتهم، فنجد عظمة القرآن الذي لاتنتهي عجائبه جعل عنوان السورة (خطيراً جداً) وله إيحاء قوي في معاني الألفاظ، لأنه أحياناً يكون مدلول العنوان في إيحائه أقوى من السياق، كما أن عنوان اللفظ ظاهر معلوم المقصد منه، حتى لو لم يعرف محتواه يكفي صفته التي يصف بها أتباعه، وهم الذين يبطنون ما لايظهرون، فيكون بذلك قد وفىً العنوان في إيصال الرسالة لكل فرد عن حالة أهل النفاق والمنافقين وكل من تبع هذا الاتجاه يقع من ضمن أتباع هذا المذهب السيء الشنيع في الأفعال والأقوال ونعوذ بالله تعالى من شر النفاق والمنافقين.

لهذا نجد أن الله تعالى أراد لهذه الأمة أن تتربى على الإخلاص ظاهراً وباطناً، وأن تصفي القلب حتى يسلم من الأمراض وخاصة مرض النفاق لأنه مرض خطير يؤدي إلى الدرك الأسفل من النار، وقد بين ووضح لنا رسول الله ﷺ بعضا من أوصافهم في الحديث النبوي الشريف المتفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**آية المنافق ثلاث إذا حَدَّثَ كذب، وإذا وَعَدَ أخلَفَ، وإذا أُتمِنَ خان**» وزاد مسلم في روايته: «**وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم**»(١).

وعرفنا مما سبق عن النفاق، فيجب الحذر منه لأنه يولد ذلة النفس وهي تنتج التذلل الذي يفرز المداهنة والكذب، ولأنه مفسد للقلب الذي يتقلب ويتجه إلى التستر فيؤول صاحبه إلى قطيعة الرحم ويزيل الشفقة من القلب فينتج عنه الفتنة وهي ثمرة الخيانة، ولذا يجب على كل مسلم أن يتجنب هذه الصفات ويحذرها ليسلم منها فينجو من النار وغضب الله الجبار، لهذه كله كانت سورة للمنافقين فإن هذا التخصيص يلفت نظر المؤمنين إلى أن هذه الشريحة من البشر هم الذين يغلبهم

(١) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، (ج١/ ص: ١٨٦) ط، دار أبي حيان ١٩٩٦م، مسلم في كتاب الإيمان في بيان خصال المنافق رقم (٥٩).

الضعف في ثلاثة مواقع :

الأول : ضعفهم عن حسن المعاملة، فهذا ضعف إيماني لقلة اليقين وهذا يقع به نفاق الأعمال من كذب وخيانة وخلف موعد وفجور عند الخصام، فهذا النوع يقال له نفاق الأعمال.

الثاني : نفاق الضعف في وقت قوة الدولة الإسلامية وهذا أكثر أنواع النفاق، لأن الإنسان الخير يفرح بوجود المؤيدات التي تعاونه على البقاء، والإنسان الشرير يكره الخير فيظهر الموافقة لضعفه ويبطن الكفر منتظراً اليوم الذي يبطل فيه الحق ويقوى فيه الباطل.

الثالث : النفاق في وجود الحكام الظلمة الذين يتصيدون من يظهر الصلاح ويبطن الفساد ليكون عوناً وعيناً لهم على شعوبهم. والضعف هنا إنما بني على المداهنة وذلك ببذل الدين لكي تحصل له الدنيا.

وربما في هذا الوسط توجد المداراة وذلك ببذل الدنيا وعدم المنافسة فيها ليحصل له الدين وليحافظ على نفسه بعيداً عن موطن الذل للأطماع كما في المثل القائل :

" مابَسَقَ غُصنُ ذُلٍ إلا عن غرسِ طمعٍ " .

ومع ذلك فالرجاء يشملنا نحن منافقة هذا العصر لأننا نسكت عن المنكرات ومداراة لبعض الأحوال الخاصة والعامة.

فنسأل الله أن يغفر لنا ويمن علينا بالتوبة فهو التواب الرحيم.

المبحث الرابع

سورة الكافرون

وتشتمل على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : فضلها وأهميتها.

المطلب الثاني : أسماؤها.

المطلب الثالث : اسم السورة (دلالات وإشارات).

قال تعالى: ﴿قل يأيها الكافرون(١) لا أعبد ما تعبدون(٢) ولا أنتم عابدون ما أعبد(٣) ولا أنا عابد ما عبدتم(٤) ولا أنتم عابدون ما أعبد(٥) لكم دينكم ولي دين(٦)﴾

التفسير:

هذه السورة أنما جاءت لتعبر عن المعنى الذي نعبر عنه حديثاً في العرف الدبلوماسي: قطع العلاقات .. يعني لا يوجد مجال للتفاهم، إلا أن قطع العلاقات في العرف الدبلوماسي مرة يكون حسب الظروف الموجودة الآن، وهي لا تناسب أن تتلاقى ومن الجائز أن تجد بعد ذلك ظروفاً نتفاهم فيها، لماذا؟: لأن البشر حين يقررون ذلك أن الوقت ليس مناسبا للتفاهم وقد يأتي وقت آخر يكون مناسبا للتفاهم، وأن ظروف البشر متغيرة، وتغيير ظروف البشر لا يملكون فيها شيئاً، أمور تجرى عليهم، وتفكيرهم أيضاً ناقص لأنهم لا يعلمون ما يستقبل من الأحداث ولكن المسألة هنا ليست فيها ذاتية من البشرية المحضة، وإنما فيها محمدﷺ الممدود من الحق، ولا تغيير ولا تبديل في الأصول شيئا، لا يمكن بعد ذلك أن يتغير ذلك الشيء، ويبقى التفاوض مبتوت فيه الآن ولا أمل لإعادة الكلام فيه في المستقبل)[١].

تعريف الكفر:

الكفر نقيض الإيمان، وكفر نعمة الله، يكفرها كفراً وكفرانا، وكفر بها جحدها وسترها، ورجل كافر أي: جاحد، لأنها مشتقة من الستر، وقيل: لأنه مغطي على فعله، وأصل الكفر تغطية الشيء تغطية تستهلكه، وكل من ستر شيئاً فقد كفره، ولذلك سُمي الزارع كافراً لستره البذر بالتراب[٢].

(١) الشيخ محمد متولى الشعراوي (تفسير سورة الكافرون).
(٢) لسان العرب مادة كفر (٥/ ١٤٤).

المطلب الأول: فضلها وأهميتها:

سورة الكافرون (من السور المكية بالاتفاق وعدد آياتها ست)[1]، وهي (التاسعة والمائة من سور القرآن الكريم، مكية وعدد آيها ست)[2]، وقد (عُدت الثامنة عشرة في عداد نزول السور، نزلت بعد سورة الماعون وقبل سورة الفيل)[3].

فضلها:

لم نقف على نص خاص بها، وإنما جاء فيها حديث نبوي عن جابر رضي الله عنه (أن النبي ﷺ قرأ في ركعتي الطواف قل يأيها الكافرون وقل هو الله أحد)[4].

أما أهميتها:

فسورة (الكافرون) أخذت أسلوبا واضحاً مع الكافرين في أول بدايتها (بكلمة) لها معناها في دلالات الأسماء في قصص القرآن، لأنه يجعل أحياناً من ترداد القول لألفاظ معينة مراداً صريحاً لاشبهة فيه ولا تأويل، فدل ذلك على أن هذه الألفاظ مقصودة في كتاب الله ولها أهميتها في جنس من خاطبهم وكانوا أهلها، لأنها بالألفاظ المتكررة جعلت أصناف الأتباع نوعين، إما كافر وإما مؤمن، ولما جاء بالوصف بـ (يأيها الكافرون) (أي الذين قد حُكمَ بثباتهم على الكفر فلا انفكاك لهم عنه فستروا ما تدل عليه عقولهم من الاعتقاد الحق لو جردوها من أدناس الحظ، وهم كفرة مَخصصون وهم مَنْ حُكمَ بموته على الكفر بما طابقه من الواقع، وبما دل عليه التعبير بالوصف دون الفعل، واستغرقت اللام كل من كان على هذا الوصف في كل

---

(١) الإتقان للسيوطي (ج١/ ص: ٧٢)، بصائر ذوي التمييز (ج١/ ص: ٥٤٨).
(٢) نظم الدرر للبقاعي (ج٢٢/ ص: ٣٠٠) الهامش.
(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور (ج٣٠/ ص: ٥٨٠).
(٤) نظم الدرر (ج٢٢/ ص: ٣٠٢).

مكان وكل زمان، وإنما عبر بالجمع الذي هو أصل في القلة وقد يستعار للكثرة إشارة إلى البشارة بقلة المطبوع على قلبه من العرب المخاطبين بهذا في حياته ﷺ، وإشارة إلى حقارة الكافر وذلته وإن كان كثيراً)[1].

المطلب الثاني: أسماؤها.

هذه السورة اشتهرت باسم واحد مع الإشارة إلى أسماء أخرى تشارك بها بعض أسماء السور.

- سميت بسورة (الكافرون) لمفتتحها، وسورة الدّين، لقوله: ﴿ولي دين﴾ والمقشقشة[2]، قال أبوعبيد: سورتان من القرآن يقال لهما: المقشقشتان: ﴿قل هو الله أحد﴾، و: ﴿قل يأيها الكافرون﴾ تقشقشان الذنوب كما يقشقش الهناء[3] الجرب)[4].

- وروى قتادة عن زرارة بن أوفى[5]: كانت تسمى المقشقشة[6].

---

(١) المصدر السابق (٤).

(٢) القشقشة: تهيء البرء إذا برىء الرجل من علته، قيل: قد تقشقش.

(٣) الهناء: القطران يطلى به.

(٤) بصائر ذوى التمييز (ج١/ ص: ٥٤٨).

(٥) هو أبو زرارة ابن أوفى العامري، ثقة عابد، حديثه في الكتب الستة، مات فجاءة في الصلاة سنة ٩٣هـ انظر التقريب (١/ ١٢٥٩) التهذيب (٣/ ٣٢٣).

(٦) إسناده حسن، أخرجه أحمد (٥/ ٥٦)، وأبوداود (٥٠٥٥) والحاكم (١/ ٥٦٥) وصححه وأقره الذهبي.

المطلب الثالث : اسم السورة (دلالات وإشارات).

سورة (الكافرون) عنوان وضح العلاقة بين السورة ومضمونها في تحديد اتجاه المقاصد المطلوبة لكل فريق، فجاءت هذه السورة بإرتباط وثيق يتضح جلياً عند كلمة (الكافرون) ومالها من دلالات توضيحية في أسماء السور، التي يتبعها القرآن الكريم في دلالات أسماء القصص القرآني.

وهذه الإشارات - في تكرار لأربع مرات - لها مدلولات عظيمة، ففي قوله تعالى: ﴿قل يأيها الكافرون﴾ ناداهم بحقيقتهم وَوَصَفَهم بِصِفَتِهم، وأنهم ليسوا على دين، وليسوا بمؤمنين، وإنما هم كافرون فلا التقاء إذاً بينك وبينهم في طريق.

وهكذا يُوحي مطلع السورة وافتتاح الخطاب، بحقيقة الانفصال الذي لايجري معه اتصال.

- لا أعبد ماتعبدون - فعبادتي غير عبادتكم، ومعبودي غير معبودكم.

- ولا أنتم عابدون ما أعبد - فعبادتكم غير عبادتي ومعبودكم غير معبودي.

- ولا أنا عابد ما عبدتم - توكيد للفقرة الأولى في صيغة الجملة الاسمية وهي أدل على ثبات الصفة واستمرارها.

- ولا أنتم عابدون ما أعبد - تكرار لتوكيد الفقرة الثانية، كي لاتبقى مظنة ولاشبهة، ولامجال لمظنة أو شبهة بعد هذا التوكيد المكرر بكل وسائل التكرار والتوكيد، ثم إجمال لحقيقة الافتراق الذي لا التقاء فيه، والاختلاف الذي لا تشابه فيه، والانفصال الذي لا اتصال فيه، والتمييز الذي لا اختلاط فيه - لكم دينكم ولي دين - أنا هنا وأنتم هناك، ولا معبر ولاجسر ولاطريق، مفاصلة كاملة شاملة وتميز واضح دقيق)[1].

---

(١) في ظلال القرآن (ج٦/ ص: ٣٩٩٢).

وبنزول هذه السورة ذهب أمل الكفار في البقاء على دينهم ومشاركة دين الإسلام لأنهم أرادوا أن يعبدوا الله يوماً ويعبدوا غيره يوماً آخر، وأن محمدﷺ يجعل لهم يوماً يكون معهم ويوماً يكون مع المسلمين، فهذه السورة حددت ووضحت الدلالات وأكملت كل الإشارات التي قد توحي بأي مفهوم بأن محمداًﷺ قد يوافقهم على ما طلبوا، فكانت هذه السورة (الكافرون) الفاصلة بين منهجين، منهج الحق من رب العالمين وهو دين الإسلام. ومنهج مقته الله تعالى وأعد العذاب لمتبعيه وهو الكفر الذي ليس بدين وإنما أتباعه يعبدون غير الله، فكانت هذه السورة مع قلة عدد آياتها إلا أنها وضحت حقائق الإسلام مع غيره، وأنه لا دين يتعبد به إلا دين الإسلام، وهذا هو المراد لهذه المعاني في دلالات معاني الألفاظ في أسماء السور التي حملت دلالاتها من إشاراتها الكثيرة، لأنه كلام رب العالمين الذي علم الإنسان ما لم يعلم وفوق كل ذي علم عليم.

والكفر حجاب وشرعا الفطرة التي هي الإيمان والتي يولد عليها كل إنسان، فالكافر ساتر للحق ونوره، بظلمة الباطل وشهوات النفس، رافع لراية الضلال ومفسد للحياة الأولى والثانية السرمدية، التي من خسرها كان واقعاً في الخسران المبين، والكفر هو الذي تشقى به الدنيا الآن وفي كل عصر، لأنه اجتناب للحق والخير والفضيلة، والحياة إذا فقدت نور الإيمان وقعت في دياجير الباطل والفساد، والكافرون هم الذين يقودونها في هذا الاتجاه، وللتحذير منهم وإبراز خطرهم سميت السورة باسمهم لتكون دلالة واضحة على خطرهم والتحذير منهم. وهذه السورة «الكافرون»، جاءت لتقرير قضية سننية هي الثنائية التي لا تتخلف، فإن الكفر والإيمان سيظلان على التنافس لا يلغى أحدهما الآخر كحقيقة، وإنما يُنقض الكفر بالإسلام، أما التلاقي الفكري فهو مستحيل. ثم أن هناك حقيقة كبرى فإن

المعبود الحقيق في الوجود هو الله، لكن المسلم يعبد الله طوعاً وبه يحقق خلافة الله في الأرض. والكافر عبد إيجاد وقهر إلهي، لا يشعر به لأن الله قد أسلم له من في السموات والأرض.

لذلك جاء التعبير القرآني (لا أعبد ما تعبدون) ولم يقل: من تعبدون. فالسورة تقرر حقيقة سننية وهو أن الكل أوقعوا عبادة، الأولى: طوعية محفوظة مثمرة مصلحة للكون. الثانية: قهرية تأتي مع البلادة لأنها تلتفت للأغيار حيث لا أغيار وإنما أوهام أقامها جهل الإنسان وبدائيته وطمعه وغفلته. ومنهجية الذين يريدون أن يكونوا طواغيت تستفيد من وراء جهل البشرية وكفرها، غير أن هذا كله يصب في القضية الثنائية التي لا تلغي ولا تلتقي وإنما تزداد أحدهما على حساب تناقص الأخرى، ففي فترات الانحطاط يحصل تغلب الكفر في البلاد والعباد ولكنه متاع قليل، وفي فترة الكمال يسعد البشر ويختفي صوت الكفر ولكنه لا يعدم نهائياً، وهذا الذي أرادت تقريره السورة فهي تقرر عبودية الإيجاد والإذعان، الذي يدخل تحته الاختياري الذي يصلح الكون، والقهري الذي يكون سبباً في الفساد النوعي الذي لا يرضاه، تشريعاً وإن كان لم يوجده عبثاً لأن الله لم يخلق العباد عبثاً ولكن خلقهم لعبادته سبحانه وتعالى، فنسأل الله أن يجعلنا من عباده المخلصين ويعفو عنا أجمعين آمين.

* * *
* *
*

الباب الثالث

دلالات الأسماء نحو النهضة والقوة

الباب الثالث

[دلالات الأسماء نحو النهضة والقوة]

ويشتمل على :

تمهيد وفصلين :

التمهيد : القرآن الكريم يدعو لإعداد القوة وكذا السنة المشرفة .

الفصل الأول :

دلالات القوة المادية والمعنوية في الأسماء .

ويشتمل على خمسة مباحث :

المبحث الأول : سورة الفتح .

المبحث الثاني : سورة الحديد .

المبحث الثالث : سورة الصف .

المبحث الرابع : سورة القلم .

المبحث الخامس : سورة النصر .

الفصل الثاني :

علاقة الزمن بالنهضة والقوة .

ويشتمل على أربعة مباحث :

المبحث الأول : سورة الجمعة .

المبحث الثاني : سورة الفجر .

المبحث الثالث : سورة الليل .

المبحث الرابع : سورة العصر .

التمهيد

القرآن والسنة يدعوان إلى الاستفادة من الوقت :

لقد جاء الإسلام بمجموعة قيم متكاملة في شتى نواحي الحياة ومن ضمن هذه القيم التي دعا إليها القرآن الكريم ضمنيا، هي الوقت. فنجد أن الزمن معتبر بطريقة لم يشهدها دين كما شهدها الإسلام ولم تحافظ عليه أمة مثل هذه الأمة لهذا كان عامل الزمن من أهم العوامل للنجاح الذي حققه رسول الله ﷺ، الذي حدد مسار الإنسان في اليوم والليلة وكيف يقضي أوقاته المعلومة من عمره المحدودة ولذا جاءنا من هدى حبيبنا محمد ﷺ أهمية المحافظة على الوقت وذلك من خلال العبادة المفروضة علينا من قبل الحق سبحانه وتعالى وحذرنا من التلاعب بأوقاتها والتساهل في أدائها وهذا هو المنهاج الحقيقي للتميز بين المحافظ والمفرط.

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى وهو يتحدث عن الفكرة وأنواعها: (أعلى الفكر وأجلها وأنعمها ما كان لله والدار الآخرة، فما كان لله فهو أنواع وأعظم الأنواع: الفكرة في واجب الوقت ووظيفته وجمع الهم كله عليه، فالعارف ابن وقته فإن أضاعه ضاعت عليه مصالحه كلها، فجميع المصالح إنما تنشأ من الوقت، فمتى أضاع الوقت لم يستدركه أبداً)(١).

ويقول البخاري: فالوقت هو الأداة التي حدد الله بها الأعمال، لذا قال في كتابه العزيز: ﴿إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً﴾(٢).

والسنة المشرفة على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم أوضحت هذا الأمر واعتبرت أن المحافظة عليه من أحب الأعمال إلى الله كما جاء عنه ﷺ في الحديث

---

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم (ص: ٢٠٨ - ٢٠٠).

(٢) آية [١٠٣] سورة النساء. والمعنى (لكتابا) فرضاً مكتوباً (موقوتا) في أوقات محدودة.

الشريف الذي رواه عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال : سألت رسول الله ﷺ : أي العمل أحب إلى الله ؟ قال : «**الصلاة على وقتها**»(١) .

وهذا يدل على أهمية الوقت، لأنه هو رأس مال الإنسان، فإذا اغتنم العمر وقضاه في طاعة الله فهو محافظ على الوقت الذي منحه الله إياه .

و(قد غفل كثير من المسلمين اليوم عن هذا التوجه الإسلامي الدقيق لهم من جانب الشرع ، فجعلوا يأخذون ويتعلمون أهمية ربط الأعمال بالتوقيت المناسب من غيرهم، وكأنهم لم يمرنوا أو يتربوا على ذلك من أول يومٍ كُلفوا فيه بأحكام الشريعة الغراء وفي أولها الصلاة .

فيجب على المسلم أن ينتبه إلى الوقت في حياته، وإلى تنفيذ كل عمل من أعماله في توقيته المناسب، فالوقت من حيث هو معيار زمني، من أغلى ما وهب الله تعالى للإنسان، وهو في حياة العلم وطلب العلم رأس المال والربح جميعاً، فلا يسوغ للعاقل أن يضيعه سُدىً ويعيش فيه هملا)(٢) .

ومن هنا نجد أن القرآن الكريم قد عالج قضية الوقت وكيفية الانتفاع به، في سور كثيرة حددت أهمية الوقت مثل سورة الفجر، والعصر، والليل، والجمعة إلى غيرها من آيات ضمن سور أخر سوف تأتي في حينها في هذا الباب، ومن المعلوم أن وقتك هو عين حياتك فمن أضاع وقته أضاع حياته، وأنت كأوراق التقويم كل يوم تسقط منك ورقة تتناقص وأنت تحسب نفسك تزيد ولا يبقى إلا الأثر الصالح .

قال أمير الشعراء أحمد شوقي :

(دقات قلب المرء قائلة له : * إن الحياة دقائق وثوان**
فارفع لنفسك بعد موتك ذكرها * فالذكر للإنسان عمرٌ ثاني)(٣) .**

---

(١) رواه البخاري كتاب فضل الصلاة، (باب فضل الصلاة لوقتها) رقم(٥٢٧) .

(٢) قيمة الزمن عند العلماء ص: ١١ للشيخ عبد الفتاح أبو غدة . ط، مكتبة المطبوعات الإسلامية، الطبعة الخامسة .

(٣) ديوان أحمد شوقي .

الفصل الأول

دلالات القوة المادية والمعنوية في أسماء بعض السور

ويشتمل على خمسة مباحث:

المبحث الأول : سورة الفتح.

المبحث الثاني : سورة الحديد.

المبحث الثالث : سورة الصف.

المبحث الرابع : سورة القلم.

المبحث الخامس : سورة النصر.

المبحث الأول

سورة الفتح

الآية (١)

وتشتمل على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : فضلها وأهميتها.

المطلب الثاني : أسماؤها.

المطلب الثالث : اسم السورة (دلالات وإشارات).

قال تعالى :﴿ إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً(١) ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً(٢)وينصرك الله نصراً عزيزاً(٣) ﴾.

التفسير :

أي بياناً ظاهراً، والمراد به (صلح الحديبية) فإنه حصل بسببه خير جزيل، وأمن الناس واجتمع بعضهم ببعض، وتكلم المؤمن مع الكافر، وانتشر العلم النافع والإيمان، وقوله تعالى :﴿ ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ﴾ هذا من خصائصه ﷺ التي لا يشاركه فيها غيره، وهذا فيه تشريف عظيم لرسول ﷺ ، وهو ﷺ في جميع أموره على الطاعة والبر والاستقامة التي لم ينلها بشر سواه، لا من الأولين ولا من الآخرين، وهو ﷺ أكمل البشر على الإطلاق، وسيدهم في الدنيا والآخرة. ولما كان أطوع خلق الله تعالى وأشدهم تعظيماً لأوامره ونواهيه قال حين بركت به الناقة :(حبسها حابس الفيل) ثم قال ﷺ : (لا يسألوني اليوم شيئاً يعظمون به حرمات الله إلا أجبتهم عليها)(١) فلما أطاع الله في ذلك وأجاب إلى الصلح قال الله تعالى له :﴿ إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ، ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ﴾ أي في الدنيا والآخرة.﴿ ويهديك صراطاً مستقيماً ﴾ أي بما يشرعه لك من الشرع العظيم والدين القويم، ﴿ وينصرك الله نصراً عزيزاً ﴾ أي بسبب خضوعك لأمر الله عز وجل يرفعك الله وينصرك على أعدائك، كما جاء في الحديث الصحيح :«وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً وما تواضع أحد لله عز وجل إلا رفعه الله تعالى»(٢) وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال :«ما عاقبت أحداً عصى الله تعالى فيك بمثل أن تطيع الله تبارك وتعالى فيه»(٣).

(١) أخرجه البخاري في كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد رقم الحديث(٢٧٣١و٢٧٣٢).
(٢) مسلم، كتاب البر والصلة باب استحباب العفو رقم (٢٥٨٨).
(٣) باب الشروط في الجهاد، رقم (٢٧٣١ و٢٧٣٢).

المطلب الأول: فضلها وأهميتها:

سورة الفتح من السور المدنية وعدد آياتها تسع وعشرون(١).

وهي السورة الثالثة عشر بعد المائة في ترتيب نزول السور في قول عن جابر بن زيد رضي الله عنه، نزلت بعد سورة الصف وقبل سورة التوبة(٢).

فضلها:

سورة الفتح من السور المشهورة بسبب نزولها وهي تتحدث عن فتح مكة.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت هذه السورة قال رسول الله ﷺ: «**لقد أُنزلت عليّ آية هي أحب إليّ من الدنيا جميعاً**»(٣).

أهميتها:

لسورة الفتح أهمية خاصة وقد فرح بها رسول الله ﷺ، لأنها كانت سبباً في إزالة الحزن من قلوب المؤمنين عندما مُنعوا من دخول مكة فجاءت هذه السورة بالبشارة بالفتح العظيم، وقد (وُعِدَ الرسول ﷺ بالفتح والغفران، وإنزال السكينة على أهل الإيمان، وإيعاد المنافقين بعذاب الجحيم ووعد الله المؤمنين بنعيم الجنان، والثناء على سيد المرسلين، وذكر العهد، وبيعة الرضوان، وذكر ما للمنافقين من الخذلان، وبيان عذر المعذورين والمنة على الصحابة بعدم الظفر عليهم من أهل مكة ذوي الطغيان، وصدق رؤيا سيد المرسلين على حقيقة الرسالة وشهادة الملك الديان، وتمثيل حال النبي ﷺ والصحابة بالزرع والزراع في البهجة والنضارة وحسن الشأن)(٤).

---

(١) الإتقان للسيوطي (ج١/ ص: ٧٢)، بصائر ذوي التمييز (ج١/ ص: ٤٣٢).

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور (ج٢٦/ ص: ١٤٢).

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد باب صلح الحديبية (١٧٨٥).

(٤) بصائر ذوى التمييز (ج١/ ص: ٤٣٢).

المطلب الثاني : أسماؤها .

لقد سميت بسورة الفتح : لقوله تعالى : ﴿ **إنا فتحنا لك فتحا مبينا** ﴾(١) .

و(مقصودها مدلول اسمها الذي يعم فتح مكة وماتقدمه من صلح الحديبية وفتح خيبر ونحوها)(٢) .

---

(١) آية [١] سورة الفتح .

(٢) بصائر ذوي التمييز (ج١/ ص : ٤٣٢) .

المطلب الثالث : اسم السورة (دلالات وإشارات) .

إن سورة (الفتح) كما هو واضح من اسمها الذي يدل على مقصودها الذي بُني على علاقة قوية بين اسمها ومضمونها فقد تحدثت عن انتصارات الفتح القبلية والبعدية، ومن هنا كان لسورة الفتح دلالات قريبة الوقوع وإشارات إلى نتائج بعيدة وتصديق لرؤيا حقيقية .

لهذا (افتتح الله هذه السورة بقوله على طريق النتيجة (إنا) مؤكداً إعلاماً بأنه لابد منه لابتهاج النفوس الفاضلة به، وتكذيب من في قلبه مرض وهم أغلب الناس في ذلك الوقت وأنه مما ينبغي أن يؤكد، وقوله تعالى: ﴿إنا﴾: أي بما لنا من العظمة التي لاتثبت لها الجبال، وقوله تعالى: ﴿فتحنا﴾: أي أوقعنا الفتح المناسب لعظمتنا لكل متعلق بإتقان الأسباب المنتجة له من غير شك، ولذلك عبر عنه بالماضي)[1] .

وللناظر أن يتمعن ما في هذه السورة من فتح كبير، لأن الدلالة على علاقة الاسم بالمسمى واضحة جداً فالذي يُفتح له أصبح من حقه أن يرى كل ما أمامه، لهذا كانت للسورة إشارات عظيمة عرفها الذي فُتح له وهو النبي ﷺ، عندما أنزلت عليه وقرأها وفرح بها واستبشر خيرا بتحقيق وعد الله .

وهنا نجد الفرق بين من عرف القصد الذي من أجله فُتح له وبانت له معالمه من الذي ما زال واقفاً بالباب فإنه لم يشاهد شيئاً ولم يعرف أي شيء .

ولذلك نجد أن لطائف سورة الفتح كثيرة ومعانيها جليلة لأنها (تضمنت بشارة المؤمنين بحسن عاقبة صُلح الحديبية وأنه نصر وفتح فنزلت به السكينة في قلوب المسلمين وأزال حزنهم من صدهم عن الإعتمار بالبيت وكان المسلمون عدةً لاتغلب

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (ج١٨/ ص: ٢٧٤).

من قلة فرأوا أنهم عادوا كالخائبين فأعلمهم الله أن العاقبة لهم، وأن دائرة السوء على المشركين والمنافقين، ثم نوه بكرامة النبي ﷺ عند ربه ووعده بنصر مُتعاقب وأثنى على المؤمنين الذين عزروه وبايعوه وأن الله قدم مثلهم في التوراة وفي الإنجيل)[1].

وعلى ماتقدم ذكره في توضيح علاقة سورة الفتح بمضمونها، يظهر لنا اتجاه آخر من الدلالات الإشارية في هذه السورة: ألا وهو دلالاتها في القوة المادية والمعنوية المأخوذ من اسمها، لأن اسم الفتح يحمل إشارتين الأولى: المعنوية وهي التي بشرت الرسول ﷺ وأصحابه بالفتح المبين وذلك بعد ما تسرب إلى قلوبهم الحزن من منعهم الوصول إلى بيت الله وأداء العمرة، فكانت هذه السورة هي الدافع القوي الذي رفع روحهم المعنوية، لهذا كانت لها دلالة عظيمة على القوة المعنوية التي رجعت إلى قلوب الصحابة رضي الله عنهم، وأما الإشارة الثانية التي دعت إليها السورة في عُنوانها ومضمُونها فهي القوة المادية التي تعزز هذا الفتح المعنوي بالفتح المادي عند استخدام القوة في فتح مكة وغيرها من ديار المشركين والمنافقين، فكان للسورة بذلك السبق العظيم في توجيه المؤمنين إلى رفع روحهم المعنوية وعليهم الاستعداد بالقوة المادية ليحققوا مقصود السورة، فإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على دلالة القوة في أسماء السور وأنها تسمى بما يليق بها، وسورة الفتح هي التي جاء الخبر فيها بنصر المسلمين على أعدائهم.

الفتح اسم يدعو للنهضة والتقدم وقهر الأعداء ورفع راية الحق واضمحلال الباطل، وتقدم جند الله في الآفاق وتثبيت الأقدام وتمكن الدين، والتقدم به إلى أنحاء الدنيا للاستخلاف فيها وسيادتها، فجعلت كلمة الفتح عنواناً لسورة كريمة في القرآن تدعو إلى هذه المعاني ولذلك اهتم المسلمون بهذا الاسم بعد ما ورد في هذه

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور (ج٢٦/ ص: ١٤٢).

السورة وجعلوه اسماً لمعانٍ عظيمة يهتمون بها لما فيه من إشارات ودلالات وبشارات ونهضة واستشراف للمعالي والقيم الرفيعة، وعلى ما تقدم يتضح لنا أن فتح مكة معناه إرساء دعائم الإسلام لأنه لم يعد محل حرب من قريش التي كانت تشكل رأس الحربة في عدم رسوخ هذا الدين الحنيف، ثم يأتي آخر السورة لتصور المجتمع الإسلامي نفسه: عبادة ظاهرة وأكل حلال في عيشه والوصول إلى درجة الفضل والرضوان، ثم تأتي الموازرة بين جبهتين لتدل على الميلاد الطبيعي للكمال المستمد، ولذلك ضرب المثل بهذه الأمة لأهل الكتاب، ففي التوراة شأنها الذاتي بتلك الخصال، وفي الإنجيل قدرتها على الموازرة بين الجبهتين حتى يستوي على ساق الكمال والثبات بحيث يعجب العلماء ليغيظ الكفار، بعد الملاحظة في صلاحهم وفي قدرتهم على التربية والمؤازرة، فهذه السورة سجل كامل للإسلام من المعاني التي لا تدخل تحت الحصر من حيث أبعادها الفكرية والتربوية والروحية لأن إشاراتها ودلالاتها عظيمة وكثيرة نسأل الله أن يرزقنا حسن الفهم والمعرفة.

المبحث الثاني

سورة الحديد

الآية (٢٥)

وتشتمل على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : فضلها وأهميتها.

المطلب الثاني : أسماؤها.

المطلب الثالث : اسم السورة (دلالات وإشارات).

قال تعالى: ﴿ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوى عزيز(٢٥) ﴾.

التفسير:

قوله عز وجل: ﴿ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات ﴾، الآيات والحجج، ﴿ وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ﴾، يعني: العدل. وقال مقاتل بن سليمان: هوما يوزن به، أي: ووضعنا الميزان كما قال: ﴿ السماء رفعها ووضع الميزان ﴾(الرحمن -٧) ﴿ ليقوم الناس بالقسط ﴾، ليتعاملوا بينهم بالعدل. ﴿ وأنزلنا الحديد ﴾، روي عن ابن عمر يرفعه: إن الله أنزل أربع بركات من السماء إلى الأرض: الحديد والنار والماء والملح(١).

وقال أهل المعاني: معنى قوله: ﴿ أنزلنا الحديد ﴾ أنشأنا وأحدثنا، أي أخرج لهم الحديد من المعادن وعلمهم صنعته بوحيه.

وقال قطرب: هذا من النزل كما يقال: أنزل الأمير على فلان نزلاً حسناً، فمعنى الآية: أنه جعل ذلك نزلاً لهم، ومثله قوله: ﴿ وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج ﴾(الزمر-٦).

﴿ فيه بأس شديد ﴾، قوة شديدة يعني: السلاح للحرب. قال مجاهد: فيه جُنَّة وسلاح يعني: آلة الدفع وآلة الضرب، ﴿ ومنافع للناس ﴾، مما ينتفعون به في مصالحهم كالسكين والفأس والإبرة ونحوها، إذ هو آلة لكل صنعة، ﴿ وليعلم الله ﴾، أي: أرسلنا

(١) ضعيف أخرجه الديلمي في الفردوس. انظر: كنز العمال: ١٥/ ٤١٨ وعزاه ابن حجر في الكافي الشافي صفحة: (١٦٤) للثعلبي وقال: «وفي إسناده من لا أعرفه».

رسلنا وأنزلنا معهم هذه الأشياء ليتعامل الناس بالحق والعدل وليعلم الله وليرى الله، ﴿من ينصره﴾ أي: دينه و﴿رسله بالغيب﴾، أي: قام بنصرة الدين ولم ير الله ولا الآخرة، وإنما يحمد ويثاب من أطاع الله بالغيب، ﴿إن الله قوي عزيز﴾، قوي في أمره، عزيز في ملكه[1]).

(١) تفسير البغوي معالم التنزيل (ج٨/ ص: ٤١).

المطلب الأول: فضلها وأهميتها:

سورة الحديد من السور المدنية وعدد آياتها تسع وعشرون[1].

وقد عدت السورة الخامسة والتسعين في ترتيب نزول السور وذلك على قول الجمهور: إنها نزلت بعد سورة الزلزلة وقبل سورة القتال[2].

فضلها:

ورد في فضلها مع غيرها من السور المفتتحة بالتسبيح ماروواه أبوداود، والترمذي، والنسائي عن العرباض بن سارية: «أن النبي ﷺ كان يقرأ بالمسبحات قبل أن يرقد ويقول: إن فيهن آية أفضل من ألف آية»، وقال الترمذي: حديث حسن غريب[3].

أما أهميتها:

فلقد جاءت أهمية سورة (الحديد) من سياق افتتاحيتها وما اشتملت عليه من (الحث على التسبيح لله، ثم طلب الإيمان والإنفاق ثم التعرض لجزاء الإيمان والإنفاق يوم القيامة، ووعظ المؤمنين بالعظات البالغات، ثم بيان الدنيا وحقيقتها وبيان دعائم الحكم، وضرب الأمثال بالأنبياء وأممهم وعلى العموم فالسورة تدور حول الحث على الإنفاق والبذل في سبيل الله)[4]، ثم تأتي أهميتها في مسماها (الحديد) الذي يدل على القوة المادية. والحديد هنا الإشارة المقصودة منه لأنه وسيلة القوة المادية الذي يتخذ منه أصناف متعددة من وسائل القوة والحرب ومختلف الأنواع من المنافع المتعددة.

---

(١) بصائر ذوي التمييز (ج١/ ص: ٤٥٣)، التفسير الواضح (ج٣/ ص: ٦٠٨).
(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور (ج٢٧/ ص: ٣٥٤).
(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور (ج٢٧/ ص: ٣٥٥).
(٤) التفسير الواضح (ج٣/ ص: ٦٠٨).

المطلب الثاني: أسماؤها.

سميت سورة الحديد - لقوله تعالى فيها: ﴿وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد﴾[1].

(١) بصائر ذوي التمييز (ج١/ س: ٤٥٣).

المطلب الثالث : اسم السورة (دلالات وإشارات) .

الحديد عُنوان : يستحق التأمل بنفس مطمئنة لأن كلمة الحديد تشير مباشرة إلى القوة المادية التي تكمن وراءها النهضة القوية على حسب طبيعة كل نهضة مقصودة مابين عَتاد وعُدة ، وعلى هذا جاءت السورة تربط بين عُنوانها (الحديد) وبين مقاصدها في دلالاتها وإشاراتها المؤثرة في الأسماء التي تنتمي إلى عنوان كل سورة بحسب طبيعة وجودها وغاية المقصود منه ، حيث أن (الله سبحانه وتعالى قرن إنزال الكتب والأمر بالعدل بإنزال الحديد ، وفي هذه إشارة إلى أن الكتاب يمثل القوة التشريعية ، والعدل يمثل القوة القضائية - وأنزل الحديد يمثل القوة التنفيذية ، فإن شرع السماء لا بد له من قاضٍ يحكم به بالعدل ، فجاءت قوة الحق ، ليقوم الناس بالقسط ، فإن الظلم من شيم النفوس الضعيفة وطبائعها)[1] .

إن القوة المادية هي التي تتكون منها نهضة الشعوب لهذا جاءت دلالات سورة الحديد لتؤكد هذا المعنى في سياق آياتها لأنه كلام الله الملك الديان وأن هذا القرآن جاء مؤكداً دور القوة المتركزة في الحديد لأنه فيه بأس شديد ومع مافيه من بأس شديد إلا أن منفعته للناس أكثر لأنها تتحدد منافعهم وقوتهم على قدر استخدامهم لهذا الحديد سواء في القوة العسكرية أو الاقتصادية ، فيتبين من ذلك عظمة الإشارات البعيدة التي تتخذ من سياق الآية عندما قال الله تعالى : ﴿ **وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد** ﴾ .

(والحديد قوة في الحرب والسلم ولذلك يقول الله تعالى : ﴿ **منافع للناس** ﴾ وكل حضارات العالم والدول المتقدمة قائمة الآن على الحديد : ﴿ **ليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب** ﴾[2]

---

(١) التفسير الواضح (ج٣/ ص : ٦٢٣) .
(٢) آية [٢٥] سورة الحديد .

وهي إشارة إلى الجهاد بالسلاح تجيء في موضعها في السورة التي تتحدث عن بذل النفس والمال)[1].

وذكر الحديد في منتصف السورة ولم تبدأ به فيه دلالة على أن هذا القرآن مهما تنوع في التقديم والتأخير في أسماء السور وعناوينها إنما لحكم ربانية، علمها من علمها، وجهلها من جهلها، فإذا لاحظنا فيما سبق أن عنوان السور يكون محل الافتتاح فإننا في هذه السورة نجد أن كلمة (الحديد) التي عُنونَتْ بها السورة ضمن سياق آية وسط السورة، فهذا دليل علي عظمة تناسق السور والآيات باسمها التي تشير حسب ورودها في مكانها لمقصدها الذي أُنزلت من أجله، وسورة الحديد أيضا أشارت إلى أهمية هذا النوع من المعادن الذي جعل منه فوائد للناس.

وفي الاسم إشارة للأمة أن تنهض باستخدام هذا المعدن القوي، وأن تربط نهضتها به، لأنه عنوان القوة والسيادة والعزة، فالأمة التي تهتم بمصنوعات الرفاهية والشهوات دون غيرها، إنما هي أمة ضعيفة يطوي التاريخ ذكرها ويطأ الأعداء عزتها في يسر وسهولة وتسلب إرادتها واستقلالها ويغدو زعماؤها أدوات مطيعة في أيدي أمم اهتمت بالحديد واستنبطت منه أنواع القوة المختلفة وغدت تتحكم في الصناعات القوية وتترك لغيرها الاهتمام بالصناعات التافهة التي لاتقهر عدواً ولا تعين صديقاً. إن الأمة التي تجلب السلاح من أعدائها لا تستطيع أن تدفع عن نفسها.

إن اسم الحديد الذي جعل عنواناً لسورة كريمة في القرآن الكريم يوقظ فينا هذه المعاني إن كنا من أهل الذكر واليقظة، لأن إنزال الحديد فيه إمتنان من الله بالمعادن التي تفيد البشر في حفظ مغنطيسية الأرض بالمعادن التي تجعل الحياة معتدلة بها، فإذا كان الناس بالكتاب والميزان يقومون بالقسط فإن الحديد هو الذي يزن الأرض في

(١) في ظلال القرآن (ج٢٧/ ص: ٣٤٩٥).

جميع المستخرج منها لاستعمال الحياة العصرية وما تحتاجه البشرية من شرب وأكل وبناء وغيره، وكلما استخرج الناس المعادن من الأرض بصورة عشوائية كلما فقدت الأرض الأمان، فالمنافع في الحديد ليس محصوراً فيما نشاهده وإنما هو أعم من كل منفعة ولقد اكتشف العصر الحديث اختلالات في مياه الشرب وفي التغذية الصحية وذلك راجع لفقدان المغنطيسية بسبب استخراج المعادن بطرق عشوائية، لهذا ولغيره من أمور نجهلها كان اسم السورة (الحديد) ليكون لدى الإنسان المؤمن خلفية في أهمية هذه الأسماء ويجعلها دليلاً يستدل به للعمل على إصلاح كل ما يخدم البشرية والله أعلم.

المبحث الثالث

سورة الصف

الآية (٤)

وتشتمل على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : فضلها وأهميتها.

المطلب الثاني : أسماؤها.

المطلب الثالث : اسم السورة (دلالات وإشارات).

قال تعالى: ﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص(٤)﴾.

التفسير:

ونقف أمام حب الله للذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص.. نقف أمام هذا الترغيب القوي العميق على القتال في سبيل الله.. وأول ما يسجل هنا أنه حالة تقاعس وتخلف وكراهية للقتال .ولكن هذا السبب الغريب في الحادث المحدود لا ينفي أن الحض عام، وأن وراءه حكمة دائمة. إن الإسلام لايشتهي القتال،ولا يريده حباً فيه، ولكنه يفرضه لأن الواقع يحتمه، لأن الهدف الذي وراءه كبير. فالإسلام يواجه البشرية بالمنهج الإلهي في صورته الأخيرة المستقرة. وهذا المنهج - مع أنه يلبي الفطرة المستقيمة - إلا أنه يكلف النفس جهداً لتسمو إلى مستواه، ولتستقر على هذا المستوى الرفيع. وهناك قوى كثيرة في هذه الأرض لا تحب لهذا المنهج أن يستقر، لأنه يسلبها كثيراً من الامتيازات، التى تستند على قيم باطلة زائفة، يحاربها هذا المنهج ويقضي عليها حين يستقر في حياة البشر، وهذه القوة تستغل ضعف النفوس عن البقاء في المستوى الإيماني وتكاليفه، كما تستغل جهل العقول، وموروثات الأجيال، لتعالج هذا المنهج وتقف في طريقه، والشر عارم، والباطل متبجح، والشيطان ماكر! ومن ثَم يتعين على حملة الإيمان وحراس المنهج أن يكونوا أقوياء ليغلبوا عملاء الشر وأعوان الشيطان، أقوياء في أخلاقهم، وأقوياء في قتال خصومهم على السواء ويتعين عليهم أن يقاتلوا عندما يصبح القتال هو الأداة الوحيدة لضمان حرية الدعوة للمنهج الجديد، وحرية الاعتقاد به، وحرية العمل وفق نظامه المرسوم، وهم يقاتلون في سبيل الله.

لا في ذواتهم أو عصبيتهم من أي لون: عصبية الجنس وعصبية الأرض وعصبية العشيرة وعصبية البيت. في سبيل الله وحده، لتكون كلمة الله هي العليا، والرسول ﷺ يقول: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله[1]»[2].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب من سأل وهو قائم عالماً جالساً، ومسلم في صحيحه، كتاب الإجازة، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا. حديث رقم (١٩٠٤).

(٢) في ظلال القرآن (ج٦/ ص: ٣٥٥٤) سيد قطب.

المطلب الأول: فضلها وأهميتها.

سورة الصف من السور التي اختُلفَ في مكان نزولها. فمنهم من قال: السورة مكية بالاتفاق، وآياتها أربع عشرة(١).

ومنهم من قال: هذه السورة مدنية كلها على الصحيح وآياتها أربع عشرة آية، ونزلت بعد التغابن وذكرها السيوطي بأنها مدنية(٢).

فضلها:

لم نقف على نص خاص بها وإنما هي من عموم القرآن الكريم الذي لا تخلو آية منه ولا كلمة من فضل ومنّة ونور ورحمة، ومن هداية وشفاء حتى قيل: خذ من القرآن ما شئت لما شئت.

أهميتها:

سورة الصف من السور التي دعت إلى القوة المعنوية ويظهر من خلالها القوة المادية التي ينتج عنها نهضة قوية للمسلمين، فهي دعت إلى وحدة الصف الذي يدل على وحدة القلوب في الترابط لتشكيل قوة معنوية تعزز القوة المادية وتظهر وحدة هذه الصفوف في حالات السلم والحرب، وجاء مقصود السورة (عتاب الذين يقولون أقوالا لايعملون بمقتضاها، وتشريف صفوف الغزاة والمصلين والتنبيه على جفاء بني إسرائيل وإظهار دين المصطفى ﷺ على سائر الأديان، وبيان التجارة الرابحة مع الرحيم الرحمن، والبشارة بنصر أهل الإيمان على أهل الكفر والخذلان، وغلبة بني إسرائيل على أعدائهم ذوي العدوان)(٣).

---

(١) بصائر ذوي التمييز (ج١/ س: ٤٦٢).

(٢) التفسير الواضح (ج٣/ ص: ٦٦٤)، التحرير والتنوير (ج٢٨/ ص: ١٧٢).
وذكرها السيوطي في الاتقان (ج١/ ص: ٧٢)، ونظم الدرر (ج٢٠/ ص: ١) الهامش.

(٣) بصائر ذوي التمييز (ج١/ س: ٤٦٢).

ومن أهمية سورة (الصف): أنها تناولت أحداث مهمة في حياة المسلمين، فكان لنزولها سبب عظيم وهو تكملة الاصلاحات العقائدية والتشريعية ليكتمل بذلك منهج الإسلام الذي ارتضاه رب العالمين لمسيرة البشرية.

و(هذه السورة تستهدف أمرين أساسيين واضحين في سياقها كل الوضوح إلى جانب الإشارات والتلميحات الفرعية التي يمكن إرجاعها إلى هذين الهدفين الأساسيين.

تستهدف السورة أولاً: أن تقرر في ضمير المسلم أن إسلامه هو المنهج الإلهي للبشرية في صورته الأخيرة، سبقته صور منه تناسب أطوارا معينة في تاريخ البشرية، وسبقته تجارب في حياة الرسل وحياة الجماعات كانت تمهيداً لهذه الصورة الأخيرة من الدين الواحد، الذي أراده الله أن يكون خاتم الرسالات وأن يظهره على الدين كله في الأرض، ومن ثَّم يذكر رسالة موسى عليه السلام ليقرر أن قومه الذين أُرسل إليهم آذوه وانحرفوا عن رسالته فضلوا، ولم يعودوا أمناء على دين الله في الأرض).

والهدف الثاني: فإن شعور المسلم بهذه الحقيقة وإدراكه لقصة العقيدة، ولنصيبه هو من أمانتها في الأرض، يتتبع شعوره بتكاليف هذه الأمة شعوراً يدفعه إلى صدق النية في الجهاد لإظهار ها على الدين كله)[1].

---

(١) في ظلال القرآن (ج٦/ ص: ٣٥٥٠).

المطلب الثاني : أسماؤها .

سورة الصف من السور التي اشتهرت باسم الصف وينسب لها اسم ثانٍ وهو "الحواريون" فيكون لها اسمان .

سورة "الصف" لقوله تعالى : ﴿ يقاتلون في سبيله صفا ﴾[1] ،

وسورة "الحواريون" لقوله تعالى : ﴿ قال الحواريون ﴾[2] ،

وقيل : تسمى سورة عيسى[3] .

وقيل : اسمها سورة سبح والحواريون[4] .

---

(١) آية [٤] سورة الصف .

(٢) آية [١٤] سورة الصف .

(٣) بصائر ذوي التمييز (ج١/ ص: ٤٦٢)، ونظم الدرر (ج٢٠/ ص: ١) .

(٤) الإتقان في علوم القرآن (ج١/ ص: ٧٢) .

المطلب الثالث: اسم السورة (دلالات وإشارات).

سورة الصف: من السور التي توحي بشيء منظم يدل على الاعتدال. والسورة تتحدث عن مضمونها الذي يدعو إلى القوة، وهذا الاسم (الصف) يدل على أهمية أسماء السور وأن معانيها تدل على عظمة اسمها فيتبين من خلال ذلك مدى علاقة الاسم بالمسمى والذي أفاد في هذه السورة عمق علاقة الأسماء ودلالاتها التي تدعو إلى النهضة والقوة، وذلك من خلال توضيح أهمية السورة ودلالاتها الإشارية للسير نحو المجتمع المنشود الذي قصده القرآن حيث (كان يبني أمة، كان يبنيها لتقوم على حمل أمانة دينه في الناس، ومنهجه في الحياة ونظامه للناس، ولم يكن أبداً أن يبني نفوسها أفراداً بل يبنيها جماعة، ويبنيها عملاً واقعاً، كلها في آن واحد، فالمسلم لايبني فرداً إلا في جماعة، ولايتصور الإسلام قائماً إلا في محيط جماعة منظمة ذات ارتباط، وذات هدف جماعي منوط في الوقت ذاته بكل فرد فيها، وهو إقامة المنهج الإلهي في الضمير وفي العمل مع إقامته في الأرض، وهو لايقوم في الأرض إلا في مجتمع يعيش ويتحرك ويعمل وينتج في حدود ذلك المنهج الإلهي)(١).

وإذا توقفنا عند كلمة (الصف) وهي واردة في سياق الآية التي تصف هذا الصف بأنه بنيان مرصوص، فإنا نقف على إشارة عظيمة وجهها القرآن بهذه الكلمة وأن المقصود منها توضيح دلالات المعاني في القرآن الكريم الذي يشير إلى أهمية استخدام النظام والعلم لتكوين أمة قوية مرصوصة المباني، قلباً وقالباً، ومبانٍ ومعانٍ قولاً وعملاً، لأن الصف يفيد: (عدد من أشياء متجانبة منتظمة الأماكن، فيطلق على صف المصلين، وصف الملائكة، وصف الجيش في ميدان القتال بالجيش إذا حضر

---

(١) في ظلال القرآن ٠ج٦/ ص: ٣٥٥٢).

القتال كان صفاً من رجاله أو فرسان ثم يقع تقدم بعضهم إلى بعض فرادى أو جماعات، فالصف هنا: كناية عن الانتظام والمقاتلة عن تدبّر)[1].

وفي هذه السورة معنى عظيم لتوحيد الصفوف لبناء هذه الأمة بنهضة حضارية فكرية وقوة ميدانية متمثلة في قوتها العسكرية والاقتصادية، فالناظر للدلالات الإشارية التي تدعو إلى النهضة والقوة في أسماء السور يجد أن مراد سورة الصف هو توحيد الأمة في كل شيء كما هي متوحدة في العقيدة والإيمان وجميع الأوامر الإلهية، كما دلت هذه السورة وحذرت من الاختلاف والخلاف في مظاهر الدنيا الفانية وما تؤدي إليه هذه الظواهر من التفرقة بدل وحدة الصف، والخلاف في الأمة يضعف قوتها فلا يصبح لها دور كبير أو تأثير على الدول الأخرى، ونلفت النظر إلى أهمية الوحدة وخطورة التفرق وهذا ما دعت إليه سورة الصف التي عنونت بالصف كناية عن الوحدة والقوة المتمثلة في هذا الدين وعدم الاختلاف على القضايا الفرعية وإعطائها أكثر من حقها لأن النار من مستصغر الشرر، وهذا التفرق هو الشرر الذي يفرق الأمة. كما دعت للرجوع إلى القرآن في كل ما تواجهه لتتوحد المقاصد وتتألف القلوب وتعلو الهمم والنفوس لتفوز بنعيم الدارين، وبما أن كلمة الصف كانت اسماً لسورة، ذكر سبحانه وتعالى حبه للمقاتلين صفا، لها معنى عظيم حيث أن الله ذكر حبه للصفات المعنوية في أكثر من موقع فهو يحب المتطهرين، الصابرين، المتوكلين، المحسنين، وكلها صفات قلبية وهذه الآية الوحيدة التي ذكر أنه يحب الذين يقاتلون في سبيله كأنهم بنيانٌ مرصوصٌ.

وإنَّ تدبر المعاني والدلالات الإشارية في هذه الأسماء يخرج بفتح عجيب من فتوح القرآن، فلو أن الإنسان وضع حجارة مرصوصة جنبا إلى جنب لاستمدت كل

(١) التحرير والتنوير (ج٢٧/ ص: ١٧٦).

واحدة قوتها من الأخرى فيطبع الله صورة كل طوبة في أختها فتزداد القوة بما لا يكاد يتناهى حتى ينطبع كل فرد من أفراد الطوب أو البشر وغيرهم ممن اعتمد جانب الاسطفاف والتراص أسلوباً يخلص به إلى القوة والتماسك، لذا نجد أن ذكر الصف في مقام المدح في الجهاد والصلاة وغيرها، معناه: أن الجماعة يحصل فيها انطباع تبادلي ليتوجب كمال التربية، لأن عملية الانطباع يأخذ فيها الناقص من الكامل ولا العكس إلا إذا كان الناقص أكثر وكان هو المتغلب بسلطان أو نفوذ وكان الآخر ليس كاملاً كمالاً حقيقياً، فما أعظم هذه الدلالات والإشارات التي تؤخذ من حب الاصطفاف رغم أنه من الأعمال الحسية فهذا يدل على أن الله يحب الفضائل التي لا تتناهى، لذا نجد في كتابه كنوزاً كلما أمعنا فيها الفكر يأتي بالجديد، فنسأل الله العليم العلم، والله أعلم بالصواب.

المبحث الرابع

سورة القلم

الآية (١ - ٤)

وتشتمل على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : فضلها وأهميتها.

المطلب الثاني : أسماؤها.

المطلب الثالث : اسم السورة (دلالات وإشارات).

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: ﴿ن والقلم وما يسطرون(١) ما أنت بنعمة ربك بمجنون(٢) وإن لك لأجراً غير ممنون(٣) وإنك لعلى خلق عظيم(٤)﴾.

التفسير:

يقسم الله تعالى بالقلم، وهو اسم جنس شامل للأقلام، تكتب بها أنواع العلوم، ويسطر بها المنثور والمنظوم.

وذلك أن القلم، وما يسطر به من أنواع الكلام، من آياته العظيمة، التى تستحق أن يقسم بها، على براءة نبيه محمد ﷺ، مما نسبه إليه أعداؤه من الجنون.

فنفى عنه ذلك، بنعمة ربه عليه، وإحسانه، حيث منّ عليه بالعقل الكامل، والرأى الجزل، والكلام الفصل، الذى هو أحسن ما جرت به الأقلام، وسطره الأنام، وهذا هو السعادة في الدنيا.

ثم ذكر سعادته في الآخرة فقال: ﴿وإن لك لأجراً غير ممنون﴾.

أي: لأجراً عظيما، كما يفيده التنكير، غير مقطوع، بل هو دائم مستمر.

وذلك لما أسلفه النبي ﷺ من الأعمال الصالحة، والهداية إلى كل خير.

ولهذا قال: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ أي: مستعملٍ بخلقك الذى منَّ الله عليك به.

وحاصل خلقه العظيم، ما فسرته به أم المؤمنين، عائشة رضى الله عنها لمن سألها عنه قالت: «كان خلقه القرآن»، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿خذ العفو وأمر بالمعرف وأعرض عن الجاهلين﴾[آية ١٩٩ الأعراف]، ﴿فبما رحمةٍ من الله لنت لهم﴾[آية ١٥٩ آل عمران]، ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريصٌ عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم﴾ [آية ١٢٨ التوبة].

وما أشبه ذلك من الآيات الدالات على اتصافه ﷺ بمكارم الاخلاق، والآيات الحاثة على كل خلق جميل.

فكان له صلى الله عليه وسلم منها، أكملها وأجلها، وهو في كل خصلة منها في الذروة العليا.

فكان سهلاً ليناً، قريباً من الناس، مجيباً لدعوة من دعاه، قاضياً لحاجة من استقضاه، جابراً لقلب من سأله، لا يحرمه، ولا يرده خائباً.

وإذا أراد أصحابه منه أمراً، وافقهم عليه، وتابعهم فيه إذا لم يكن فيه محذور، وإن عزم على أمر لم يستبد به دونهم، بل يشاورهم ويأمرهم. وكان يقبل من محسنهم، ويعفو عن مسيئهم. ولم يكن يعاشر جليساً إلا أتم عشرة وأحسنها، فكان لا يعبس في وجهه، ولا يغلظ عليه في مقاله، ولا يطوي عنه بشره، ولا يمسك عليه فلتات لسانه، ولا يؤاخذه بما يصدر منه، من جفوة)[1]. صلى الله عليه وسلم وبارك.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ج٧/ ص: ٤٤٣-٤٤٤) ط، مركز صالح بن صالح . . . عام ١٩٩٢م.

المطلب الأول: فضلها وأهميتها.

إن سورة القلم من السور المكية وعدد آياتها اثنتان وخمسون[1].

فضلها:

لم نقف على نص خاص بها وإنما هي من عموم القرآن الكريم الذي لا تخلو آية منه ولا كلمة من فضل ومنّة ونور ورحمة، ومن هداية وشفاء حتى قيل: خذ من القرآن ما شئت لما شئت.

أما أهميتها:

فإن لسورة القلم أهميتها التي تظهر في بداية مطلعها وهو القلم الذي هو محل القسم، هنا تبدأ هذه الأهمية فيما يلحق هذا القسم من دلالات تشير إلى أهمية اتخاذ القوة المعنوية والحسية التي بها يكون إعداد الأمة للسير نحو النهضة والقوة التي يرتكز عليها المستقبل العلمي والتقدم الحضاري للأمة الإسلامية.

وقد (أقسم الحق - تبارك وتعالى - هنا بقوله: ﴿ن والقلم ومايسطرون﴾[2].

أما القسم بالقلم وأثره فهو بالإشارة إلى عظم النعمة بهما وأنهما من نعم الله على الإنسان بعد المنطق والبيان، إذ على قدر انتشارهما في أُمة يكون مقدار نبوغها وتقدمها بين الأُمم على أن هذا القسم بهما لفت أنظار العالم إلى خطرهما وأثرهما)[3].

وتتجلى أهمية هذه السورة في أن أسماء السور فيها إشارات توحي إلى معانٍ متعددة ومختلفة حسب ورود كل اسم للسورة، وهنا نجد أن اسم سورة القلم أشار

---

(١) الإتقان في علوم القرآن (ج١/ ص: ٧٢)، وبصائر ذوى التميز (ج١/ ص: ٤٧٦).
(٢) آية [١] سورة القلم.
(٣) التفسير الواضح (ج٣/ ص: ٧٢١).

إلى القوة المعنوية فيها وإلى أهمية القلم، والذي يدل استخدامه على العلم والمعرفة وهذه إشارة بعيدة ذكرها الله في وقت لم يكن القلم منتشراً بين العرب لأن القراءة والكتابة كانت بدائية وغير معروفة بكثرة والرسول ﷺ بعث في أمة أمية، ولكن القرآن الكريم عالج القضايا المهمة التي يحتاجها المسلمون في تكوين دولتهم القوية، فكانت الإشارة إلى القسم بالقلم فيها بُعد على أنَّ هذه الأمة سوف تكون صاحبة قلم يتخذ به القرار لعزة الإسلام والمسلمين، وقد تحقق ذلك وبدأه رسول الله ﷺ، عندما اشترط في فك أسرى بدر بالفداء و(كان بين الأسرى من لم يكن لهم فداء، فجعل رسول الله ﷺ، فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة، فيعلم كل واحد عشرة من المسلمين الكتابة، وكان زيد بن ثابت ممن تعلم بهذا الطريق، وكان في ذلك من تقدير العلم وتشجيع القراءة والكتابة ما لا يحتاج إلى توضيح)[1]، وكذلك كانت لهذه السورة أهمية أخرى لأنها تحدثت عن المكذبين لرسول الله ﷺ وذكرت قصة أصحاب البستان وصاحب الحوت وكل ذلك توجيه رباني لهذه الأُمة في أخذ دينها بقوة وعظمة وأن تتمسك بتحصين قوتها وعزتها بالعلم لتكون أمة لها مُلك لاتغرب عنه الشمس.

(١) السيرة النبوية (ص: ٢٢٦) للشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي.

المطلب الثاني : أسماؤها .

هذه السورة حملت اسمين كما هو الواضح من عُنوانها :

سميت : (سورة [ن] ، وسورة [القلم]، وهذا هو المشهور)[1] .

وذُكر في اسمها : (أدل مافيها على هذا الغرض [ن] وكذلك ورد [القلم] فلذا سميت بكل منهما وبالكلام عن كل منهما يعرف ذلك وحاصله أن النون ، مبين محيط في بيانه كما يحيط ضوء الشمس بما يظهره وكما تحيط الدواة بمدادها، بآية مادل عليه بمخرجه وصفاته واستقر الكلام الواقع فيها وفي المعاني التي اشتركت في لفظه، وأما القلم فأبانته للمعارف أمر لاينكر)[2] .

---

(١) بصائر ذوي التمييز (ج١/ ص: ٤٧٦)، الاتقان في علوم القرآن (ج١/ ص: ٧٢).
(٢) نظم الدرر (ج٢٠/ ص: ٢٧٢).

المطلب الثالث : اسم السورة (دلالات وإشارات).

كما تقدم من توضيح أهمية القلم تأتي بعد ذلك أهمية أخرى وهي أهمية علاقة السورة باسمها، وكما قلنا إن الاسم يدل على المسمى، وسُمي بالشيء ليسمو به ويرفعه، وهذه الدلالة واضحة في أهمية علاقة السورة باسمها الذي تجلت إشاراته إلى أهمية اتخاذ العلم والمعرفة ليكون به حضارة ذات نهضة قوية - فنجد أن اسم السورة وعنوانها [ن ، والقلم] دلَّ : على حرف من حروف المعجم واسم لمسمىً به ظهور الأشياء وعلمها وإدراكها، كما دل عليه موقعه في اسم النور، والنار، والنُبل، والنباهة، والنّقاء، والنصح. . . ، والسر في هذه الحروف لايعلم حقيقته إلا الله سبحانه وتعالى.

وأما [القلم] : أي قلم القدرة الذي هو أول ما أبدعه الله عز وجل ثم قال له: اكتب، فخط جميع الكائنات إلى يوم القيامة في اللوح المحفوظ حقيقة، وفي ألواح صفحات الكائنات حالاً ومجازاً، فأظهر جميع العلوم، ثم ختم على فيه فلم ينطق ولاينطق إلى يوم القيامة، والذي يكتب فيه الخلق أعطاهم الله من تلك المعارف والفهوم، وذلك هو قوام أمور الدنيا، والإشارة به إلى القضاء الذي هو من نتائج [ن] لأنه من مصنوعات الله الظاهرة التي اقتضت حكمته سبحانه إيجادها ووجهه إلى تفصيل ماجرى به الحكم)(١).

وعلى ماتقدم من ذكر القلم نجد أن القلم هنا قد جُعل اسما لسورة حَوَتْ في مضمونها آيات تتحدث عن مواضيع مختلفة من الناحية العقائدية والتشريعية وجاء ذكر القلم في بداية افتتاح السورة مما أتاح أمام القارىء للقرآن والمطلع على آياته أن

---

(١) نظم الدرر (ج٢٠/ ص: ٢٧٤ - ٢٨٥).

تتجلى له المعاني الخفية أولاً في ذهنه حتى تشد انتباه القارىء أو السامع ليعي قلبه المعاني الجلية بعد ذلك، فكان القلم هو القوة المعنوية التي رسمت في خارطة مساحة العقل الاستعداد للمعلومات التي يجنيها العقل ويستوعبها الفهم من أثر القلم الذي هو أساس العلم الذي قامت به الحضارات على مختلف أنواعها، وسارت نحو النهضة والقوة التي استمدت قوتها من قوة اسم سورة (القلم) ممايدل على أن الأسماء ذات تأثير في الآيات والسور لأن الأسماء هي الرابط بينها فكانت أهمية أسماء السور ذات دلالة عظيمة على ترتيب الفواصل بين السور وفي تقسيمها حسب ورودها ومشاربها المختلفة والمكملة بعضها لبعض كالعقد المنضود الذي لاعوج فيه، والذي كلما زاد الاطلاع عليه وكثر ترداده على اللسان ظهرت كراماته على الجنان إذا طبقت فيه الأركان، والقلم دعوة للأمة قاطبة أن ترفع راية العلم والعلماء الدرجة القصوى في الرعاية والتكريم وتعطي لطلاب العلم ومؤسساته جل اهتمامها. فالأمة التي تملك أدوات العلم ومفاتيحه وزمامه هي التي تسود، والعلم هو الذي يدفع عجلة التقدم في كل مجالاته، وأسرار الكون الآن تتفتح أمام العلماء أولاً قبل غيرهم فلعل الله تعالى حينما أقسم بالقلم لما فيه من هذه الرموز والإشارات الواضحات والله أعلم.

المبحث الخامس

سورة النصر

وتشتمل على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : فضلها وأهميتها.

المطلب الثاني : أسماؤها.

المطلب الثالث : اسم السورة (دلالات وإشارات).

قال تعالى: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح[1] ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا[2] فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا[3]﴾.

التفسير:

(إذا جاء نصر الله) نصرة نبيه صلى الله عليه وسلم على أعدائه (والفتح) فتح مكة (ورأيت الناس يدخلون في دين الله) أي الإسلام (أفواجا) جماعات بعد ما كان يدخل فيه واحد واحد، وذلك بعد فتح مكة جاء العرب من أقطار الأرض طائعين (فسبح بحمد ربك) أي ملبيا بحمده (واستغفره إنه كان توابا) وكانﷺ بعد نزول هذه السورة يكثر من قول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، واستغفر الله، وأتوب إليه، وعلم بها أنه قد اقترب أجله وكان فتح مكة في رمضان سنة ثمان وتوفيﷺ في ربيع الأول سنة عشرة)[1].

فإن قيل: يعتبر التاريخ من أول السنة وهو المحرم فيصح أن يقال: إنه صلى الله عليه وسلم انتقل إلى الملأ الأعلى سنة إحدى عشرة من الهجرة،

وإن اعتبر التاريخ من أول يوم دخوله صلى الله عليه وسلم المدينة المنورة فيصح أن يقال أنه صلى الله عليه وسلم انتقل إلى الرفيق الأعلى سنة عشرة، فلا تعارض ولا نظر ولله الحمد.

---

(١) تفسير الجلالين سورة النصر.

المطلب الأول : فضلها وأهميتها .

سورة النصر من السور المدنية وعدد آياتها ثلاث[1] .

فضلها :

جاء في حديث أنها تعدل «ربع القرآن»[2] .

أما أهميتها :

فإن الحديث في هذا الفصل لما كان عن دلالات الأسماء نحو النهضة والقوة كان لابد من الإشارة إلى سورة [النصر] لأن اسمها فيه دلالة على القوة، التي هي رمز حماية دولة الإسلام وعقيدته وشريعته، ولقد جاءت السورة على قصر آياتها ببشارة عظيمة وهي النصر الذي يعقبه الفتح ثم القوة التي تتكون لدى المسلمين بعد ذلك .

(معظم مقصود السورة : بيان نعيه ﷺ، وذكر تمام نصرة أهل الإسلام، ورغبة الخلق في الإقبال على دين الهدى وبيان وظيفة التسبيح والاستغفار والأمر بالتوبة في آخر الحال)[3] .

و(والغرض منها الوعد بنصر كامل من عند الله أو بفتح مكة، والبشارة

---

(١) الإتقان للسيوطي (ج١/ ص: ٧٣)، بصائر ذوي التمييز (ج١/ ص: ٥٥٠).

(٢) روى الإمام الترمذي وغيره عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لرجل من أصحابه، «هل تزوجت يا فلان ؟ قال لا والله يا رسول الله، ولا عندي ما أتزوج به، قال: أليس معك (قل هو الله أحد) قال: بلى، قال: تلك ثلث القرآن. قال: أليس معك (إذا جاء نصر الله والفتح) قال: بلى، قال: ربع القرآن. قال: أليس معك (قل يا أيها الكافرون) قال: بلى. قال: ربع القرآن، قال: أليس معك (إذا زلزلت الأرض) قال: بلى. قال: ربع القرآن. قال: تزوج تزوج.).
قال الإمام الترمذي في جامعه هذا حديث حسن (جامع الترمذي أبواب فضائل القرآن، باب ما جاء في سورة الإخلاص، وسورة الزلزلة،)برقم - ٢٨٩٥ /٥ ١٦٦ ط، مصطفى البابي.

(٣) بصائر ذوي التمييز (ج١/ ص: ٥٥٠) . .

بدخول خلائق كثيرة في الإسلام بفتح وإن كان نزولها عند منصرف النبي ﷺ من خيبر كما قال ابن عباس في أحد قوليه: ايماءً إلى أنه قد اقترب انتقال رسول الله ﷺ إلى الآخرة)[1]، فدل سياق السورة على أهميتها وأنها من السور التي تناولت ذكر القوة التي هي من عوامل النصر الذي دل (مقصودها الإعلام بتمام الدين اللازم عن مدلول اسمها النصر)[2].

المطلب الثاني: أسماؤها.

سورة النصر من السور التي اشتهرت باسم واحد مع ذكر اسم مرادفها:

و(سميت بسورة النصر لقوله تعالى: ﴿إذا جاء نصر الله﴾[3]،

وسورة التوديع لما فيه من بيان نعي المصطفى ﷺ)[4].

و(سميت هذه السورة في كلام السلف [سورة إذا جاء نصر الله والفتح).

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أنزلت هذه السورة (إذا جاء نصر الله والفتح) على رسول الله ﷺ وسط أيام التشريق وعرف أنه الوداع)[5].

وسميت في المصاحف وفي معظم التفاسير [سورة النصر] لذكر نصر الله فيها، فسميت بالنصر المعهود عهداً ذكريا)[6].

---

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور (ج٣٠/ ص: ٥٨٩).
(٢) نظم الدرر للبقاعي (ج٢٢/ ص: ٣١٢).
(٣) آية [١] سورة النصر.
(٤) الإتقان للسيوطي (ج١/ ص: ٧٣)، وبصائر ذوي التمييز (ج١/ ٥٥٠).
(٥) البيهقي في السنن (٥/ ١٥٢ رقم ٩٤٦٤).
(٦) التحرير والتنوير لابن عاشور (ج٣٠/ ص: ٥٨٧).

المطلب الثالث : اسم السورة (دلالات وإشارات).

سورة النصر : من السور التي دل اسمها على مضمونها وإن كانت هذه السورة قليلة المباني فهي كثيرة المعاني ولقد دلت آياتها الثلاث التي تحدثت عن إشارات السورة إلى القوة المعنوية التي تدعم جيوش القوة المادية في فتح البلاد وقلوب العباد.

فالسورة بشارة من الله لرسوله وعباده المؤمنين بأن الأرض ستفتح لهم والنصر حليفهم فجاء سياق الآيات على أن (جميع العرب قالوا : لاطاقة لنا بمن أظفره الله بأهل الحرم فعزوا بهذا النصر الذي أشار إليه المولى سبحانه حتى كان تمام هذا الفتح على أيدي من اتبعه في هذا الوقت ثم كان بهم فتح جميع البلاد وللإشارة إلى الغلبة على جميع الأُمم، جاء السياق في الآية بأسلوب الشرط، ولتحققها عبر عنه، بـ «إذا» إعلاماً بأنه لايَخْلفَ الوعدَ ولاينقض ماقدره وإن توهمت العقول أنه فات وقته وإيذانا بأن القلوب بيده يقلبها كيف يشاء ليحصل لمن علم ذلك الإخلاص والخوف والرجاء، فأشارت العبارة بأن الوقت قد قرب فكان المعنى: فكن مترقباً لوروده ومستعداً لشكره)(١).

فهذا النصر والفتح قد حصل لأُمة الإسلام فالواجب عليها أن تُحصنه بالقوة المادية التي هي رديف القوة المعنوية التي تجعل فرحة النصر كثرة التسبيح والتحميد والاستغفار وعلى هذا دل السياق في علاقة السورة باسمها حيث إن الله سبحانه وتعالى قد أوضح في (مطلع الآية الأولى من السورة إيحاء معينا لإنشاء تصور خاص عن حقيقة مايجري في هذا الكون من أحداث، ومايقع في هذه الحياة من حوادث وعن دور الرسولﷺ، ودور المؤمنين في هذه الدعوة، وهم وحدهم الذين

(١) نظم الدرر للبقاعي (ج٢٢/ ص: ٣١٤).

ينتهي إليهم هذا الأمر، وهذا الإيحاء يتمثل في قوله تعالى: ﴿إذا جاء نصر الله﴾[1] فهو نصر الله يجيء به الله في الوقت الذي يُقدِّره الله في الصورة التي يريدها الله، وللغاية التي يرسمها الله، وليس للنبي ﷺ ولا للصحابة رضي الله عنهم من أمره شيء وليس لهم في هذا النصر يد، وليس لأشخاصهم فيه مكسب، وليس لذواتهم منه نصيب، وليس لنفوسهم منه حظ إنما هو أمر الله يحققه بهم أو بدونهم، وحسبهم منه أن يجريه الله على أيديهم وأن يقيمهم عليه حرساً، ويجعلهم عليه أُمناء . . هذا هو كل فضلهم من النصر ومن الفتح ومن دخول الناس في دين الله أفواجاً)[2].

ومما دلت عليه هذه السورة هو الإخبار عن غيب المستقبل، حيث (يستحيل على الرجل العاقل الكامل السوي التفكير أن ينبيء عن أمر غيبي إلا أن يكون على يقين من ربه، فإن الغيب علم اختص الله به، وأن غيوب المستقبل لا سبيل لمحمد ﷺ ولا لقومه إلى تحصيلها وإنما يتعين الوقف على حقائقها من سبيل واحدة هي التلقي والتعلم ولكن من علام الغيوب)[3]، وعلى ماتقدم ذكره يتضح لنا أهمية هذه الدعوة التي وجَّه إليها القرآن الكريم في سورة النصر وهي التي حملت الدلالات في عُنوانها على النصر والإشارة في مضمونها إلى الاستعداد لتكوين أُمة ذات نهضة قوية فهذا الأمر الذي نستشفه من السورة يدلنا على عظمة القرآن، وأن أسماء السور فيها إشارات مختلفة تلفت النظر لما حوته من أهمية أسماء السور الدالة على توجيه الأمة نحو النهضة القوية بكل أنواعها من عَتاد وعُدة ومبانٍ ومعانٍ، ودَولة يكون لها

---

(١) آية [١] سورة النصر.

(٢) في ظلال القرآن لسيد قطب (ج٦/ ص: ٣٩٩٦).

(٣) تفسير سورة النصر للعلامة ابن رجب الحنبلي، تحقيق الدكتور حسن ضياء الدين عتر، ط١٥، دار البشائر الإسلامية ١٩٨٦.

قوة بشرية محصنة بالإيمان والعقيدة السليمة لتحميها من الانحرافات والزلل ولتحافظ على ممتلكاتها حتى لاتتداعى عليها الأمم، لأنها أمة الدعوة. وأُمُّ الظَلام والشرك لن تتركها إذا ضَعُفَتَ وسوف تتكالب عليها، فكان لابد لهذه الأمة من أخذ زمام الأمر وتطبيق الشرع الذي حقق لها النصر في بداية دولة الإسلام ولكي تستمد هذه العزة وترجع لأصلها الذي جاءت من أجله لابد عليها من إعداد القوة. وتقتبس هذه اللطائف والإشارات من القرآن عموماً ومما قد يستخرج من مكنونه العظيم، كالذي نحن فيه وهو أسماء السور، دلالات وإشارات، لأنها تحمل المعاني العظيمة لنصرة دين الله، فإذا حصل شكرت بالتوبة والاستغفار كما فعل رسولها الكريم ﷺ.

فالنصر حافز للأمة ودافع لهاورافع لرايتها خفاقة، والأمة المنتصرة هي التي تملي إرادتها على الأمة المنهزمة والنصر يحافظ على شرف الأمة ويحفظ أعراضها وعزتها والهزيمة تسقط كلمتها وعزتها وتدنس شرفها وشرف أفرادها. والجيوش الغالبة إذا دخلت أرض أمة جعلت أفرادها أذلة صاغرين، فعلى الأمة أن تسعى نحو النصر دوماً باتخاذ أسبابه من القوة والاستقلال حتى تتأهل للنصر ساعة اللقاء بأعدائها، والقرآن يعطينا هذا الإيحاء عندما يجعله عنواناً لسورة كريمة توجه دلالاتها وإشاراتها إلى الثبات على مبدأ الطاعة، وأعلى درجات الثبات اشتغال المنتصر بالاستغفار والتوبة اللازمة منه التواضع للخصوم والمنكسرين وهذا ما نراه قد طبقه رسول الله ﷺ في فتح مكة والصحابة من بعده في فتوحاتهم الإسلامية.

فاسم سورة النصر اسم حمل معنى عظيم له مدلولات كثيرة نسأل الله من خلاله النصر الدائم للأمة الإسلامية.

الفصل الثاني

(دلالات القوة في الزمن)

قيمة الزمن في القرآن والاقتصاد.

المبحث الأول : سورة الجمعة.

المبحث الثاني : سورة الفجر.

المبحث الثالث : سورة الليل.

المبحث الرابع : سورة العصر.

المبحث الأول

سورة الجمعة

الآيات (٩ - ١١)

وتشتمل على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : فضلها وأهميتها.

المطلب الثاني : أسماؤها.

المطلب الثالث : اسم السورة (دلالات وإشارات).

قال تعالى: ﴿ يأيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون(٩) فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون(١٠) وإذا رأوا تجارةً أو لهواً انفضوا إليها وتركوك قائماً قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين(١١) ﴾

التفسير:

يأمر الله تعالى عباده المؤمنين بالسعي والحضور لصلاة الجمعة، والمبادرة إليها من حين ينادى لها ويوجب السعي إليها.

والمراد بالسعي هنا: المبادرة والاهتمام، وجعلها أهم الأشغال: لا العدو الذى قد نهى عنه عند المضي إلى الصلاة.

وقوله: [وذروا البيع] أي: اتركوا البيع، إذا نودي للصلاة، وامضوا إليها.

فإن [ذلكم خير لكم] من اشتغالكم بالبيع، أو تفويتكم لصلاة الفريضة، التى هى من ألزم الفروض.

[إن كنتم تعلمون] أن: ما عند الله خير وأبقى، وأن من آثر الدنيا على الدين، فقد خسر الخسارة الحقيقية، من حيث يظن أنه يربح.

وهذا الأمر بترك البيع مؤقت مدة الصلاة.

[فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض] لطلب المكاسب والتجارة. ولما كان الإنشغال بالتجارة، مظنة الغفلة عن ذكر الله، أمر الله بالإكثار من ذكره، لينجبر بهذا القول. [واذكروا الله كثيراً] أي: في حال قيامكم، وقعودكم، وعلى جنوبكم .[لعلكم تفلحون] فإن الإكثار من ذكر الله أكبر أسباب الفلاح.

[وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها] أي: خرجوا من المسجد، حرصاً على ذلك اللهو، وتلك التجارة، وتركوا الخير [وتركوك قائماً] تخطب الناس.

وذلك في يوم الجمعة، بينما النبي ﷺ يخطب الناس، إذ قدم المدينة، عير تحمل تجارة فلما سمع الناس بها، وهم في المسجد، انفضوا من المسجد، وتركوا النبى ﷺ يخطب، استعجالاً لما لا ينبغى أن يستعجل له، وترك أدب.

[قل ما عند الله] من الأجر والثواب ،لمن لزم الخير، وصبر نفسه على عبادة الله.

[خير من اللهو ومن التجارة] التى، وإن حصل منها بعض المقاصد، فإن ذلك قليل منقض، مفوت لخير الآخرة، وليس الصبر على طاعة الله مفوتاً للرزق.

[والله خير الرازقين] فمن اتقى الله رزقه من حيث لا يحتسب. وفي هذه الآيات فوائد عديدة:

منها: أن الجمعة فريضة على المؤمنين، يجب عليهم السعى إليها، والمبادرة والاهتمام بشأنها.

ومنها: أن الخطبتين يوم الجمعة، فريضة، يجب حضورهما، لأنه فسر الذكر هنا بالخطبتين، فأمر الله بالمضي إليه والسعي له.

ومنها: النهي عن البيع والشراء، بعد نداء الجمعة، وتحريم ذلك، وما ذاك إلا أن يفوت الواجب، ويشغل عنه.

فدل ذلك، على أن كل أمر، وإن كان مباحاً في الأصل، إذا كان ينشأ عنه تفويت واجب، فإنه لا يجوز في تلك الحال.

ومنها: الأمر بحضور الخطبتين يوم الجمعة، وذم من لم يحضر ها، ومن لوازم حضورها، الإنصات لهما.

ومنها: إنه ينبغي للعبد المقبل على عبادة الله، وقت دواعي النفس لحضور اللهو والتجارات، والشهوات أن يذكرها بما عند الله من خيرات ويؤثر رضاه على هواه[1].

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ج٧/ ص: ٤٤٣-٤٤٤).

المطلب الأول: فضلها وأهميتها:

سورة الجمعة من السور المدنية بالاتفاق وعدد آياتها إحدى عشر[1].

وقد عُدَّت هذه السورة السادسة بعد المائة في ترتيب السور فعن جابر بن زيد، أنها نزلت بعد سورة التحريم وقبل سورة التغابن[2].

فضلها:

سورة الجمعة من السور التي أخذت شأناً كبيراً عند المسلمين لأنهم يعتبرونها عيدهم الأسبوعي، ولأهميتها وردت فيها أحاديث كثيرة عن فضائلها وخصائصها وهنا نذكر حديث واحد للاستشهاد وليس للحصر، وهذا الحديث مشهور وله فوائد كثيرة:

(فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ قال: «**من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشاً أقرن، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يسمعون الذكر**»[3].

أما أهميتها:

فإن سورة الجمعة لاتخفى أهميتها على كل مسلم لأن فيها صلاة الجمعة ويومها الذي يحمل انطباعاً خاصاً عن بقية الأسبوع، وجاءت سورة الجمعة على (مقصودها بيان مسمى الصف بدليل هو أوضح شرائع الدين وأوثق عرى الإسلام،

---

(١) الإتقان في علوم القرآن (ج١/ ص: ٧٣)، بصائر ذوى التميز (ج١/ ص: ٤٦٤).
(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور (ج٢٨/ ص: ٢٠٥).
(٣) رواه البخاري في كتاب الجمعة، باب فضل الجمعة (ج٣/ ص: ٣٧٩ - ٣٨٠) ط، دار أبي حيان.

وهو الجمعة التي اسمها مبين للمراد منها من فرضية الاجتماع فيها وإيجاب الإقبال عليها، وهو التجرد عن غيرها، والانقطاع - لما وقع من التفرق حين ترك المصلون رسولﷺ وانصرفوا للتجارة حال الخطبة - عمن بُعث للتزكية بالاجتماع عليه في الجهاد وغيره في العسر واليسر، والمنشط والمكره)[1]، كما أشارت السورة في سياقها إلى مهمات كثيرة لهذه الأمة، فكانت السورة ذات دلالات عظيمة في توضيح سياقها لمحتوياتها التي تحدثت عن الرسولﷺ، وعن بني إسرائيل والمؤمنين الذين هم حملة هذا الدين، فأظهرت هذه السورة (أنها تعالج وتُقرر في إخلاَد الجماعة المسلمة في المدينة لأنها هي المختارة لحمل أمانة العقيدة الإيمانية، وأن هذا فضل من الله عليها، وأن بَعثة الرسولﷺ الخاتم في الأميين، وهم العرب منَّةٌ كُبرى تستحق الالتفاف والشكر، وتقتضي كذلك بتكاليف تنهض بها المجموعة التي استجابت للرسولﷺ واحتملت الأمانة، وأنها موصولة على مر الزمان غير مقطوعة ولامنتهية، فقد قَدَرَ الله للأمة أن تنمو هذه البذرة التي لم تَقْدَر بنو إسرائيل على صون وحماية وحمل الأمانة وانقطعت صلتهم بالسماء، وأصبحوا يحملون التوراة كالحمار الذي يحمل أسفاراً ولا يعلم عنها شيئاً فهم كذلك، لاوظيفة لهم في إدراكها، ولامشاركة لهم في أمرها.

تلك هي الحقيقة الرئيسية التي تعالج السورة إقرارها في قلوب المسلمين، مَنْ كان منهم في المدينة يوم ذاك على وجه الخصوص وهم الذين أناط الله بهم تحقيق المنهج الإسلامي في صورة واقعة، ومن يأتي بعدهم ممن أشارت إليهم السورة، وضمتهم إلى السلسلة الممتدة على مر الزمان)[2].

---

(١) نظم الدرر (ج٢٠/ ص: ٤٤).

(٢) في ظلال القرآن (ج٦/ ص: ٤٥٦٢).

المطلب الثاني: أسماؤها.

سورة الجمعة من السور التي اشتهرت باسم واحد.

و(تسمى سورة الجمعة، لقوله تعالى: ﴿إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة﴾)[1].

واسمها الجمعة أنسب شيء فيها لهذا المقصد بتدبر آياته[2].

وسميت هذه السورة عند الصحابة وفي كتب السُّنة والتفاسير [سورة الجمعة] ولايعرف لها اسم غير هذا[3].

---

(١) بصائر ذوي التمييز (ج١/ ص: ٤٦٤).
(٢) نظم الدرر (ج٢٠/ ص: ٢٤).
(٣) التحرير والتنوير (ج٢٨/ ص: ٢٠٤).

المطلب الثالث : اسم السورة (دلالات وإشارات) .

سورة [الجمعة] اسمها يدل على أمر مقصود ليوم محدود ووقت معدود فيتبين من هذا الاسم مدى علاقة اسم السورة بمضمونها .

ونحن هنا لانبحث عن تفسير السورة من حيث التفسير العام المعروف وإنما نبحث ضمنياً في دلالات السورة التي تستخرج من لطائف إشاراتها نحو قيمة الوقت ومدى تأثيره في قضية الاقتصاد المرتبط بحركة الزمن الدائر .

فلو نظرنا إلى هذه السورة في دلالاتها على السير نحو استثمار الزمن لوجدناها تعالج قضية مهمة جداً وهي كيفية المحافظة على الوقت حسب برنامج يُعده المسلم لنفسه لكي يتكيف مع حركة الزمن ولايفوته فرض ولانفل، لأن هنا الوقت من أصول النعم العظيمة على الإنسان، ومن أجلّ هذه النعم نعمة (الزمن) (الذي هو عمر الحياة، وميدان وجود الإنسان، وساحة ظله وبقائه ونفعه وانتفاعه .

فامتن الله بنعمة الليل والنهار، وهما الزمن الذي يمر فيه هذا العالم الكبير من أول بدايته إلى نهايته، وحسبك أن تعلم أن الله سبحانه وتعالى أقسم بالزمن في مختلف أطواره في كتابه الكريم، في آيات جمة إشعاراً منه بقيمة الزمن وتنبيهاً إلى أهميته، فالوقت منقض بذاته - ومصرم بنفسه، فمن عقل عن نفسه تصرمت أوقاته وعظم فواته واشتدت حراته فكيف حاله إذا علم عند تحقيق الفوت مقدار ما أضاع)[1] .

ومن هنا تظهر لنا الإشارة التي ذكرها الحق في أهمية العبادة المؤقتة مثل صلاة الجمعة، وأن الانحراف عنها إلى النشاط الاقتصادي والتجارة الدنيوية فيه خسارة

---

(١) قيمة الزمن عند العلماء (ص: ١٧ - ٢٤) د/ عبد الفتاح ابو غدة، الطبعة الخامسة دار النشر بيروت ١٩٩٠م.

لأن الوقت للتجارة الأخروية، وهذا التوجيه من رب العزة سبحانه ليُعلم المسلمين أهمية تنظيم وجدولة حياتهم على حسب مراد الله، وليس على حسب عشوائيتهم في التعامل مع الوقت، لهذا شنع الله على الذين ظنوا أن وقت الصلاة ليس بمهم مثل التجارة ووضح لهم مدى خسارتهم في ذلك.

وهناك إشارة عظيمة لاسم السورة لأنها حملت دلالات ضمنية حيث إن الجمعة تقع وقت صلاة الظهر لهذا نجد أن الله قد ذكر كل الأوقات الخمس للصلوات، فمنها ما ذُكِرَ صراحةً مثل: الجمعة، العصر، العشاء، الفجر. ومنها ما ذُكِرَ ضمناً مثل: الظهر، المغرب، في قوله تعالى: ﴿وعشياً وحين تظهرون﴾

فقوله تعالى (وعشيا) تعني وقت المغرب، وقوله تعالى (وتظهرون) تفيد وقت الظهر، ولأهمية الزمن واعتباره في الإسلام وأنه مهم جعل الله أوقات العبادة مربوطة بحركة الزمن فنجد أن الله ذَكَرَ الفجر وهو أول النهار وفيه صلاة الصبح، وذَكَرَ الضحى بما فيه من نوافل، وذَكَرَ العصر وذَكَرَ الليل الذي فيه صلاة المغرب والعشاء، ولما جاء لوقت الظهر وهو ذروة العمل في التجارة والضرب في الأسواق، طلب الله من المسلمين التوقف عن السعي في الاقتصاد والتجارة الدنيوية والتوجه إلى صلاة الظهر التي وقتها وقت الجمعة على الأهمية في الاجتماع لها لأنها سياج زاد الاقتصاد الحقيقي التي تحميه بنصائح الاستقامة والتقوى وقد جعله الله على سائر الأسبوع في نفس الوقت حتى يتوقف المسلم عن اللهو ويعود لذكر الله.

ومن الدلالات التي أشارت إليها السورة ضمنياً في اسمها ومحتواها أن الأمة مدعوة للعمل والتوجه نحو النهضة المادية والمعنوية المؤسسة على القوة الإيمانية التي دعت إليها السورة، في اسمها (الجمعة) وبأن يوم الجمعة هو للمراجعة الختامية لعمل الأسبوع ثم الاستعداد لأسبوع مقبل جديد.

فيظهر لنا مدى قوة تأثير الاسم بالمسمى وأن سورة الجمعة من السور التي دعت إلى العبادة ثم العمل والسعي للرزق، ويدل ذلك على عظمة هذا القرآن وأسماء سوره التي جعلها الله سبحانه وتعالى عُنواناً ورمزاً له معانٍ وفوائد عظيمة لو تدبرها المسلم وعلم مقاصدها التي دعت إليها، لكان حال الأمة الإسلامية اليوم غير هذا الحال المُضَطرب.

والتركيز على ذكر الجمعة هو التركيز على الكمال الاجتماعي الذي ارتبط بيوم الجمعة، الذي خلق الله فيه آدم وهو اليوم الذي تاب فيه عليه، وهو اليوم الذي تقوم فيه الساعة، فهذا اليوم تذكير بالقواسم المشتركة بين البشر والزمن لتكتمل الحقوق المشتركة التي تحمل ارتقاء النوع الإنساني المبني على تذكر أصل الخلق، ولأهمية هذا اليوم ألهم الله العرب في الجاهلية بأن خصوا هذا اليوم باسم يوم (العروبة) خصوه لزيارة بعضهم ولتفقد شؤونهم، ولقد كرس الإسلام هذا الخلق العظيم ليوم الجمعة وجعله للاجتماع والاستماع الفكري والتربوي الذي يقيم من خلاله صلاح الفرد والمجتمع، ولأهمية الجمعة كان لابد أن يجعل القرآن هذا الاسم عنوان الكمال بالمحافظة على الزمن الذي يولد الفضيلة وتذكير الناس بالفضائل المشتركة، والله أعلم بالصواب.

المبحث الثاني

سورة الفجر

الآيات (١ - ٥)

وتشتمل على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : فضلها وأهميتها.

المطلب الثاني : أسماؤها.

المطلب الثالث : اسم السورة (دلالات وإشارات).

قال تعالي :﴿ والفجر[١] وليالٍ عشر[٢] والشفع والوتر[٣] والَّيل إذا يسر[٤] هل في ذلك قسم لذى حجر[٥] ﴾ .

التفسير :

(﴿ والفجر وليال عشر ﴾ هذه سورة مكية في قول الجمهور، ولما ذكر فيما قبلها : وجوه يومئذٍ خاشعة ووجوه يومئذٍ ناعمة اتبعه بذكر الطوائف المكذبين وأشار إلى الصنف الآخير الذين وجوههم ناعمة بقوله :﴿ يا أيتها النفس المطمئنة ﴾ والظاهر أن الفجر هو المشهور أقسم به كما أقسم بالصبح ويراد به الجنس لا فجر يوم مخصوص، والعشر هي الأواخر من رمضان، قاله ابن عباس للحديث المتفق على صحته، قالت عائشة : كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر شد مئزره وأحيا ليله وأيقظه أهله .﴿ والشفع والوتر ﴾ روى أبو أيوب عنه عليه السلام : الشفع يوم عرفة ويوم الضحى، والوتر ليلة النحر . ﴿ والليل إذا يسر ﴾ أقسم بجنس الليل . ويسري : يذهب وينقرض كقوله : ﴿ والليل إذ أدبر ﴾ وجواب القسم محذوف .

قال الزمخشري : وهو ليعذبن، يدل عليه قوله : (فصب عليهم ربك سوط عذاب وقال ابن الأنباري : الجواب قوله : ﴿ إن ربك لبالمرصاد ﴾ والذى يظهر أن الجواب محذوف يدل عليه ما قبله من آخر سورة ﴿ الغاشية ﴾ وهو قوله :﴿ إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم ﴾وتقديره : لإيابهم إلينا وحسابهم علينا .﴿ هل في ذلك قسم ﴾ تقرير على عظيم هذه الأقسام، أي : هل فيها مقنع في القسم لذي عقل فيزدجر ويفكر في آيات الله تعالى ! ثم وقف المخاطب على مصارع الأمم الكافرة الماضية مقصوداً بذلك توعد قريش ونصب المثل لها .. وعاد : هم قوم هود، وإرم تسمية لهم باسم جدهم، ولمن بعدهم عاد الأخيرة[١]) .

(١) تفسير النهر الماد من البحر المحيط لابن حيان الاندلسي (ج٣/ س : ١٢٦٠) ط، مؤسسة الكتب الثقافية دار الجنان .

المطلب الأول: فضلها وأهميتها.

سورة الفجر من السور المكية وعدد آياتها، ثلاثون في عَدّ الشام والكوفة، وتسع وعشرون في البصرة، واثنتان وثلاثون في الحجاز[1]، وهي التاسعة والثمانون من سور القرآن الكريم، مكية، وعدد آياتها «٣٠»[2]، و(قد عُدت العاشرة في عداد نزول السور، نزلت بعد سورة الليل وقبل سورة الضحى)[3].

فضلها:

لم نقف على نص خاص بها وإنما هي من عموم القرآن الكريم الذي لا تخلو آية منه ولا كلمة من فضل ومنّة ونور ورحمة، ومن هداية وشفاء حتى قيل: خذ من القرآن ما شئت لما شئت.

أما أهميتها:

فإن سورة الفجر من السور التي تحدثت عن شيء من الزمن وهو وقت الفجر الذي من خلاله ينجلي الليل ويأتي النهار، ولعظمة هذا الوقت أقسم به خالقه سبحانه وتعالى، وأهمية السورة عموما وأغراضها يتضح في (هذا القسم في مطلع السورة الذي يضم هذه المشاهد والخلائق، ذات الأرواح اللطيفة المأنوسة الشفافة (والفجر) ساعة تنفس الحياة في يسر وفرح وابتسام، وإيناس وود ندي، والوجود الغافي يستيقظ رويداً رويداً وكأن أنفاسه مناجاة، وكأن تفتحه ابتهال)[4]، ولأهمية هذه السورة جاء في سياقها دلالات وإشارات صريحة مؤكدة من

---

(١) الإتقان في علوم القرآن (ج١/ ص: ٧٢)، بصائر ذوى التميز (ج١/ ص: ٥١٨).
(٢) نظم الدرر (ج٢٢/ ص: ٢١).
(٣) التحرير والتنوير (ج٣٠/ ص: ٣١١).
(٤) في ظلال القرآن (ج٦/ ص: ٣٩٠٢).

رب العزة سبحانه، (فقد تضمنت القسم على أن الكفار سيعذبون حتماً، كما عُذِبَ غيرهم من الأمم السابقة، وبيان الإنسان وطبعه وما جبل عليه في الدنيا وبيان موقفه يوم القيامة)[1].

المطلب الثاني: أسماؤها.

سورة الفجر من السور المكية التي اشتهرت باسم واحد: (وسميت سورة الفجر لمفتتحها)[2].

(ولم يختلف في تسمية هذه السورة سورة (الفجر) بدون الواو في المصاحف والتفاسير وكتب السنة)[3].

---

(١) التفسير الواضح (ج٣/ ص: ٨٥٩).
(٢) الإتقان في علوم القرآن (ج١/ ص: ٧٢)، بصائر ذوي التمييز (ج١/ ص: ٥١٨).
(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور (ج٣٠/ ص: ٣١١).

المطلب الثالث: اسم السورة (دلالات وإشارات).

إن لسورة (الفجر) حديثا عن الزمن في آياتها الأولى. حديث يغرس في نفس القارىء لها غَرساً لو تدبر مافيه لعرف عظمة العلاقة بين اسم السورة ومضمونها وقوة دعواها في دلالات الأسماء نحو النهضة والقوى التي تغرس في نفس المؤمن الواعي دلالات القوة في اعتبار الزمن، لأن سورة الفجر (أدل مافيها على هذا المقصود هو (الفجر) بانفجار الصبح عن النهار الماضي بالأمس من غير فرق في شيء من الذات وانبعاث النيام من الموت الأصغر وهو النوم بالانتشار في ضياء النهار لطلب المعايش للمجازاة في الآخرة ليوم الحساب بالثواب أوالعقاب)[1].

فإذا عُرِفَ هذا القدر من أهمية دلالات السورة على أن الزمن معتبر في الإسلام وله أهمية كبيرة في تحديد خطط التنمية الاقتصادية التي بها قوة الدولة الإسلامية لأنه لا مكان للدولة التي لاتملك قُوَّتَها وقوّتها سواء المادية أو المعنوية لهذا جاءت سورة الفجر بهذا (القسم بهذه الأزمان من حيث أن بعضها دلائل بديع صنع الله وسعة قدرته فيما أوجد من نظام يظاهر بعضه بعضا، من ذلك وقت الفجر الجامع بين انتهاء ظلمة الليل وابتداء نور النهار)[2]، الذي يدفع بالبشر إلى الأعمال على مختلف الوظائف التي يحتاجها جميع المخلوقات.

ويظهر لنا من أول كلمة في السورة وهي (الفجر) الذي أقسم الله به وأن هناك إشارات دعت إليها هذه (الكلمة) فهي كلمة من رب العالمين الذي جعل كل حرف له مدلول يستفاد منه، ومن هنا كان لابد من الاستفادة من هذا القسم في معرفة قيمة الزمن وأنه مهم جداً في حياة المسلم لأنه محاسب عليه ويجب عليه أن يستثمر هذا الزمن وهذا الوقت في مصلحته الخاصة بتحسين وضعه الأخروي من خلال تحقيق

---

(١) نظم الدرر للبقاعي (ج٢٢/ ص: ٢١).

(٢) التحرير والتنوير (ج٣٠/ ص: ٣١٢).

العبادات المفروضة عليه وتحسين وضعه الدنيوي في تحقيق سبل المعيشة له ولمن يقُوتُ وينتج عن ذلك تحسين الحياة الاقتصادية على وجه العموم للجميع لأن كل إنسان أصبح منتجاً فتصبح بذلك الدولة الإسلامية قويةً باقتصادها الذي فيه الكرامة لأتباعها.

وبناءً على ذلك يتضح لنا أهمية هذه السورة المباركة وكيف دعت في افتتاحيتها بوقت الإبكار لأنه وقت البركة والقضية اليوم لدي المسلمين ليست قضية وقت فالوقت موجود ولم يتغير ولكن القضية قضية بركة الوقت وكيف نحصل عليها لتتحقق لنا الكفاية في جميع الحاجات سواء المادية أو المعنوية والتي لا تتحقق إلا إذا زاد اهتمامنا بطاعة الله والحرص على الزمن والاستفادة منه كما بينت السورة في مطلعها وعلى ماتضمنته في سياق آياتها المباركة، وقد دعا النبي ﷺ للأمة في بكورها فالذي لايغتنم هذه الفترة المباركة في عمله إنما يضيع على نفسه بركة العمل وبركة الرزق المكتسب منه وهو ساعة النشاط واستجمام الاجساد فالأمة التي لا تعلم أبناءها الحزم بحيث لا يمرَّ عليهم الفجر وهم في سبات عميق إنما تهدر أثمن الأوقات التي هي في حاجة إليها. والله تعالى أقسم بالفجر ولا يقسم الله عز وجل إلا بأمر عظيم عنده ومعتبر، ولعل هذا من أسرار جعله اسماً لسورة كريمة في القرآن الكريم ليعبر به عن أهمية الزمن وكونه مقرونا بالطاعة وأن تقصير ذلك يعد ضياعاً للأمم، كما حصل للذين اطغاهم إهمال الزمن وفرحوا بما عندهم من قوة مادية، مما جعلهم ينسون لقاء الله، وما علموا أن الله لهم بالمرصاد، لأن لكل ظالم نهاية وأن أمهل فلن يهمل. لذا نجد السورة تميزت بذكر الوقت وأهمية المحافظة عليه وفيه تحقق الأغراض التربوية التي فهمها الصحابة رضي الله عنهم وعملوا بها ففازوا بالرضوان وبركة الوقت ففتحوا البلاد وقلوب العباد ليقينهم بأن الوقت مهم كما قالت الحكمة (الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك) والله اعلم.

المبحث الثالث

سورة الليل

الآيات (١ - ٤)

وتشتمل على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : فضلها وأهميتها.

المطلب الثاني : أسماؤها.

المطلب الثالث : اسم السورة (دلالات وإشارات).

قال تعالى: ﴿ والليل إذا يغشى[1] والنهار إذا تجلى[2] وما خلق الذكر والأنثى[3] إن سعيكم لشتى[4] ﴾.

التفسير:

﴿ والليل إذا يغشى ﴾

هذه السورة مكية ولما ذكر فيما قبلها: ﴿ قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها ﴾

ذكر هنا من الأوصاف وما يحصل به الفلاح وما يحصل به الخيبة. ومفعول يغشى محذوف فاحتمل أن يكون النهار كقوله: ﴿ يغشى الليل النهار ﴾

وأن تكون الشمس كقوله: ﴿ والليل إذا يغشاها ﴾

وتجلى: انكشف وظهر، إما بزوال ظلمة الليل وإما بنور الشمس. أقسم بالليل الذى فيه كل حيوان يأوي إلى مأواه وبالنهار الذي ينتشر فيه.

﴿ وما خلق ﴾ ما مصدرية أو بمعنى الذي والظاهر عموم الذكر والأنثى.

﴿ إن سعيكم ﴾ أي: مساعيكم.

﴿ لشتى ﴾ أي: متفرقة[1].

---

(١) تفسير النهر الماد من البحر المحيط (ج٣/ ص: ١٢٧٣) مصدر سابق.

المطلب الأول: فضلها وأهميتها.

سورة الليل من السور المكية وآياتها إحدى وعشرون بلاخلاف[1]، وهي الثانية والتسعون من سور القرآن الكريم، مكية وعدد آياتها «٢١»[2]، وعُدت التاسعة في عداد نزول السور، نزلت بعد سورة الأعلى وقبل سورة الفجر وعدد آياتها عشرون[3].

فضلها:

لم نقف على نص خاص بها وإنما هي من عموم القرآن الكريم الذي لا تخلو آية منه ولا كلمة من فضل ومنّة ونور ورحمة، ومن هداية وشفاء حتى قيل خذ من القرآن ما شئت لما شئت.

أما أهميتها:

فإن سورة (الليل) من السور التي عالجت حالة معينة من الزمن ألا وهو (الليل) الذي يعكس النهار، فأحداث الليل تختلف عن أحداث النهار، وهذه هي فطرة الله، ولو أن التقدم العلمي قلب نظام حياة الناس، لابد أننا نجد خللاً في التقدم الذي جعل الليل والنهار واحداً. وهذا من مفاسد التقدم الذي لم يُضْبَط بقواعد الدين وفطرة الله التي فطر الناس عليها.

لهذا فإن الحديث في هذه السورة له لون مميز في الأهمية حيث إن السورة تحدثت في افتتاحيتها بالقسم على هذا الزمن ثم أتبعته بحالة المخلوقات، (وفيها أقسم الله على أن الناس يختلفون في العمل والثواب، ثم أنذرهم ناراً حامية أُعِدَتْ

---

(١) الإتقان للسيوطي (ج١/ ص: ٧٢)، بصائر ذوي التمييز (ج١/ ص: ٥٢٣).
(٢) نظم الدرر للبقاعي (ج٢٢/ ص: ٨٥) الهامش.
(٣) التحرير والتنوير (ج٣٠/ ص: ٣٧٧).

لمن عصى وحُرِمَتْ على من أطاع)[1]، وفي سورة الليل مشاهد مختلفة تدل على عظمة القرآن الكريم وأن هذه السورة مع قلة آياتها إلا أن فيها مشاهد مختلفة تجذب القارىء إلى عوالم خارجة عن عالمه الذي هو فيه، فدلت بهذا على أهميتها العظيمة في ترتيب حياة المسلم وكيف يتقيد بضوابط الزمن الذي يعتبر هو مصدر القوة في العطاء والرخاء وتكوين النهضة القوية.

والسورة إجمالاً يتضح في سياقها إطار من مشاهد الكون وطبيعة الإنسان، كما تقرر السورة حقيقة العمل والجزاء، ولما كانت هذه الحقيقة منوعة المظاهر: كانت العاقبة في الآخرة مختلفة وفق العمل والجهة، ولما كانت مظاهر هذه الحقيقة ذات لونين، وذات اتجاهين، كذلك كان الإطار المختار لها في مطلع السورة ذا لونين في الكون والنفس سواء: ﴿والليل إذا يغشى، والنهار إذا تجلى﴾[2]

: ﴿وما خلق الذكر والأنثى﴾[3]

وهذا من بدائع التناسق في التعبير القرآني)[4].

---

(١) التفسير الواضح (ج٣/ ص: ٨٧٠).
(٢) آية [١, ٢] سورة الليل.
(٣) آية [٣] سورة الليل.
(٤) في ظلال القرآن (ج٦/ ص: ٣٩٢٠).

المطلب الثاني: أسماؤها.

سورة (الليل) من السور التي أخذت اسماً واحداً.

وقيل لها سورة (الليل) لمفتتحها[1].

وسميت هذه السورة في معظم المصاحف وبعض كتب التفسير سورة (الليل) بدون - واو - وسميت في معظم كتب التفسير (والليل) بإثبات - الواو - وعَنونَها البخاري[2] والترمذي (سورة: واليل إذا يغشى)[3].

---

(١) بصائر ذوي التمييز (ج١/ ص: ٥٢٣).

(٢) صحيح البخاري كتاب التفسير سورة إذا جاء نصر الله والفتح (ج١١/ س: ١٧٥) ط، دا أبي حيان ١٩٩٦م.

(٣) التحرير والتنوير (ج٣٠/ ص: ٣٧٧).

المطلب الثالث: اسم السورة (دلالات وإشارات).

سورة (والليل): الليل حقيقة معلومة ومشاهدة وليس فيها مجال للشك فالليل جزء من زمن الحياة المقسوم بين الليل والنهار.

وعنوان السورة (الليل) هذا العنوان ينبغي التوقف عنده لمعرفة أهميته وعظمة مقصوده ومدى علاقته بمضمون السورة، الذي حمل في طياته دلالات وإشارات في قوة هذه الأسماء والعناوين نحو النهضة والقوة في اعتبار الزمن ومدى تأثيره في حياة الناس.

والسورة تحدثت عن أهمية الليل والنهار وعلاقتهما في تنظيم الكون من خلال حركة الزمن فجاء (مقصودها: الدلالة على مقصود الشمس وهو التصرف التام في النفوس بإثبات كمال القدرة بالاختيار باختلاف الناس في السعي مع اتحاد مقاصدهم، وهي الوصول إلى الملاذ من شهوتي البطن والفرج، ومايتبع ذلك من الراحة، واسمها الليل أوضح مافيها على ذلك بتأمل القسم والجواب، والوقوع من ذلك على الصواب، وأيضاً الليل نفسه دال على ذلك لأنه على غير مراد النفس بما فيه من الظلام والنوم الذي هو أخو الموت، وذلك مانعٌ عن أكثر المرادات ومقتضىً لأكثر المضادات)[1].

والليل جعلهُ اللَّهُ مختلف المقاصد عن النهار، ومن هنا ننظر إلى دلالات هذه السورة في تميز العمل الليلي عن الجهد النهاري، حيث إن النهار جعله الله للمعاش، أما الليل فجعلهُ اللَّهُ للراحة والنوم فنتج عن ذلك قصد الالتقاء بوسائل البقاء واستمرار الحياة.

---

(١) نظم الدرر (ج٢٢/ ص: ٨٥).

وفي هذا الليل إشارات مختلفة المعاني عن كيفية قضاء الليل الذي جعله الله لباساً للناس، فمنهم من يجعل جزءاً منه للعبادة وجزءاً للراحة ويتنوع على حسب كل حال من أحوال الناس.

وإذا نظرنا إلى الليل عندما أقسم الله به نجده أشار إلى أهمية هذا الوقت المحدد بزمن معين وهو من غروب الشمس إلى طلوعها.

فالكلام عن الليل هنا كلام عنه باعتبار غشيانه الأشياء وجعلها حبلى لتصلح للإنجاب في النهار، فكأن الليل والنهار هما الذكر والأنثى من حيث النسبية الثنائية لمطلق ظهور وتحويلة المعايير الزمنية، التي أدخلت حاجات الأحياء ضمن غشيان الليل وسلخه وتجلى النهار وإبصاره، حتى يتكور أحدهما على الآخر لبقاء الجنس الذي تولد منه زمنا من الليل والنهار. هذا من حيث بقاء الجنس المخلوق مستمراً فلا ينقرض، أما من حيث الارتقاء فإن الحق بعد أن أقسم قال: (إن سعيكم لشتى) فيأخذ كل إنسان جهده في العطاء الذي لم يحدد، سواء بالزمن أو المال أو الحال.

وهذه الإشارات تفيد أن الزمن إذا لم يعتبر ولم يتقيد بنظامه فإنه سوف يكون وبالاً على البشرية لأن ليلها يكون نهاراً ونهارها يكون ليلاً، أي يقضي النهار في النوم والليل في السهر الغير مفيد. ومن هنا حدد الله منهاج الأمة الإسلامية ووضّح لها كيف تتعامل مع الزمن، وكيف تستفيد منه، من خلال تقسيم الوقت بين العمل والراحة والنوم، وحدد لها أن هذا الوقت هو الذي يحدد قوة الإنسان ورقيه نحو النهضة والقوة في الدنيا، وعلى الفوز والفلاح والنجاح في الآخرة، لأن كل إنسان سوف يُحاسب على الزمن والوقت الذي حدد له منذ ولادته إلى وفاته، ومن ثَّم يستطيع الإنسان أن يقيم حياته على مراد الله الذي خلقه وهداه إلى طريق الخير وحذره عن طريق الشر.

المبحث الرابع

سورة العصر

وتشتمل على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : فضلها وأهميتها.

المطلب الثاني : أسماؤها.

المطلب الثالث : اسم السورة (دلالات وإشارات).

قال تعالى: ﴿ والعصر[1] إن الإنسان لفى خسر[2] إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر[3] ﴾

التفسير:

في هذه السورة الصغيرة ذات الآيات الثلاث يتمثل منهج كامل للحياة البشرية كما يريدها الإسلام. وتبرز معالم التصور الإيمانى بحقيقته الكبيرة الشاملة في أوضح وأدق صورة. إنها تضع الدستور الإسلامي كله في كلمات قصار. وتصف الأمة المسلمة: حقيقتها ووظيفتها، في آية واحدة هي الآية الثالثة من السورة .. وهذا هو الإعجاز الذي لا يقدر عليه إلا الله.

والحقيقة الضخمة التى تقررها هذه السورة بمجموعها هي هذه:

إنه على إمتداد الزمان في جميع العصور، وإمتداد الإنسان في جميع الدهور، ليس هناك إلا منهج واحد رابح، وطريق واحد ناج. هو ذلك المنهج الذى ترسم السورة حدوده، وهو هذا الطريق الذي تصف السورة معالمه. وكل ما وراء ذلك ضياع وخسار..[1].

---

(١) في ظلال القرآن (ج٦/ ص: ٣٩٦٤) سيد قطب.

المطلب الأول: فضلها وأهميتها.

سورة العصر من السور المكية وعدد آياتها ثلاث[1].

وقد عُدت الثالثة عشرة في عِداد نزول السور، نزلت بعد سورة الإنشراح وقبل سورة العاديات[2].

فضلها:

لم نقف على نص خاص بها وإنما هي من عموم القرآن الكريم الذي لا تخلو آية منه ولا كلمة من فضل ومنّة ونور ورحمة، ومن هداية وشفاء حتى قيل، خذ من القرآن ما شئت لما شئت.

أما أهميتها:

فإن سورة العصر من السور التي بدأت بالقسم من رب العزة سبحانه وتعالى على الوقت، والعصر هو أقصر وقت من حيث الزمن بين الليل والنهار وهو (الزمان الذي يقع فيه حركات بني آدم من خير وشر، وقال مالك عن زيد بن أسلم: هو العصر، والمشهور الأول، فأقسم تعالى بذلك على أن الإنسان لفي خسر أي في خسارة وهلاك)[3].

وفي السورة إشارات مهمة تبحث عن أحوال الناس وجاءت بمثل عظيم وهو العصر الذي (يتهيأ الناس فيه للانقطاع عن أعمالهم في النهار كالقيام على حقولهم وحدائقهم وتجاراتهم في أسواقهم، فَيُذكِّرُ بحكمة نظام المجتمع الإنساني وما ألهم

---

(١) الإتقان للسيوطي (ج١/ ص: ٧٢).

(٢) التحرير والتنوير (ج٣٠/ ص: ٥٢٧).

(٣) القرآن العظيم لابن كثير (ج٤/ ص: ٥٤٧).

الله في غريزته من دأب على العمل ونظام لابتدائه وانقطاعه، وفيه يتحفز الناس للإقبال على بيوتهم لمبيتهم والاستئناس بأهليهم وأولادهم، وهو من النعمة ومن النعيم، وفيه إيماء إلى التذكير بمثل الحياة حين تدنو آجال الناس بعد مضي أطوار الشباب والأكهال والهَرم)[1].

ومماسبق يظهر لنا دلالة اسم السورة وأن وجودها من ضمن السور التي تحدثت عن الزمن ودلالات الاسم على السير نحو النهضة والقوة التي يتبين من خلالها عظمة أسماء هذه السور واهميتها.

المطلب الثاني: أسماؤها.

هذه السورة من السور المكية المتفق على تسميتها بالعصر.

وسُمِيَتْ بسورة العصر، لمفتتحها[2].

وسُمِيَتْ في بعض كتب التفسير وفي صحيح البخاري[3]:

«سورة والعصر» بإثبات الواو على حكاية أول كلمة فيها - أي سورة هذه الكلمة[4].

---

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور (ج٣٠/ ص: ٥٢٩).
(٢) نظم الدرر (ج٢٢/ ص: ٢٣٤).
(٣) صحيح البخاري كتاب التفسير سورة العصر (ج١١/ ص: ١٦٧).
(٤) نظم الدرر (ج٢٢/ ص: ٢٣٤).

المطلب الثالث : اسم السورة (دلالات وإشارات) .

سورة - العصر - عُنوانها يشير إلى مَضْرب المثل وهو الوقت القصير، وبما أن الحديث في هذا الفصل عن دلالات القوة في اعتبار الزمن، يظهر مدى ترابط عُنوان السورة مع مضمونها التي تحدثت فيه عن حياة الإنسان ودوره في الربح والخسارة، وجاء (مقصودها تفضيل نوع الإنسان المخلوق من عَلَقٍ، وبيان خلاصته وعصارته وهم الحزب الناجي يوم السؤال عن زكاة الأعمال بعد الإشارة إلى أضدادهم، والإعلام بما ينجي من الأعمال والأحوال بترك الفاني، والإقبال على الباقي لأنه خلاصة الكون ولُبّاب الوجود، واسمها (العصر) واضح في ذلك لأنه كان وقت النبي الخاتم هو وقت العصر).

و(في هذه السورة الصغيرة ذات الآيات الثلاث التي تشتمل منهج كامل للحياة البشرية كما يريدها الإسلام، وتبرز معالم التصور الإيماني بحقيقته الكبيرة الشاملة في أوضح وأدق صورة، إنها تضع الدستور الإسلامي كله في كلمات قصار، وتصف الأمة المسلمة، حقيقتها ووظيفتها، في آية واحدة هي الآية الثالثة من السورة، وهذا هو الإعجاز الذي لايقدر عليه إلا الله)[1].

وهذه السورة لها دلالات وإشارات تنير لنا طريق معرفة عظمة أسماء سور القرآن الكريم ودلالاتها نحو النهضة والقوة، لأن موضوع العنوان (العصر) تميز كما ذكرنا بقيمة الوقت فجاء به القسم بعظمة الوقت في حياة الأمة الإسلامية وإنها مطالبة بالتحرك نحو النهضة الشاملة في مسابقة مع الوقت لأن الزمن مقدر ومعتبر في كتاب الله وله تأثير في تنمية الحياة الاقتصادية للأمة الإسلامية، فمن هنا وضع الله سبحانه وتعالى هذا المنهاج وأقسم بهذا الزمن (العصر) الذي يعتبر أقصر فترة مابين أوله وآخره، فكان التوجيه الرباني للاستفادة من هذا الوقت بكافة الطرق

(١) في ظلال القرآن (ج٦/ ص: ٣٩٦٤).

المؤدية إلى رفعة هذه الأمة والمحافظة على مكتسباتها، ولايكون ذلك إلا بالإحساس بأهمية الوقت والحرص على عدم تضييعه إلا في المفيد، سواء على الشخص نفسه في عباداته ومعاملاته أو مع الآخرين وفي المحافظة على حقوق الأمة الإسلامية وعدم التهاون بها، وعلى ذلك يتضح لنا أهمية الزمن والمحافظة عليه، ولسورة العصر خصائص عظيمة منها:

أولاً: إنها تذكر بكليات أربع هي قوام العمل الإنساني اجتماعياً وكونياً، فالكُلية الأولى كُلية الإيمانيات، الكُلية الثانية كُلية عمل الصالحات، الكُلية الثالثة كُلية التواصي بالحق، والرابعة كُلية التواصي بالصبر، وهذا اختصار لأهداف الدين لأن الشعور بالشيء المكمل عند التلاقي يقوي الكمال.

ثانياً: فهم الأمة لهذه السورة: كونها منهاجاً كاملاً وكافياً لإصلاح الوجود وذلك لوضوح الأهداف وقلة الألفاظ التي يدركها من كان يكتفي بالموعظة لأن المؤمن تكفيه موعظة، والفاسق لا تنفعه ألف عظة.

ثالثاً: إن السورة سميت بالعصر وهو يحتمل:

أ- صلاة العصر وذلك لأنها خاتمة صلاة بياض النهار.

ب- يحتمل عصر النبوة، لأنه نهاية عصر النبوات ومحل الرسالة الخاتمة.

ج- يحتمل أنه إقسام من الله بالعصر بمعنى الدهر وهو مطلق وجود غير متعلق بزمن وإنما متعلق بحتمية قهرية.

د- أو هو العصر مطلق الأزمنة التي تعيشها الحياة..

وعلى ما تقدم نقف عاجزين أمام هذه السورة، قليلة المباني كثيرة المعاني ونقول قول العاجزين: الله أعلم بالمراد والصواب.

* * *
* *
*

الباب الرابع

دلالات الأسماء في التشريع
والأخلاق السياسية

الباب الرابع

ويشتمل على تمهيد وثلاثة فصول:

التمهيد :

الفصل الأول : [الأحكام التشريعية].

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : سورة الأنفال.

المبحث الثاني : سورة الطلاق.

المبحث الثالث : سورة التحريم.

الفصل الثاني : [دلالات الأسماء في الأخلاق].

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : سورة التوبة.

المبحث الثاني : سورة التغابن.

المبحث الثالث : سورة المطففين.

الفصل الثالث : [دلالات الأسماء في السياسة].

ويشتمل على مبحثين :

المبحث الأول : سورة الأحزاب.

المبحث الثاني : سورة الشورى.

التمهيد

لقد جرت سنة الله في خلقه أن يبعث لكل أمة رسولاً يهديهم إلى الخير ويحذرهم من الشر.

ونحن أمة الإسلام قد هدانا الله إلى أعظم دين وهو دين الإسلام الذي جعله خاتم الأديان، وأنزله على أفضل عباده السابقين واللاحقين، وخاتم المرسلين سيدنا ورسولنا حبيب رب العالمين محمد عليه من الله أفضل الصلاة وأتم التسليم.

فأرسل ﷺ بشريعة كاملة صالحة ومصلحة لكل زمان ومكان ولكل قضية تهم الأمة الإسلامية أو غيرها من الأمم، ولقد حددت طرق التعامل مع الأمم الأخرى بواسطة منهاج عظيم نظم العلاقات بين كل الأطراف على كل المستويات سواء التشريعية أو الأخلاقية أو السياسية أو غيرها، من الشؤون التي بينتها شريعة الإسلام. ومن خصائص الإسلام أنه (جاء لتكريم الإنسان وترك له حرية التفكير في آيات الله الكونية، وترك له حرية استنباط الأحكام من الكتاب والسنة، وترك له حرية القياس والإجتهاد فيما لا نص فيه، وأباح له سنّ الأحكام في كل ما سكت الشارع عنه وجعلها من باب المباح. ولاختلاف مدارك البشر واختلاف عقولهم وتجاربهم، سنَّ الإسلام مبدأ الشورى حتى تتلاقح العقول وتقلَّب الأمور للوصول إلى ما يرضي الله ويسعد الإنسان، إذ أن مقاصد الشريعة سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة[1])، ولهذه السعادة فتح الحق سبحانه وتعالى العلم أمام العباد وجعل تعليمه فريضة ونحن نغترف وننهل من بحر العلوم الزاخرة لنضيف رافداً مهماً من روافد المعرفة، وهو هذا الباب الذي يتحدث عن دلالات الأسماء ليس لنضيف شيئاً في التشريع والأخلاق والسياسة، ولكنه فتحاً يساعد على فهم (الفطرة الإنسانية

(١) الشورى ومعالم الحكم في الإسلام (ص: ١١) د. معتصم أحمد السيد. ط، شركة دار الحكمة الخرطوم ١٩٩٨م

منبع الشورى ومنهجاً للتضامن والعدل الاجتماعي والرشد السياسي، يجعل مستقبل الإنسانية متمثلا في احترام مبدأ حرية الشورى والالتزام بشمولها، ولذلك فإننا عندما نتكلم عن الشورى نعني بذلك مستقبل الإنسانية الراشدة المستقيمة على هدى الله وشريعته)[1]، التي منها تستقي هذه المفاهيم التي تخدم الإسلام والمسلمين وتنير لهم طرق العلم المختلفة.

ونحن هنا نقوم ببحث أسماء السور القرآنية - دلالات الأسماء وإشاراتها - كما سبق ذكره، ويتبعه باب في غاية الأهمية ألا وهو دلالات الاسماء في التشريع والأخلاق والسياسة، والهدف من هذا توضيح بعض أسماء السور التي تناولت أحوال الحرب والسلم والغنائم. ولأهمية الأحكام سمى الحق سبحانه وتعالى بعض سوره بهذه الأسماء فنجد عندنا سورة الأنفال التي تحدثت عن حالة الحرب والمحاربين والفيء وأحكامه، وسورة الطلاق التي طرقت باب آخر في المعجزات التشريعية في ما يسمى اليوم بالأحوال الشخصية ومنه موضوع الطلاق، ولأهمية هذا الأمر سمى الله سبحانه وتعالى سورة كاملة باسم (سورة التحريم) لما لمسألة الحلال والحرام من أهمية عظيمة في التشريع الإسلامي.

ومن ناحية أخرى هناك بعض السور أخذت جانب الأخلاق في أسمائها، ومنها سورة التوبة، ولأهمية التوبة لإصلاح الفرد والمجتمع سمى الله هذه السورة باسم التائبين حتى لا تستبعد رحمة الله من عباده.

هذا من حيث الحالات الفردية والنفسية أو المشتركة في حدود ضيقة.

ولكن هناك سورة دعت إلى أخلاق عامة تهم محيطاً كبيراً في المجتمع وفي تعاملهم معها، ألا وهي سورة (سورة المطففين) وهي سورة تُعنى بالتجارة والتجار وكيفية حال التاجر الصادق وحال من جانب الصواب، ومن اتبع طريق الهلاك

(١) فقه الشورى والاستشارة (ص: ١٠) د. توفيق الشاوى. ط، دار الوفاء مصر/ ١٩٩٢/ ط٢.

الذي تحدثت عنه سورة المطففين.

ولتكملة المعرفة من فردية إلى اجتماعية إلى عالمية، هناك الصورة المرسومة من ربِّ العالمين إلى عباده، حيث إنه تدرج في التشريع من فردي إلى جماعي محلي إلى عالمي لايستقيم إلا إذا رسمت له سياسة قوية رصينة تحفظه من تخبط الشهوات والغايات، كما يحدث في هذا الوقت من ضروب مختلفة للتجارة العالمية التي بدأت تخرج لنا بأسماء ومصطلحات حديثة لتسيطر على عقول ومقومات الشعوب كـ(العولمة)و(الجات) وغيرها، والهدف منها أولاً وأخيراً إذلال الدول والشعوب الإسلامية والسيطرة على مصادر خيراتها بأنواعها المختلفة. ندعو الله أن يحميها.

فكان فضل دلالات الأسماء في السياسة يحمل هذا المعنى في بعض سوره مثل سورة الأحزاب التي حددت نوع التعامل في مختلف الطوائف وكيفية الأخلاق الاستراتيجية. وعلى حسب مقتضيات الحال جاءت سورة (الشورى) لتكمل الخطوط العريضة والأهداف النبيلة في التعامل بين الشعوب العالمية على مختلف مشاريعها وأحكامها وأحوالها فكانت سورة الشورى ترسم هذا الخط البياني الكبير العظيم في قضية الشورى التي هي أساس التعايش بين الشعوب والأمم والجماعات والأفراد على حسب تطلعاتهم كما سوف يأتي مفصلاً، كلٌ في مكانه في هذا الباب إن شاء الله تعالى.

الفصل الأول

الأحكام التشريعية ودلالاتها

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : سورة الأنفال.

المبحث الثاني : سورة الطلاق.

المبحث الثالث : سورة التحريم.

المبحث الأول

سورة الأنفال

الآية (١)

وتشتمل على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : فضلها وأهميتها.

المطلب الثاني : أسماؤها.

المطلب الثالث : اسم السورة (دلالات وإشارات).

قال تعالى: ﴿ يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين ﴾[آية رقم: ١].

التفسير:

كانت هذه الآيات في هذه السورة، قد نزلت في قصة «بدر» أول غنيمة كبيرة غنمها المسلمون من المشركين.

فحصل بين بعض المسلمين فيها نزاع، فسألوا رسول الله ﷺ عنها فأنزل الله: ﴿ يسألونك عن الأنفال ﴾ كيف تقسم وعلى من تقسم ؟

﴿ قل ﴾ لهم: ﴿ الأنفال لله والرسول ﴾ يضعانها حيث شاءا فلا اعتراض لكم على حكم الله ورسوله. بل عليكم إذا حكم الله ورسوله، أن ترضوا بحكمهما، وتسلموا الأمر لهما وذلك داخل في قوله: ﴿ فاتقوا الله ﴾ بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، : ﴿ وأصلحوا ذات بينكم ﴾ أي: أصلحوا ما بينكم من التشاحن، والتقاطع، والتدابر، بالتوادد، والتحاب، والتواصل، فبذلك تجتمع كلمتكم، ويزول ما يحصل - بسبب التقاطع - من التخاصم، والتشاجر والتنازع، ويدخل في إصلاح ذات البين، تحسين الخلق لهم، والعفو عن المسيئين منهم فإنه - بذلك - يزول كثير مما يكون في القلوب من البغضاء، والتدابر.

والأمر الجامع لذلك كله قوله: ﴿ وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين ﴾، فإن الإيمان يدعو إلى طاعة الله ورسوله ﷺ(١).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير المنان (ج٣/ ص: ١٤١ - ١٤٢).

المطلب الأول: فضلها وأهميتها:

سورة الأنفال[1] من السور المدنية وعدد آياتها سبع وسبعون عند الشاميين، وخمس وسبعون عند الكوفيين، وست وسبعون عند الحجازيين، والبصريين[2]. (وقد عدت السورة التاسعة والثمانين في عداد نزول سور القرآن وفي رواية جابر بن زيد عن ابن عباس، وانها نزلت بعد سورة، آل عمران وقبل سورة الاحزاب)[3].

فضلها:

لم نقف على نص خاص بها وإنما هي من عموم القرآن الكريم الذي لا تخلو آية منه ولا كلمة من فضل ومنّة ونور ورحمة، ومن هداية وشفاء حتى قيل: خذ من القرآن ما شئت لما شئت.

أهميتها:

سورة (الأنفال) ذات أهمية خاصة لأن الحديث عن المعجزات التشريعية ودلالاتها، و(الأنفال) نزلت فيها الأحكام الخاصة بقضايا الحرب مثل الغنائم والأسرى وغيرها من تبعات الحروب.

فدارت أحداث هذه السورة و(ابتدأت ببيان أحكام الأنفال وهي الغنائم وقسمتها ومصارفها، والأمر بطاعة الله ورسولهﷺ، في أمر الغنائم وغيرها، وأمر المسلمين بإصلاح ذات بينهم وأن ذلك من مقومات معنى الإيمان الكامل)[4].

---

(١) الأنفال: هو(النفل، والنافلة ما كان زيادة على الأصل، وسميت الغنائم أنفالا، لأن المسلمين فضلو بها على سائر الأمم الذين لم تحل لهم الغنائم، وصلاة التطوع نافلة لأنها زيادة على الفرض الذي هو الأصل (الفخر الرازي (ج٨/ ص: ١١٨) ط، دار الفكر)،

(٢) الإتقان للسيوطي (ج١/ ص: ٧٣)، بصائر ذوي التمييز (ج١/ ص: ٢٢٢).

(٣) التحرير والتنوير (ج٩/ ص: ٢٤٦).

(٤) نظم الدرر (ج٨/ ص: ٢١٤) الهامش.

وذكرت أحكام عامة للمسلمين الذين تخلفوا في مكة بعد الهجرة، وفي سياق الآيات تظهر المعجزات التشريعية وأن هذه الأحكام التي تصدر من رسول الله ﷺ، إنما هي تصدر من الله فعلى ذلك لابد من السمع والطاعة لكل هذه الأحكام والتقيد بها ليحل النصر والفوز على الأعداء، وكان هذا الأمر واضحاً في غزوة بدر التي بها اعتز الإسلام والمسلمين.

المطلب الثاني: أسماؤها.

لهذه السورة في كتب التفسير اسمان.

(أخرج البخاري، عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس رضي الله عنهما سورة «الأنفال» قال: نزلت في بدر)(١).

و(سميت الأنفال لافتتاحها باسم الأنفال، ومن أجل أنها ذكر فيها حكم الأنفال)(٢).

و(سميت سورة الأنفال، لكونها مفتتحة بها، ومكررة فيها، وسورة بدر، لأن معظمها في ذكر حرب بدر وماجرى فيها)(٣).

---

(١) صحيح البخاري كتاب التفسير. سورة الانفال (ج١٠/ ص: ٢٣٦) ط، دار ابن حيان.
(٢) التحرير والتنوير (ج٩/ ص: ٢٤٧).
(٣) بصائر ذوى التميز (ج١/ ص: ٢٢٢).

المطلب الثالث : اسم السورة (دلالات وإشارات).

سورة (الأنفال) بينت قوة الدلالة في المعجزات التشريعية، لأن هذه السورة لها علاقة واضحة بين اسمها (الأنفال) ومضمونها الذي تحدثت فيه عن الأحكام التشريعية للحرب والسلم وغيرها، لأن غنائم الحرب لم تكن معروفة أحكامها للمسلمين بعد. فجاءت هذه السورة لتوضح للأمة الإسلامية هذه الأحكام التشريعية ولقد سميت هذه السورة باسم الأنفال وجاء في أول آياتها قوله تعالى: ﴿يسألونك عن الأنفال﴾(١)

فدلت السورة في مضمونها على قوة ارتباط أهدافها باسمها مما يظهر لنا دلالات الأسماء في المعجزات التشريعية إلى إشاراتها العظيمة في الاستفادة من أحكامها الظاهرة والاتعاظ بإشاراتها اللطيفة في معالجة قضايا الأمة الإسلامية من خلال معرفة هذه الأحكام التشريعية التي ذكرت خصّيصاً في أولها، وكان سبب نزول هذه السورة هو أن الصحابة اختلفوا في موضوع الغنائم التي يستولون عليها من عدوهم في الحرب، لهذا نجد أن المعنى العام في السورة هو : (سألك أهل بدر- يا محمد- عن الغنائم التي أدركتموها من هذه الغزوة غزوة بدر الكبرى، فمنهم من يطلب منك سيفاً معيناً، كسعد بن أبي وقاص، ومنهم من يطلب أن تكون الغنائم له لأنه هو الذي باشر القتال كالشبان، ومنهم من يطلب المشاركة فيها لأنهم كانوا تحت الرايات وكانوا ردءاً وموئلا يرجع إليهم الشبان عند الحاجة، ومنهم من كان ملتفا حول الرسول ﷺ، حارساً له من أن تمتد إليه يد الغدر والخيانة والاغتيال من الأعداء، فأجبهم يا محمد لهذا الحكم وبيّن لهم أن الغنائم مختصة بالله تعالى ورسوله ﷺ يقسمها بينكم)(٢)، هكذا نجد في سورة الأنفال الإجابة صريحة من الحق سبحانه

(١) آية [١] سورة الانفال.

(٢) تفسير سورة الانفال (ص: ١٩١٨) للشيخ الغزالي خليل عيد، مكتبة المعارف الرياض ١٩٨١م.

وتعالى لرسوله ﷺ في قضية الغنائم لأنها كانت محرمة على الأمم السابقة لهذا جاء عن رسول الله ﷺ في الحديث: «**وأحلت الغنائم لي ولم تحل لأحد من قبلي**»(١) على هذه المضامين التي حملتها سورة الأنفال جاءت من ضمن السور التي عالجت المعجزات التشريعية ودلالاتها في تقويم المطالب الإجتماعية التي يسأل عنها لمعرفة ما الأمر فيها ، هل هي على ما سبق من الحرمة التي كانت قبل الإسلام أم الأمر مختلف ؟

لهذا (فلو أنك تأملت فيما عوتب عليه، وهو قبول الفداء من أسرى بدر، لكان أقرب إلى نفسه الكريمة، وطبعه الرحيم، وهو خير ما يختاره من عرف برحمة أهله وهداية قومه، وتأليف خصمه، وإنما نبه القرآن إلى ما هو أرجح في ميزان الحكمة الإلهية، فهل نرى في ذلك ذنباً يستوجب عند العقل هذا التأنيب والتثريب؟، أم هو مقام الربوبية، ومقام العبودية، وسنة العروج بالحبيب في معارج التعليم والتأديب)(٢).

وكانت الأنفال من الأسباب القوية في حفز المقاتلين بجانب ما ينالهم من أجر وثواب وفق نياتهم، وكانت سبباً في أرزاق الجند الذين لم تهدأ حركة جهادهم وقتالهم في سبيل الله، ولم تكن خزانة الدولة تتسع في ذلك الوقت لوضع الرواتب العالية للجنود فكان رزقهم يأتيهم من سيوفهم الماضية في سبيل الله، ولذلك انتشر الفتح شرقاً وغرباً بمؤنة يسيرة من الدولة فكانت الدولة تمد الجيوش بالرجال الأشداء، ورزق هؤلاء يأتيهم من أعدائهم أنفالاً وغنائم ، فالأعداء هم وقود الحرب وهم زادها وعتادها، وللمقاتلين نياتهم الحسنة في نصرة دين الله تعالى. وقد استفاد

(١) صحيح مسلم (١/ ص: ٣٧٠)، صحيح ابن حبان (ج١٤/ ص: ٣٠٨)، المستدرك (ج٢/ ص: ٤٦٠).
(٢) النبأ العظيم لمحمد عبد الله دراز (ص: ١٩).

المسلمون أموالاً طائلة من هذه الأنفال وكانت معظم موارد بيت المال منها على أيام النبي ﷺ، ومن بعده من الخلفاء الراشدين، ففي الأنفال إشارة لقوة المقاتلين واتقاء جذوة الجهاد، واستمرار الفتح، وفيه غير ذلك من الإشارات.

ولزيادة مفهوم الغنائم وحلها لا بد من معرفة تاريخ هذا الغنائم عند الأمم السابقة. لقد كانت الأمم السابقة تحارب وإذا اغتنموا وجمعوا غنائمهم ثم ينزل الله النار فتحرق جميع الغنائم، وذلك لبدائية الإنسان، لأنه لو اجيزت لهم الغنائم تحاربوا لغير هدف، وإنما تكون الحرب من أجل الغنيمة، ولكن لما أصبح الإنسان في ظل الإسلام عاقلاً كبير الهمة، أمكن الاعتماد على عقله الحضاري المهذب: أحلت له الغنائم، ولكن ينبغي أن يكون حلها إنما هو لأمر الله لرسوله ﷺ مع الحفاظ على الصلاح والتقوى.

ولا تسفك الدماء لأجل كسب مادي وإنما يقوم الجهاد لإعلاء كلمة الله ويكون تجهيزه من بيت مال المسلمين أو طرق أخرى، وذلك حتى لا يصبح المال هو هدف الحروب، وحتى لا تصبح هذه الحروب حرفة تجار السلاح كما هو حاصل في هذا الزمن من تجار الحروب الذين يدبرون الفتن لأجل بيع السلاح ولجلب المال. والله أعلم.

المبحث الثاني

سورة الطلاق

الآيات (١ - ٧)

وتشتمل على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : فضلها وأهميتها.

المطلب الثاني : أسماؤها.

المطلب الثالث : اسم السورة (دلالات وإشارات).

:قال تعالى :﴿ يأيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وتلك حدود الله ومن يتعدّ حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا[١] فإذا بلغن أجلهن فامسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف وأشهدوا ذوى عدل منكم وأقيموا الشهادة لله ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الأخر ومن يتق الله يجعل له مخرجا[٢] ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا[٣] واللآئي يئسن من المحيض من نسآئكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللآئي لم يحضن وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا[٤] ذلك أمر الله أنزله إليكم ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا[٥] أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضآروهن لتضيقوا عليهن وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن وأتمروا بينكم بمعروف وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى[٦] لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما اتاه الله لا يكلف الله نفسا إلا ما أتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا[٧] ﴾.

التفسير :

(يقف الإنسان مدهوشاً أمام هذا الحشدمن الحقائق الكونية الكبرى في معرض الحديث عن الطلاق، أمام هذا الاحتفال والاهتمام، حتى ليوجه الخطاب إلى النبيﷺ، بشخصه وهو أمر عام للمؤمنين وحكم عام للمسلمين زيادة في الإهتمام وإشعار بخطورة الأمر المتحدث فيه، وأمام هذا التفصيل الدقيق للأحكام، حالة بعد حالة،

والأمر المشدد في كل حكم بالدقة في مراعاته، وتقوى الله في تنفيذه ، ومراقبة الله في تناوله، والإطالة في التعقيب بالترغيب والترهيب، إطالة تشعر القلب كأن هذا الأمر هو الإسلام كله! وهو الدين كله وهو القصة التي تفصل فيها السماء، وتقف لتراقب تنفيذ الأحكام تعد القوانين فيها بأكبر واسمى ما يتطلع إليه المؤمن، وتوعد الملتوين والمضاربين بأعنف وأشد ما يلقاه عاصي، وتلوح للناس بالرجاء الندى والخير المخبوء وراء أخذ الأمر بالمعروف والسماحة والتجميل والتيسير)[1].

المطلب الأول: فضلها وأهميتها.

سورة الطلاق من (السور المدنية بالاتفاق وعددُ آياتها خمس عشرة في عَدَ البصرة واثنا عشرة عند الباقين[2].

وهي (الخامسة والستون من سور القرآن الكريم، مدنية، وعدد آياتها(١٢))[3].

وهي (معدودة السادسة والتسعين في ترتيب نزول السور عند جابر بن زيد، نزلت بعد سورة الإنسان وقبل سورة البينة)[4].

فضلها:

لم نقف على نص خاص بها وإنما هي من عموم القرآن الكريم الذي لا تخلو آية منه ولا كلمة من فضل ومنّة ونور ورحمة، ومن هداية وشفاء حتى قيل: خذ من القرآن ما شئت لما شئت.

---

(١) في ظلال القرآن (ج٦/ ص: ٣٥٩٤).
(٢) الإتقان في علوم القرآن (ج١/ ص: ٧٣)، بصائر ذوى التميز ٠ج١/ ص: ٤٦٩).
(٣) نظم الدرر (ج٢٠/ ص: ١٣٩) الهامش.
(٤) التحرير والتنوير (ج٢٨/ ص: ٢٩٣).

أما أهميتها:

فإن سورة «الطلاق» تأتي أهميتها من حيث المعجزات التشريعية فيها لأنها تناولت قضية مهمة من قضايا المجتمع عموماً والمجتمع الإسلامي الجديد على وجه الخصوص في ترتيب حياة الأسرة المسلمة ومايترتب على كيانها من أمور الشريعة التي جاءت لتعديل أوضاع المجتمع، فدلت على معجزات التشريع التي تتناول أدق التفاصيل في الحياة الزوجية ومدى العلاقة بين الزوجين وبين مايتبعها من أحكام على أفراد هذه الأسرة فكان (الغرض من آيات هذه السورة تحديد أحكام الطلاق وما يعقبه من العدة والإرضاع والإنفاق والإسكان، تتميماً للأحكام المذكورة في سورة البقرة.

والإيماء إلى حكمة شرع العدة، والنهي عن الإضرار بالمطلقات والتضييق عليهن، والإشهاد على التطليق وعلى المراجعة، وإرضاع المطلقة ابنها بأجر على الله، والأمر بالائتمار والتشاور بين الأبوين في شأن أولادهما وتخلل ذلك الأمر المحافظة بالوعد، بأن الله يؤيد من يتقي الله ويتبع حدوده ويجعل له من أمره يسرا ويكفر عنه سيئاته، وأن الله وضع لكل شيء حكمة لايعجزه تنفيذ أحكامه، وأعقب ذلك بالموعظة بحال الأمم الذين عتوا عن أمر الله ورسله وهو حث المسلمين على العمل بما أمرهم به الله ورسولهﷺ، لئلا يحق عليهم وصف العتو عن الأمر)[1].

(١) التحرير والتنوير (ج٢٨/ ص: ٢٩٣ - ٢٩٤).

المطلب الثاني: أسماؤها:

سورة الطلاق من السور التي اشتهرت باسم واحد مع وجود أسماء أخرى متشابه مع أسماء بعض سور القرآن.

وهي (لها اسمان: الطلاق لقوله: ﴿إذا طلقتم النساء فطلقوهن﴾[1]، والثاني سورة النساء القصرى، قاله عبد الله بن مسعود)[2].

(واسمها الطلاق أجمع مايكون لذلك، سميت به، وكذا سورة النساء القصرى، لأن العَدْلَ في الفراق بعض مطلق العدل الذي هو محط مقصود سورة النساء)[3].

---

(١) آية [١] سورة الطلاق.
(٢) بصائر ذوي التمييز (ج١/ ص: ٤٦٩).
(٣) نظم الدرر (ج٢٠/ ص: ١٣٩).

المطلب الثالث: اسم السورة (دلالات وإشارات).

سورة (الطلاق) كما هو واضح من اسمها فإنها تدل على نوع من أنواع الأحكام الشرعية وهذا النوع هو (الطلاق) الذي يحتاج إلى تنظيم تشريعي من المشرع سبحانه وتعالى وحتى لاتتدخل في هذه المعاملة الخطيرة أيدي المخلوقين وأهواؤهم حكمها سبحانه وتعالى من عنده فجاءت هذه السور المعنونة (بالطلاق) لتصبح العلاقة بين اسم السورة ومحتوياتها علاقة مصيرية في تحديد دلالات هذه السورة وماتحمله من إشارات إعجازية في التشريع.

لهذا جاءت هذه السورة من ضمن السور التي يدور الحديث فيها عن المعجزات التشريعية ودلالاتها، التي تُستَنتَج منها، لأنها سورةٌ عظيمة وعلى قلة عدد آياتها نجد أنها عالجت قضايا كبيرة جداً وحددت لها ضوابطها، ولهذه العظمة (يقف الإنسان مندهشاً أمام هذه السورة وهي تتناول أحكام هذه الحالة ومتخلفاتها، وهي تحشد للأمر هذا الحشد العجيب من الترغيب والترهيب، والتعقيب على كل حكم، ووصل هذا الأمر بقدر الله في السموات والأرض، وسنن الله في هلاك العاتين عن أمره، وفي الفرج والسعة لمن يتقونه، وتكرار الأمر بالمعروف والسماحة والتراضي، وإيثار الجميل، والطمع في الخير والتذكير بقُدْرَةِ الله في الخلق وفي الرزق وفي اليسر والعسر)[1].

فهذه السورة حملت في طياتها معجزات تشريعية، لأن دلالة أحكام هذه السورة تفيد الوضع الأسري على وجه الخصوص فالمتمعن في إشارات هذه الآيات وما تناولته من أحكام (له عدة دلالات تجتمع كلها عند سمو هذا الدين وجديته وإنبثاقه من نبع غير بشري على وجه التأكيد. حتى لو لم تكن هناك دلالة أخرى

(١) في ظلال القرآن (ج٦/ ص: ٣٥٩٤).

سوى دلالة هذه السورة، إنه يدل ابتداءً على خطورة شأن الأسرة في النظام الإسلامي : فالإسلام نظام أُسري، البيت في اعتباره مثابة ومسكن، في ظله تلتقي النفوس على المودة والرحمة والتعاطف والستر والتجمل والحضانة والطهر، وفي كنفه تنبت الطفولة، وتتدرج الحداثة ومنه تمتد وشائج الرحمة وأواصر التكافل)[1].

وعلى ماتقدم ينجلي ظلام الجاهلية في أحكام الأسرة والطلاق على نور الإسلام الذي شرع للأُسرة أحكامها، وقيد مفاهيم الطلاق بضوابط التشريع الإسلامي، الذي أعجز في عظمته كل التشاريع المعمول بها وأثبت عجزها عن منافسته منذ ذلك الوقت إلى يومنا هذا، وإن الأحوال الشخصية التي جاء بها الإستعمار ووضعها في محاكم الدولة الإسلامية لتحل محل الشريعة الإسلامية باءت بالفشل وهذه المحاكم تعج بالقضايا التي يكثر فيها الخلط والتخبط لأنها ابتعدت عن أحكام الشريعة.

ومن هنا يتبين لنا أهمية التشريع الإسلامي ومعجزاته في تحديد ضوابط الحياة الأُسرية للمجتمع الإسلامي وغير الإسلامي.

ولقد بين رسول الله ﷺ : «إن أبغض الحلال إلى الله الطلاق»[2]، إلا أنه ينطوي على إعجاز شريف عظيم ، نلمس ذلك عندما نرى ما جره تشريع منع الطلاق عند بعض الديانات المحرفة كبعض فرق النصارى فصارت الخيانة الزوجية هي الشائعة بينهم عندما لا تجد المرأة ملاذاً في الطلاق من زوجها لأمور تستوجب ذلك وقد منع الشرع الإسلامي أن تترك المرأة معلقة لاهي تنعم بالحياة الزوجية فتسعد ولا هي تطلق عندما تسوء المعاشرة فتجد حظها مع زوج آخر ، فالطلاق

(١) في ظلال القرآن (ج٦/ ص : ٣٥٩٥).
(٢) البيهقي (ج٧/ ص : ٣٢٢)، ابن داود (ج٢/ ص : ٢٥٥).

تشريع سامٍ إذا استخدم بضوابطه الصحيحة ولا عبرة بمن يسيئون لهذا التشريع من الجهلة، ولسمو هذا التشريع عندما تمس الحاجة إليه جعل اسماً لسورة كريمة في القرآن حملت بين طياتها معظم أحكام الطلاق وما يترتب عليه من حقوق مشتركة بين الزوجين، ولما كانت السورة تحمل أهم أحكام الطلاق استحقت هذا الاسم (الطلاق). والله أعلم.

المبحث الثالث

سورة التحريم

الآية (١)

وتشتمل على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : فضلها وأهميتها.

المطلب الثاني : أسماؤها.

المطلب الثالث : اسم السورة (دلالات وإشارات).

قال تعالى: ﴿ يأيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك والله غفور رحيم ﴾.

التفسير:

هذه السورة تعرض في صدرها صفحة من الحياة البيتية لرسول الله ﷺ، وصورة من الانفعالات والاستجابات الإنسانية بين بعض نسائه بعض، وبينهن وبينه، وانعكاس هذه الانفعالات والاستجابات في حياته ﷺ، وفي حياة الجماعة المسلمة كذلك، ثم في التوجيهات العامة للأمة على ضوء ما وقع في بيت رسول الله ﷺ وبين أزواجه)[1].

المطلب الأول: فضلها وأهميتها:

سورة التحريم من (السور المدنية وعدد آياتها اثنتا عشرة)[2].

وهي(السادسة والستون من سور القرآن الكريم، مدنية - وعدد آياتها، [١٢])[3].

وهي(معدودة الخامسة بعد المائة في عداد نزول سور القرآن الكريم، ونزلت بعد سورة الحجرات وقبل سورة الجمعة)[4].

---

(١) في ظلال القرآن (ج٢٧/ ص: ٣٦١٠).
(٢) الإتقان في علوم القرآن (ج١/ ص: ٧٣)، بصائر ذوي التمييز (ج١/ ص: ٤٧١).
(٣) نظم الدرر (ج٢٠/ ص: ١٧٩).
(٤) التحرير والتنوير (ج٢٨/ ص: ٣٤٣).

فضلها:

لم نقف على نص خاص بها وإنما هي من عموم القرآن الكريم الذي لا تخلو آية منه ولا كلمة من فضل ومنّة ونور ورحمة، ومن هداية وشفاء حتى قيل: خذ من القرآن ما شئت لما شئت.

أما أهميتها:

فإن سورة (التحريم) لم تتكرر في القرآن الكريم على هذه الشاكلة، وهو العتاب الموجه إلى الرسول ﷺ، في التدخل البشري بالضابط الشرعي دون وحيٍ من الله تعالى، فتدخل الرسول ﷺ، بسن الأحكام الشرعية دون وحي ثم يأتي الوحي بعتابه له أكبر دليل على المعجزات التشريعية ودلالتها الموحاة من المشرع سبحانه وتعالى، ولهذا جاءت هذه بمقاصدها في (عِتاب الرسول ﷺ في التحريم والتحليل قبل ورود وحي سماوي، وتعيير الأزواج الطاهرات على إيذائه وإظهار سرّه، والأمر بالتحرّز والتجنب من جهنم، والأمر بالتوبة النَصُوح، والوعد بإتمام النور في القيامة، والأمر بجهاد الكفار بطريق السياسة ومع المنافقين بالبرهان والحجة، وبيان أن القرابة غير نافعة بدون الإيمان والمعرفة وأن قرب المفسدين لايضر مع وجود الصدق والإخلاص)[1].

هذه المقاصد التي شملتها السورة تبين مدى أهمية التشريع وأنه ليس من الرسول ﷺ، وإنما هو من عند الله سبحانه وتعالى، وإلا ما عاتبه الله عز وجل على ما بدر منه أو عاتب أزواجه.

---

(١) بصائر ذوي التمييز (ج١/ ص: ٤٧١)

المطلب الثاني: أسماؤها.

سورة (التحريم) من السور التي اشتهرت باسم واحد في كتب التفسير ولها أسماء أخرى.

و(سميت سورة التحريم والمتحرم، لمفتتحه «لِمَ تُحرِم»)[1].

وهي(سورة التحريم وتسمي سورة النبي ﷺ)[2].

و(سورة ﴿يأيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك. . .﴾). الخ

و(سميت التحريم) في كتب السنة وكتب التفسير)[3].

---

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) نظم الدرر (ج٢٠/ ص: ١٧٩).

(٣) التحرير والتنوير (ج٢٨/ ص: ٣٤٣).

المطلب الثالث: اسم السورة (دلالات وإشارات).

يوحى عنوان سورة (التحريم) إلى أن في هذه السورة أمر منهيٌ عنه، فجاء عنوانها مطابقاً لافتتاحها، فدل ذلك على نوع العلاقة بين اسم السورة ومحتوياتها التي تحدثت عن المعجزات التشريعية ودلالاتها في بيان مقاصد الشريعة في توجيه الأحكام الشرعية وإنزالها حسب مقتضى الحال أو السؤال.

وأن نزول الأحكام الشرعية ليس محصوراً على حوادث الصحابة أو بقية المشركين والمنافقين أو على سؤال موجه إلى الرسولﷺ، من بعض الناس، بل الأحكام تنزل حسب مايحدث عموما ولو كان من بيت النبيﷺ، أو منه شخصياً لأن هذا الدين ليس فيه محاباة، وإنما المصلحة عامة لجميع الخلق: لهذا (عندما جرى قدر الله أن يجعل الإسلام هو الرسالة الأخيرة، وأن يجعل منهجه الباقي إلى آخر الخليقة، وأن تجري حياة المؤمنين به وفق الناموس الكوني العام، وأن يكون هذا الدين هو الذي يقود حياة البشرية ويهيمن على نشاطها في كل ميدان، وعندما جرى قدر الله بهذا كله جعل الله هذا المنهج في هذه الصورة شاملاً كاملاً، يلبي كل طاقات البشر واستعداداتهم، في الوقت الذي يرفع هذه الطاقات وهذه الاستعدادات إلى الأفق اللائق بخليفة الله في الأرض، وبالكائن الذي كرَّمه الله على كثير من عباده ونفخ فيه من روحه)[1]، ولهذه الأهمية تنزلت الأحكام الشرعية، التي عالجت في هذه السورة موضوع منع الحلال والتوقف عن الأخذ به، فكانت السورة على موعد مع هذا الحدث حيث أن الاسم (التحريم) ارتبط بقوة العلاقة بين الاسم والموضوع مما نتج عن ذلك إشارات كثيرة توحي إلى أهمية الإستفادة من دلالات هذه الآيات، التي جاءت بالدروس والعبر الكثيرة سواء من

(١) في ظلال القرآن (ج٦/ ص: ٣٦٠٩).

الأحوال العامة في معاملة المسلمين لبعضهم البعض وكيفية تنفيذ الأحكام الشرعية التي حددت مسار حياتهم، وكفارات لبعض أيمانهم - أو الأحوال الخاصة في النهي عن عدم إفشاء الأسرار الزوجية أو عدم مضايقة الزوجات، فينتج عن ذلك مجموعة من المواعظ التي تربى بها الأهل بعضهم لبعض ويعضد الناس عموماً بعضهم بعضاً.

فالحرام بيِّن والحلال بيِّن وبينهما أمور متشابهات لا يعلمهن كثير من الناس، والقرآن عظَّمَ من أمر التحريم بلا دليل: ﴿**قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق...**﴾[1].

وجعلت الشريعة أن الأصل في الأشياء الإباحة، والتحريم طارىء عليها، وكان السلف رضي الله عنهم يتأدبون بهذا الأدب الرفيع فلا يكاد علماؤهم يحرمون شيئاً، إلا إذا تبيَّن لهم الدليل القاطع وربما استخدموا كلمة المكروه أو أنهم لا يحبون ذلك أو غير هذا الأمر أحبُّ إلينا، كما نرى كثيراً في عبارات الإمام مالك رحمه الله تعالى وغيره، فالتحريم الذي فشا عند كثير من جهلا الأمة بلا دليل إنما هو افتراءٌ خطير يتحاشاه عقلاء الناس خشية الوقوع في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم، ولأهمية قضية التحريم بلا دليل جعل ذلك عنواناً لسورة كريمة من سور القرآن الكريم لتكون معلماً بارزاً أمام المفتين والدعاة والعلماء، والله أعلم.

---

(١) آية [٣٢] سورة الأعراف.

الفصل الثاني

دلالات الاسماء في الأخلاق

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: سورة التوبة.

المبحث الثاني: سورة المطففين.

المبحث الأول

سورة التوبة

الآية (١١٧)

وتشتمل على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : فضلها وأهميتها.

المطلب الثاني : أسماؤها.

المطلب الثالث : اسم السورة (دلالات وإشارات).

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رءوف رحيم﴾(١١٧).

التفسير:

قوله تعالى:﴿لقد تاب الله على النبي﴾ قال المفسرون: (تاب عليه من إذنه، للمنافقين في التخلف. وقال أهل المعاني: هو مفتاح الكلام، وذلك أنه لما كان سبب توبة التائبين، ذكر معهم كقوله :﴿فإن لله خمسة وللرسول﴾(١).

قوله تعالى:﴿الذين اتبعوه في الساعة العسرة﴾ قال الزجاج:هم الذين اتبعوه في غزوة تبوك.

والمراد بساعة العسرة: وقت العسرة لأن الساعة تقع على كل زمان، وكان في ذلك الوقت حر شديد، والقوم في ضيقة شديدة، كان الجمل بين جماعة يتعاقبون عليه، وكانوا في فقر ، وربما اقتسم التمرة اثنان، وربما مصَّ التمرة جماعة ليشربوا عليها الماء، وربما نحروا الإبل فشربوا من ماء كروشها من الحر)(٢).

المطلب الأول: فضلها وأهميتها:

سورة التوبة من (السور المدنية بالاتفاق وعدد آياتها مائة وتسع وعشرون عند الكوفيين، وثلاثون عند الباقين)(٣).

وهذه (السورة آخر السور نزولاً عند الجميع، نزلت بعد سورة الفتح.

---

(١) آية [٤١] سورة الأنفال.

(٢) زاد المسير في علم التفسير لأبي الفرج ابن الجوزية (ج٣/ ص: ٥١١) ط، الرابة، المكتبة الاسلامية ١٩٩٧م.

(٣) الإتقان في علوم القرآن (ج١/ ص: ٧٣)، بصائر ذوى التميز (ج١/ ص: ٢٢٧).

في قول عن جابر بن زيد: فهي السورة الرابعة عشر بعد المائة في عِداد نزول سور القرآن، وروي أنها نزلت في أول شوال سنة تسع، وقبل آخر ذي القعدة سنة تسع، بعد خروج أبي بكر الصديق رضي الله عنه من المدينة للحجة التي أَمَّرَهُ عليها النبي ﷺ، وقيل قبيل خروجه)(١).

فضلها:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **«إنه ما نَزَلَ عليَّ القرآن إلا آية.. آية، وحرفاً حرفاً، خلا سورة براءة، وقل هو الله أحد، فإنهما أُنزلتا ومعهما سبعون ألف صف من الملائكة، كلٌّ يقول: استوصوا بنبي الله خيراً»**(٢).

أما أهميتها:

فإن سورة (التوبة) هي السورة التي أعلنت فصل الخطاب بين أولياء الله وبين أولياء الشيطان في يوم مشهود وهو يوم الحج الأكبر.

فهذه السورة تناولت أحداث مختلفة وضربت بحظ وافر في تبيان أسس المجتمع وشروطه وحدوده ودَوْلته التي لايشاركه فيها مشرك. وعلى هذا الأساس كان للآية سياق خاص طويل يعبر عن ضوابط شرعية كثيرة، فجاء مقصود السورة إجمالاً: (وسم قلوب الكفار بالبراءة ورد العهد عليهم، وأمان مستمع القرآن، وقهر أئمة الكفر وقتلهم ومنع الأجانب من عمارة المسجد الحرام، وتخصيصها بأهل الإسلام، والنهي عن موالاة الكفار، والإشارة إلى غزوة حنين ومنع المشركين من دخول الكعبة والحرم، وحضور الموسم، والأمر بقتل كفرة أهل الكتاب وضرب

---

(١) التحرير والتنوير (ج١٠/ ص: ٩٧).

(٢) بصائر ذوي التمييز (ج١/ ص: ٢٣٦ - ٢٣٧).

الجزية عليهم، وتقبيح قول اليهود والنصارى، في حق عُزَيز وعيسى عليه السلام، وتأكيد رسالة الرسول الصادق المحق، وعيب أحبار اليهود في أكلهم الأموال بالباطل، وعذاب مانعي الزكاة وتخصيص الأشهر الحرم من أشهر السنة، وتقديم الكفار شهر المحرم، وتأخيرهم إياه، والأمر بغزوة تبوك وشكاية المتخلفين عن الغزوات، وخروج النبيﷺ، مع الصديق رضي الله عنه من مكة إلى الغار بجبل ثور، واحتراز المنافقين من غزوة تبوك، وترصدهم وانتظارهم نكبة المسلمين، ورد نفقاتهم عليهم وقَسْم الصدقات على المستحقين، واستهزاء المنافقين بالنبيﷺ، وبالقرآن، وموافقة المؤمنين بعضهم بعضاً، ونيلهم الرضوان الأكثر بسبب موافقتهم، وتكذيب الحق للمنافقين في إيمانهم ونهى النبيﷺ عن الاستغفار لأحيائهم ومن الصلاة على أمواتهم وعيب المقصرين على اعتذارهم بالأعذار الباطلة وذم الأعراب في صلابتهم وتمسكهم بالدين الباطل، ومدح بعضهم بصلابتهم في دين الحق، وذكر السابقين من المهاجرين والأنصار، وذكر المعترفين بتقصيرهم وقبول الصدقات من الفقراء ودعائهم على ذلك، وقبول توبة التائبين، وذكر بناء مسجد ضرار للغرض الفاسد، وبناء مسجد قُباء على الطاعة والتقوى، ومبايعة الحق تعالى عباده باشتراء أنفسهم وأموالهم ومعاوضتهم عن ذلك بالجنة، ونهى إبراهيم الخليل من استغفار، وقبول توبة المتخلفين المخلِّص من غزوة تبوك، وأمر الناس بطلب العلم والفقه في الدين، وفضيحة المنافقين وفتنتهم في كل وقت، ورأفة الرسولﷺ، ورحمته لأمته وأمر الله نبيه بالتوكل عليه في جميع أحواله)[1].

---

(١) بصائر ذوي التمييز (ج١/ ص: ٢٢٩ - ٢٣٠).

المطلب الثاني: أسماؤها.

سورة (التوبة) من السور التي شاعت بأسماء كثيرة واشتهرت باسم واحد قُيد في كتب القرآن والسنة.

وجاء في أسمائها أن (لهذه السورة ثمانية أسماء).

الأول: (براءة) لافتتاحها بها.

الثاني: (التوبة) لكثرة ذكر التوبة فيها.

الثالث: (الفاضحة) لأن المنافقين افتضحوا عند نزولها.

الرابع: (المبعثرة) لأنه تبعثر عن أسرار المنافقين.

الخامس: (المقشقشة) لأنها تبرىء المؤمن، فتنظفه من النفاق وهذا عن ابن عمر.

السادس: (البحوث) لأنها تبحث عن نفاق المنافقين وهذا عن أبي أيوب الأنصاري.

السابع: (سورة العذاب) لما فيها من انعقاد الكفار بالعذاب مرة بعد مرة.

الثامن: (الحافرة) لأنها تحفر قلوب أهل النفاق)[1].

وهي (تسمي سورة التوبة في كلام بعض السلف في مصاحف كثيرة).

ووجه التسمية: أنها وردت فيها توبة الله تعالى عن الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك وهو حدث عظيم)[2].

---

(١) بصائر ذوي التمييز، لطائف الكتاب العزيز (ج١/ ص: ٢٢٧ - ٢٢٨).

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور (ج١/ ص: ٩٥).

المطلب الثالث: اسم السور (دلالات وإشارات).

إن لسورة (التوبة) عنوان معنوي يدل على عمل أخلاقي استحق فاعله العفو والغفران، فكان هذا العنوان واضح الأثر على مدى علاقة السورة باسمها ومدى تأثير دلالات الأسماء في الأخلاق.

فسورة التوبة سورة عظيمة وهي من السبع الطوال لهذا نرى محتوياتها كثيرة وإشاراتها متعددة ودلالاتها لاتنتهي لما فيها من دلائل الأحكام وفضائل الأخلاق، لأن الناظر في هذه السورة وعلى مادار فيها يجد أن هذه السورة حوت مواضيع كثيرة ولكنها ركزت على المنافقين وكذبهم على الله ورسولهﷺ، وأثنت على الذين صدقوا الله ورسولهﷺ، في اعتذارهم لما تخلفوا عن الجهاد، ومن جهة أخرى نجد السورة عالجت قضية أخلاقية أخرى وهي طلب الجوار وأن المستجير له حق الأمان وعدم الخيانة لأن الخيانة عمل غير أخلاقي، ونجد هنا أن الإسلام يعالج قضايا خطيرة في حاجة إلى تريث واستماع مما يدل على سماحته في معاملته مع الكفار لأن الله وضح في كتابه (وإن أحد من المشركين استجارك، وطلب جوارك وحمايتك فاقبل جواره حتى يسمع كلام الله ويتدبره ويتفهم معانيه، ويقف على أسراره العالية فإن الإنسان إذا خرج من بيئة العناد والضلال قد يشرح الله قلبه للإسلام، ثم أبلغه مكان أمنه، وأوصله للدار التي يأمن فيها إن أسلم أو لم يسلم، ثم قاتله إن استوجب حاله القتال من غير غدر ولاخيانة.

وهذا من مكارم الأخلاق التي دعا إليها الرسول الأعظمﷺ، وتنبيه المسلمين جميعاً أن يعملوا على نشر الدين ومبادئه حتى يسمعها أولئك الذين لايعرفون عن محاسن الدين الإسلامي شيئاً)(١).

(١) التفسير الواضح (ج١/ ص: ٨٥٦).

لأن الدين هو الأخلاق كما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»(١)،

ففي هذه السورة نجد دلالات الأخلاق في كل ناحية من نواحي مواضع هذه السورة على مختلف طولها الذي تعرض لجوانب كثيرة من الأحكام أو الأخلاق التي كشف بها عن أعمال المنافقين السيئة والتي خالفت أدنى درجات الصدق والأخلاق.

السورة أعلت من شأن الاعتراف الذي يهدم الاقتراف وسفهت المخادعين لأنفسهم الذين ظنوا أنهم يخدعون الله تعالى وهو خادعهم، الذين يحلفون كذباً، وأوصت بالصدق فالذين اعترفوا بذنوبهم وسألوا الله التوبة عليهم جاءت توبتهم مثل فلق الصبح في آيات تتلى أبد الدهر، فالتوبة راحة للنفس لتستأنف العمل من جديد، وتفتح صفحة بيضاء، لأن الذنب يتعب الإنسان ويكبل خطواته ويقض مضجعه ويدنس ثوبه، فالتائب إلى الله معترف بجبروته وسلطانه، ولذلك كان النبي ﷺ يكثر من الاستغفار هو توبة لاشك فيها كما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة..»(٢).

والتوبة أول مقامات السلوك عند العلماء وهي التي تغسل الذنوب وتريح القلوب، ولهذا جعلت عنواناً لسورة كريمة من القرآن الكريم حتى يسمو الناس بهذا المعنى. والذي يقرأ سيرة الثلاثة الذين خُلِّفوا الوارد ذكرهم في السورة يشعر بمدى الضيق الذي كانوا فيه حين ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم

---

(١) رواه البزار في المسند، كما في مجمع الزوائد(٩/ ١٥).

(٢) رواه البخاري في صحيحه باب استغفار النبي ﷺ في اليوم والليلة.

أنفسهم، ثم لما تاب عليهم سارع الناس إلى تبشيرهم، لذا كان اختيار لفظ التوبة اسماً للسورة من بين كثير من الألفاظ الواردة فيه دليل على التنصيص على عظمة التوبة، وذلك لأن القرآن الكريم جعل التوبة والاستقامة عليها في أول طريق السلوك ثم الوصول إلى غاية المعرفة الشعورية التي قوامها الرضوان بأن يرضى العبد بالله ورسوله ﷺ، ويرزق الرضوان من الله ورسوله ﷺ.

وخلاصة القول أن اسم السورة أعطى المسلمين التوبة لأنها الأمان لهم من المعاصي والذنوب التي ترتكب، ومن لم يحقق توبة ولم تكن له غاية فهو في السبل الشيطانية، وإن ادعى باسم واحد وهو المسلم أو المؤمن فهي دعاوى كما قيل الدعاوى مالم تقيموا عليها . . . بينات أصحابها أدعياء.

المبحث الثاني

سورة المطففين

الآيات (١ - ٦)

وتشتمل على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : فضلها وأهميتها.

المطلب الثاني : أسماؤها.

المطلب الثالث : اسم السورة (دلالات وإشارات).

قال تعالى: ﴿ ويل للمطففين[١] الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون[٢] وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون[٣] ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون[٤] ليوم عظيم[٥] يوم يقوم الناس لرب العالمين[٦] ﴾.

التفسير:

﴿ ويل للمطففين ﴾ هذه السورة مكية، وقيل مدنية، وسبب نزولها أنه كان بالمدينة رجل يكنى أبا جهينة له مكيالان، يأخذ بالأوفى ويعطي بالأنقص فنزلت، والمناسبة بين السورتين ظاهرة لما ذكر السعداء والأشقياء ويوم الجزاء وعظم من شأنه ذكر ما أعد لبعض العصاة وذكر بأخس ما يقع من المعصية وهي التطفيف الذي لا يكاد يجدي شيئاً في تثمير المال وتنميته.

﴿ إذا اكتالوا على الناس ﴾ قبضوا منهم.

﴿ وإذا كالوهم أو وزنوهم ﴾ اقبضوهم. "وكال ووزن" مما يتعدى بحرف الجر فتقول: كلت لك ووزنت لك.

﴿ ألا يظن أولئك ﴾ توقيف على أمر القيامة وإنكارهم عليهم في فعلهم ذلك.

﴿ ليوم عظيم ﴾ وهو يوم القيامة و"يوم" ظرف، العامل فيه مقدر أي يبعثون يوم يقوم الناس، ويجوز أن يعمل فيه مبعوثون ويكون معنى "ليوم" أي يوم الحساب وصفه رب العالمين دليل على عظم هذا الذنب وهو التطفيف)[١].

(١) تفسير النهر الماد من البحر المحيط (ج٣/ ١٢٣٤).

المطلب الأول: فضلها وأهميتها.

سورة (المطففين) من (السور المكية وعدد آياتها ست وثلاثون)(١).

- وهي (الثالثة والثمانون من سور القرآن الكريم، مكية وعدد آياتها (٣٦))(٢).

- وهي (معدودة السادسة والثمانين في عداد نزول السور، نزلت بعد سورة العنكبوت، وقبل سورة البقرة، وعدد آياتها ست وثلاثون)(٣).

فضلها:

لم نقف على نص خاص بها وإنما هي من عموم القرآن الكريم الذي لا تخلو آية منه ولا كلمة من فضل ومنّة ونور ورحمة، ومن هداية وشفاء حتى قيل: خذ من القرآن ما شئت لما شئت.

أما أهميتها:

فلقد نالت سورة (المطففين) أهمية مباشرة لأنها تحدثت عن التعامل التجاري الذي يحتاج أولاً إلى الأخلاق الحميدة في البيع والشراء، وكما بين الرسول ﷺ، في سماحة البيع والشراء.

لهذا جاءت (هذه السورة تصور قطاعاً من الواقع العملي الذي كانت الدعوة تواجهه في مكة، إلى جانب ما كانت تستهدفه من إيقاظ القلوب، وهز المشاعر وتوجيهها إلى هذا الحدث الجديد في حياة العرب وفي حياة الإنسانية: وهو الرسالة السماوية للأرض، وماتضمنته من تصور جديد شامل محيط.

---

(١) الإتقان في علوم القرآن (ج١/ ص: ٧٣)، بصائر ذوي التمييز (ج١/ ص: ٥٠٦).
(٢) نظم الدرر (ج٢١/ ص: ٣١٠)
(٣) التحرير والتنوير (ج٣٠/ ص: ١٨٨).

وهذا القطاع من الواقع العملي تصوره السورة في أولها، وهي تهدد المطففين بالويل في اليوم العظيم، كما تصوره في ختامها وهي تصف سوء أدب الذين أجرموا مع الذين آمنوا)[1].

فهذا التصور للحياة القائمة عند نزول السورة هو نفسه المجتمع البشري في أي زمان ومكان وأن حصول التطفيف يقع عندما تنزوي الأخلاق خلف مظاهر الطمع والجشع والظلم والرغبة في أخذ أموال الناس بالزيادة وردها إليهم بالخسران فَحُكِمَ على من اتخذ هذا المنهج بالذل في الدنيا والخُسران في الآخرة، فجاءت المطففين تعالج هذا الخلل وتصحيح مسار المجتمع في كل وقت وألاّ تتغير فيه المكاييل، ليكون المجتمع دائماً محافظا على أخلاقيات التعامل بين فئات البشر ويكون الإحسان والصدق عادة أساسية في أخلاقيات البيع والشراء.

---

(٤) في ظلال القرآن (ج٦/ ص: ٣٨٥٤).

المطلب الثاني: أسماؤها.

سورة المطففين من السور التي اشتهرت باسم واحد.

ولقد: (سميت بالمطففين لمفتتحها)[1].

ولقد: سميت هذه السورة في كتب السنة وفي بعض التفاسير (سورة ويل للمطففين) وكذلك ترجمها البخاري[2] في كتاب التفسير في صحيحه والترمذي[3] في جامعه).

وسميت في كثير من كتب التفسير والمصاحف (سورة المطففين) اختصاراً)[4].

ـ و(اسمها التطفيف لأن أدل مافيها على ذلك)[5].

---

(١) الإتقان في علوم القرآن (ج١/ ص: ٧٣)، بصائر ذوي التمييز (ج١/ ص: ٥٠٦).
(٢) صحيح البخاري.
(٣) الترمذي.
(٤) التحرير والتنوير (ج٣٠/ ص: ١٨٧).
(٥) نظم الدرر (ج٢١/ ص: ٣١٠).

المطلب الثالث: اسم السورة (دلالات وإشارات).

سورة (المطففين) اسم حمل معنى التعامل الأخلاقي في الأخذ والعطاء فدلت محتويات السورة على اسمها الذي أشار إلى دلالات الأسماء في الأخلاق والتي من أهم مرتكزاتها التعامل بين الناس في الأخذ والعطاء سواء عن طريق التجارة والقروض أو غيرهما.

لهذا نجد سورة المطففين امتازت بذكر فضائل العمل الصالح الذي رأسه الأخلاق وأسفله (التطفيف) الذي لقب به المطففين (الذين ينقصون المكيال والميزان ويبخسون حقوق الناس وفي ذلك تنبيه على أن أصل الآفات الخُلق السيء وهو حب الدنيا الموقع في جمع الأموال من غير وجهها ولو بأخس الوجوه)(١).

فجاءت هذه السورة بدلالات عظيمة توجه المجتمع على أهمية حسن الخلق وضربت للأمة الأمثال بهذه السورة التي جعلت فيها مقارنة بين الفجار الذين يصلون بفجورهم أسفل سافلين وبين الأبرار الذين يصلون نتيجة أعمالهم الصالحة أعلى الجنان في عليين.

وجاءت السورة بإشارات كثيرة توضح أن (بعض النفوس قد مُلئت بالشح والأنانية وحب الذات، طغى عليها حب المال طغياناً شديداً، فتراه إذا كان له حق عند غيره أخذه كاملاً غير منقوص، وطفف في الكيل أو الميزان، وإذا كان لغيره حق عنده نقصه في الكيل والميزان، الويل لهؤلاء، ثم الويل لهم، فإن عملهم هذا لون من الفجور والآثام والأنانية يحاربها الإسلام)(٢).

---

(١) نظم الدرر (ج٢١/ ص: ٣١١).
(٢) التفسير الواضح (ج٣/ ص: ٨٣٧).

والشريعة الإسلامية جاءت لتصلح ما أفسده الهوى البشري الذي عاش فترة من الزمن دون ضوابط شرعية ولا رسالة سماوية، تصلح حال البشرية لأن أهل الأرض من البشر لايصلحهم إلا أمر السماء وهو تنزيل الرسالات والرسل. فجاءت شريعة الإسلام مع خاتم الرسل ووضعت منهاج الحياة للبشرية إلى قيام الساعة. فَبَعَد هذا الدستور السماوي لا تحتاج البشرية لدعوة جديدة لأن دعوة خاتم الرسل موجودة ومحفوظة معهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وجاء الحديث في سورة المطففين ليبين تعامل آخر في موضوع دلالات الأسماء في الأخلاق وهو التعامل الذي يحتاجه البشر على مختلف أجناسهم وأوضاعهم في معيشتهم وضرورياتهم المادية. ونوهت السورة على عدم التلاعب بالموازين والمكاييل لأن التلاعب بها يدل على انحراف الأخلاق وعدم مصداقية التعامل، فدلت السورة في محتوياتها على أهمية الالتزام بمناهج الشريعة، وأن عدم التقيد بالأوامر والنواهي له عواقبه الوخيمة وعذابه الأليم.

والتطفيف بعد ذلك ليس قاصراً على الموزون والمكيل، بل يدخل فيه سائر الحقوق والواجبات فالذي يؤدى واجبه كاملاً ولا ينال حقه كاملاً وقع التطفيف في أجره، والذي يؤدى واجبه ناقصاً ثم يتقاضى أجره كاملاً وقع التطفيف في حق غيره ونال ثمرة دون أجر فاستحق بذلك اللوم والجزاء الذي يناسبه.

والناظر في مسيرة الأمم وأسباب تدهور أقوالها يجد أن التطفيف في الأعمال والحقوق من أبرز سماتها وأخص صفاتها لأن التطفيف من ألوان الظلم وضروب الجور التي تسرع في هدم الأمم وإزالة الدول.

كما أن العدل والقسط هو من ركائز البقاء والدوام، به قامت السماوات

والأرض وبه يستقيم أمر الخلق ولأهمية هذا كله رأينا هذا الاسم «المطففين» عنواناً لهذه السورة الكريمة لفتاً للأنظار وتلافياً للأخطار، لأنها تعالج داءً كبير اًفي البشرية يكون سبباً في الدمار، لأن تطفيق المكيال والميزان أصبح داء العصر وتشارك التجار مع الحكام ومعاوني الحكام في أغلب أنحاء العالم الإسلامي والإنساني مما أدى إلى اختلال الموازين والمعايير التجارية، لأن التجارة تعتمد في الوقت الحاضر على الجاه المركب بشراكة الحاكم مع التاجر أو كون التاجر هو الحاكم بحيث تختل المقاييس يومياً بنقص الوزن ونقص الجودة ويزداد السعر، والنظام الاقتصادي الطاغي يحمي ذلك كله لهذا جاء التعبير بالويل في السورة لأنها تكلمت عن أخطر الأمراض الاقتصادية التي باختلالها تختل الموازين الفكرية والتربوية وسائر العلاقات الإنسانية، لذا وجب العمل على إصلاح حال البشر كما يريد الله ومايستمد من دلالات وإشارات من هذه المعاني وغيرها. والله أعلم.

الفصل الثالث

دلالات الأسماء في السياسة

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول : سورة الأحزاب.

المبحث الثاني : سورة الشورى.

المبحث الأول

سورة الأحزاب

الآيات (٢٠ - ٢١)

وتشتمل على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : فضلها وأهميتها.

المطلب الثاني : أسماؤها.

المطلب الثالث : اسم السورة (دلالات وإشارات).

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: ﴿يحسبون الأحزاب لم يذهبوا وإن يأت الأحزاب يودّوا لو أنهم بادون في الأعراب يسألون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلا[٢٠] لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً[٢١]﴾.

التفسير:

﴿يحسبون الأحزاب لم يذهبوا﴾، أي: يحسب المنافقون من شدة خوفهم وجبنهم أن الاحزاب بعد انهزامهم وذهابهم لم يذهبوا، ﴿وان يأت الأحزاب﴾ أي: يرجعوا إليهم كرة ثانية للقتال، ﴿يودوا لو أنهم بادون في الأعراب﴾ أي: يتمنوا لو كانوا في بداية الأعراب من خوفهم ﴿يسألون عن أنبائكم﴾ يسألون عن أخباركم، فيقولون: ما فعل محمد وأصحابه، ليعرفوا حالكم بالاستخبار لا بالمشاهدة، فرقا وجبنا، وقيل: بل يسألون شماتة المسلمين وفرحا بنكباتهم، ﴿ولو كانوا فيكم﴾ أي: لو كانوا يشهدون القتال معكم، ﴿ما قاتلوا إلا قليلاً﴾ أي: فيه قولان:

أحدهما: إلا رمياً بالحجارة، قاله ابن السائب.

والثاني: إلا من غير احتساب، قاله مقاتل.

ثم عاب من تخلف بالمدينة بقوله: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ أي: قدوة صالحة. والمعنى: لقد كان لكم به اقتداء لو اقتديتم به في الصبر [معه] كما صبر يوم أُحُد حتى كُسرت رباعيته وشج جبينه وقتل عمه، وآساكم مع ذلك بنفسه.

وقرأ عاصم: «أُسوة» بضم الألف؛ والباقون بكسر الألف؛ وهما لغتان، قال

الفراء: أهل الحجاز وأسد يقولون: «إسوة» بالكسر، وتميم وبعض قيس يقولون: «أُسوة» بالضم.

وخص الله تعالى بهذه الأُسوة المؤمنين، فقال: ﴿لمن كان يرجو الله واليوم الآخر﴾

والمعنى: أن الأسوة برسول الله إنما كانت لمن كان يرجو الله و[اليوم الآخر])[1].

المطلب الأول: فضلها وأهميتها:

سورة (الأحزاب) من السور (المدنية بالاتفاق وعدد آياتها ثلاث وسبعون[2]. وهي (الثالثة والثلاثون من سور القرآن الكريم، مدنية وعدد آياتها ثلاث وسبعون)[3].

وهي (التسعون في عداد السور النازلة من القرآن الكريم، نزلت بعد سورة الأنفال، وقبل سورة المائدة)[4].

فضلها:

لم نقف على نص خاص بها وإنما هي من عموم القرآن الكريم الذي لا تخلو آية منه ولا كلمة من فضل ومنّة ونور ورحمة، ومن هداية وشفاء حتى قيل: خذ من القرآن ما شئت لما شئت.

---

(١) زاد المسير (ج٦/ ص: ٣٦٧).
(٢) الإتقان في علوم القرآن (ج١/ ص: ٧٣)، بصائر ذوي التمييز (ج١/ ٣٧٧).
(٣) نظم الدرر (ج١٠/ ص: ٢٧٣).
(٤) التحرير والتنوير (ج٢١/ ص: ٢٤٥).

أما أهميتها:

فإن سورة (الأحزاب) من السور التي لمعت انتصاراتها بالمدينة وهي السورة التي لاتنسى أحداثها سواء من المسلمين أو مشركي العرب واليهود، لأن (الأحزاب) اسم لما يذكر يشير إلى أهمية كبيرة جداً على من شهد تلك المواقف.

ولسورة الأحزاب إشارات عظيمة في دلالات الأسماء في السياسة لأنها تصف واقعة حقيقية جرت أحداثها أولاً عن طريق الحوارات الجانبية والتنسيق السري بين أطراف مختلفة لمقصد واحد، والذي يسمى في عصرنا اليوم بالطرق السياسية.

وجرت أهمية أحداث هذه السورة في هذه التنظيمات السياسية، ودليل: ذلك لما (رأى اليهود أن القبائل العربية لاطاقة لها بحرب النبيﷺ، وصحبه متفرقين، أخذوا يجمعون الجموع ويعقدون الأحلاف ويحزبون الأحزاب حتى ترمى العرب المشركون الإسلام عن قوس واحد يضربونه ضربة رجل واحد، فيمحونه من الوجود ويستريحون، وكان حيي ابن أحطب وغيره من قادة اليهود يقومون بهذا فألبوا قريشاً وغطفان وبني مرة، وأشجع وغيرها، وخرجت تلك القبائل بقيادة أبي سفيان لقريش، عُيينة بن حصن على غطفان والحارث بن عوف على بني مرة، ومعمر على قبيلة أشجع، ولما سمع رسول اللهﷺ باجتماعهم تشاور هو وصحبه فيما يعملون، فأشار سلمان الفارسي بحفر الخندق حول المدينة مما يلي السهل، وقد اشترك المسلمون، على رأسهم النبيﷺ في حفر الخندق بهمة ونشاط، وإذا استعصت عليهم صخرة جاء النبيﷺ ففتقها بفأسه)[1].

---

(١) التفسير الواضح (ج٣/ ص: ٨٠).

المطلب الثاني: أسماؤها.

هذه السورة من السور التي اشتهرت باسم واحد.

و(سميت بالأحزاب، لاشتمالها على قصة الأحزاب في قوله: ﴿يحسبون الأحزاب لم يذهبوا...﴾[1]. [2].

و(هكذا سميت سورة الأحزاب) في المصاحف وكتب التفسير والسنة، وكذلك رويت لتسميتها عن ابن عباس وأبي بن كعب أسانيد مقبولة، ولايعرف لها اسم غيره، ووجه التسمية أن فيها ذكر أحزاب المشركين من قريش ومن تحزب معهم أرادوا غزو المسلمين في المدينة فرد الله كيدهم وكفى الله المؤمنين القتال)[3].

---

(١) الأية [٢٠] الأحزاب.

(٢) بصائر ذوي التمييز (ج١/ ص: ٣٧٧).

(٣) التحرير والتنوير (ج٢١/ ص: ٢٤٥).

المطلب الثالث : اسم السورة (دلالات وإشارات) .

(الأحزاب) عنوان يدل على مجموعة تحزبت وتجمعت لغرض ما، ولهذا جاء العنوان في سياق الآيات التي دلت مضامينها على مدى علاقة السورة باسمها الذي أشار إلى دلالات الأسماء في السياسة .

فسورة الأحزاب لها وضع ميزها عن غيرها لأنها تناولت فترة زمنية عصيبة مرت على المجموعة المسلمة القليلة والتي ليس لها قوة عسكرية أو اقتصادية لينتج عنها قوتها السياسية في العلاقات الخارجية مما جعل هذه السورة تشق طريقاً جديداً للمسلمين تبرز من خلاله قوة العلاقة بين اسم السورة ومضمونها وماحوت من دلالات تفيد حياة الأمة الإسلامية على منهاج الشريعة وحتى لو كان فيه من مخالفة لعاداتهم وتقاليدهم، وعلى إثر ذلك التغير أظهرت لنا السورة إشارات جديدة في كيفية تكوين الدولة الحديثة وسماتها السياسية في تنظيم العلاقات الداخلية والخارجية .

لهذا تحدثت السورة عن (غزوة الأحزاب) وبيان الهول الشديد الذي أصاب المسلمين بسببها، وكيف قابل المؤمنون شدة البلاء بقوة الإيمان وجميل الصبر والمصابرة وكيف أن المنافقين واليهود غلبت عليهم نزعات الجبن والتردد والخيانة والغدر، ففارقوا رسول الله ﷺ، ولاذوا بالفرار، وكيف أنهى الله تلك الغزوة بهتك ستر المشركين وافتضح أمرهم، وتثبيت قلوب المسلمين على الحق حتى وافاهم بنصره العزيز وكفاهم القتال، وكيف أنزل اليهود الذين ظاهروهم من حصونهم، وقذف في قلوبهم الرعب ومكن رسول الله ﷺ من قتل رجالهم، وسبى نسائهم

وصبيانهم وهم يهود بني قريظة الذين نقضوا عهد رسول الله ﷺ وقابلوا ما كانوا ينعمون به في جواره من إحسان ووفاء بالغدر والخيانة(١).

ومن جهة أخرى نجد أن السورة (تتولى جانباً من إعادة تنظيم الجماعة المسلمة وإبراز تلك الملامح وتثبيتها في حياة الأسرة والجماعة، وبيان أصولها من العقيدة والتشريع، كما تتولى تعديل الأوضاع والتقاليد أو إبطالها وإخضاعها في هذا كله للتصور الإسلامي الجديد.

ونقطة الاتصال في سياق السورة بين تلك الأوضاع والنظم وهاتين الغزوتين (الأحزاب، وبني قريظة) وما وقع فيهما من أحداث: هي علاقة هذه وتلك بمواقف الكافرين والمنافقين واليهود، وسعي هذه الفئات لإيقاع الاضطراب في صفوف الجماعة المسلمة، سواء عن طريق الهجوم الحربي والإرجاف في الصفوف والدعوة إلى الهزيمة، أو عن طريق خلخلة الأوضاع الاجتماعية والآداب الخلقية، ثم ما نشأ من الغزوات والغنائم من آثار في حياة الجماعة المسلمة تقتضي تعديل بعض الأوضاع الاجتماعية والتصورات الشعورية وإقامتها على أساس ثابت يناسب تلك الآثار التي خلفتها الغزوات والغنائم في واقع الجماعة المسلمة)(٢).

وعلى هذا تتضح ملامح السورة ومقصدها وعلاقتها باسمها الذي جاء من ضمن السور التي تحدثت عن دلالات الأسماء في السياسة، وسورة الأحزاب تطرقت في عنوانها إلى هذا النوع وذلك عندما ذكرت تجمع الأحزاب، وهذا التجمع يقوم أولاً على تحالفات عسكرية عن طريق السياسيين الذين يرسمون الطرق

(١) تفسير سورة الأحزاب (ص: ٨) للشيخ محمد الأباصيري خليفة مكتبة المنار الإسلامية الطبعة الأولى ١٩٨٥م.

(٢) في ظلال القرآن (ج٥/ ص: ٢٨١٨).

السياسية في التغلب على أعدائهم، فهذه السورة نبهت المسلمين إلى أهمية إصلاح الوضع السياسي الداخلي والخارجي وجاء القرآن الكريم بهذا ووقعت هذه الأحداث ليأخذ منها المسلمون الإشارات البعيدة لتكوين الدولة الإسلامية العظمى التي تقوم بقيادة العالم في سياسة واضحة وعلاقات صريحة تقيد المعاملات بين دولة الإسلام والدول الأخرى دون مكائد أو دسائس من خلال سياسة واضحة، واسم الأحزاب يفيدنا أن الصراع بين حزب الحق الذي هو حزب الله وجنده، وأحزاب الباطل قضية لا تنتهي إلا بمصرع الباطل وذهاب ريحه، وإذا ظن المسلمون يوماً أنهم سينعمون بالهدوء والسلام، وهم على إسلامهم دون كيد، فإنما ظنوا المستحيل، لأن أحزاب الباطل إنما تحركها أحقاد الكفر على أهل الإسلام ﴿ ... **ودوا ما عنتم قد بدت البغضآء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر ...** ﴾[1]،

﴿ ... **ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ...** ﴾[2]، إذن فقضية الأحزاب قضية مستمرة ما استمر الكفر والإيمان وليست حدثاً في التاريخ مضى وانقضى، يلزم المسلمين الانتباه إليها وأخذ العدة والحذر من تكرارها في كل زمان ومكان، وجعل هذا العنوان المثير (الأحزاب) للخوف والرهبة عنواناً للسورة عن قوس واحدة، وقد تكرر هذا التاريخ الإسلامي كثيراً متمثلاً في جموع التتر والصليبيين ويتمثل الآن في أمم الكفر من شرق الأرض وغربها يحيطون بالأمة المسلمة كما أحاطت الأكلة بقصعتها.

﴿ **ولما رءا المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً** ﴾[3].

---

(١) آية [١١٨] سورة آل عمران.

(٢) آية [٢١٧] سورة البقرة.

(٣) آية [٢٢] سورة الاحزاب.

فالأحزاب إذن قضية مستمرة وخطر داهم يجب على أمة الإسلام - وهي تعي سياسة دولتها الخارجية - أن لا تغفل عن هذا الكيد المستمر، والقرآن الذي هو دستور الأمة المسلمة يضع هذا الاسم عنواناً واسماً لسورة من سوره الكريمات، وكأن على أن الأصل في العلاقة بين الإسلام والكفر قائمة على الصراع لا التعايش السلمي كما يحلم الحالمون ﴿هذا ما وعدنا الله ورسوله، وصدق الله ورسوله﴾. صراع دائم بين حزب الله وأحزاب الكفر من كل جنس ولون، فيأتي ذكر اسم هذه السورة بالأحزاب لمناسبة غزوة الأحزاب التي أظهرت التحالف بين قوى الكفر المشركة الوثنية وبين ممن يدعى أنه على شريعة وهم اليهود. وليدلنا ذلك على أن الحزبية السرية بين قوى الكفر تخطط لمحاربة الإسلام، وهو عمل إجرامي ولكن لا يقوى ظهوره مالم تدعمه حزبية خفية داخل المجتمع المسلم، لأن الله سبحانه حينما قص قصة الأحزاب لم يذكر أدوارهم وإنما عرضها قصة مقترنة بأحوال حزبية لتكون أوقع في النفوس وأكثر تبليغاً للدروس العلمية حتى ينتبه المسلمون من غلفتهم لأخطار التحالفات السرية ضدهم من أعداء الأمة الإسلامية. والله أعلم بالمراد.

المبحث الثاني

سورة الشورى

الآيات (٣١ - ٤٣)

وتشتمل على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : فضلها وأهميتها.

المطلب الثاني : أسماؤها.

المطلب الثالث : اسم السورة (دلالات وإشارات).

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: ﴿ فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون[٣٦] والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون[٣٧] والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون[٣٨] والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون[٣٩] وجزاءُ سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين[٤٠] ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل[٤١] إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم[٤٢] ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور[٤٣] ﴾.

التفسير:

في هذه الآيات يصور المولى سبحانه خصائص هذه الجماعة التي تطبعها وتميزها . ومع أن هذه الآيات مكية ، نزلت قبل قيام الدولة المسلمة في المدينة ، فإننا نجد فيها أن من صفة هذه الجماعة المسلمة :«وأمرهم شورى بينهم».. مما يوحي بأن وضع الشورى أعمق في حياة المسلمين من مجرد أن تكون نظاماً سياسياً للدولة ، فهو طابع أساسي للجماعة كلها ، يقوم عليه أمرها كجماعة ، ثم يتسرب من الجماعة إلى الدولة ، بوصفها إفرازاً طبيعياً للجماعة . كذلك نجد من صفة هذه الجماعة :﴿ والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون ﴾.. مع أن الأمر الذي كان صادراً للمسلمين في مكة هو أن يصبروا وألا يردوا العدوان بالعدوان ؛ إلى أن صدر لهم أمر آخر بعد الهجرة وأذن لهم في القتال.

(إنه الإيمان، والتوكل، واجتناب كبائر الإثم والفواحش، والمغفرة عند الغضب، والاستجابة لله، وإقامة الصلاة، والشورى الشاملة، والإنفاق مما رزق الله، والانتصار من البغي، والعفو، والإصلاح، والصبر)[1].

(١) في ظلال القرآن سيد قطب (ج٢٥/ ص: ٣١٦٠ - ٣١٦١).

المطلب الأول: فضلها وأهميتها:

سورة (الشورى)[1] من السور (المكية إجماعاً، وعدد آياتها ثلاث وخمسون في الكوفي، وخمسون في الباقين)[2].

وهي (الثانية والأربعون من سور القرآن الكريم بإستثناء بعض الآيات وعدد آياتها ثلاث وخمسون في الكوفي وخمسون فيما عداه)[3].

وهي (نزلت بعد سورة الكهف وقبل سورة إبراهيم، وعدت التاسعة والستين في ترتيب نزول السور عند الجعبري المدوي عن جابر بن زيد)[4].

فضلها:

لم نقف على نص خاص بها وإنما هي من عموم القرآن الكريم الذي لا تخلو آية منه ولا كلمة من فضل ومنّة ونور ورحمة، ومن هداية وشفاء حتى قيل: خذ من القرآن ما شئت لما شئت.

أما أهميتها:

فإن سورة (الشورى) تبرز أهمية هذه الشورى في حياة أي فرد وأي كيان وأي أمة، والشورى في منهاج الشريعة أساس العلاقات الداخلية بين أفراد المجتمع وجماعاته وطبقاته، و(بمجيء الإسلام جعلت الشورى مبدأ من مبادىء الإسلام،

---

(١) اشتقت كلمة الشورى: من شار العسل - شوارا وشياره أي: إستخراجه وصفاه وخليته. وشار الراية واشراها أي: اختبرها، اشار عليه بكذا - أي أمره - واستشار أي طلب المشورة منه (لسان العرب ٢/ ٣٢٩).

(٢) الإتقان (ج١/ ص: ٧٢)، بصائر ذوي التمييز (ج١/ ٤١٨).

(٣) نظم الدرر (ج١/ ص: ٢٣٠).

(٤) التحرير والتنوير (ج٢٥/ ص: ٢٤).

قال تعالى : ﴿فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله﴾[1]، وجاءت هذه الآية بصفة الأمر وأطلقت كلمة الشورى على سورة كاملة من القرآن لبيان مكانة الشورى وقيمتها، كما وضحت [آية ٣٨] منها: (جاء الأمر بالشورى متوسطا بين ركنين من أركان الإسلام، ركن الصلاة وركن الزكاة وذلك دلالة على أهميته[2]، فجاءت أحكام الشورى لتقرر مقصد جديد من مقاصد الشريعة الإسلامية فأشارت إلى أن (مقصودها الاجتماع على الدين الذي أساسه الإيمان وأهم دعائمه الصلاة، وروحُ أمرِه الألفة بالمشاورة المقتضية لكون أهل الدين كلهم فيه سواء كما أنهم في العبودية لشارعه سواء، وأعظم نافع في ذلك الإنفاق والمواساة بما في اليد والعفو والصفح عن المسيء والإذعان للحق في الخضوع للأمر الحق وإن صعب وشق)[3].

---

(١) آية [١٥٩] سورة آل عمران.

(٢) الشورى ومعالم الحكم الإسلامي (ص: ١٢ - ١٣) د. معتصم أحمد السيد. ط، شركة دار الحكمة - الخرطوم. ١٩٩٨م.

(٣) نظم الدرر (ج١٧/ ص: ٢٣٠).

المطلب الثاني: أسماؤها.

سورة (الشوري) من السور التي اشتهرت باسم ورادفها اسم آخر.

- و (لها اسمان (عسق) لافتتاحها بها، وسورة (الشورى) لقوله تعالى: ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾[1].

- وقد (اشتهرت تسميتها عند السلف (حم، عسق) وكذلك ترجمها البخاري في كتاب التفسير [2]، والترمذي في جامعه[3].

وكذلك سميت في عدة كتب من كتب التفسير وكثير من المصاحف، وتسمى (سورة الشورى) بالألف واللام، كما قالوا (سورة المؤمن) وبذلك سميت في كثير من المصاحف والتفاسير، وربما قالوا: (سورة شورى) بدون ألف ولام، حكاية للفظ القرآن.

وتسمى (سورة عسق) بدون لفظ (حم) لقصد الاختصار)[4].

---

(١) بصائر ذوي التمييز (ج١/ ص: ٤١٨).
(٢) صحيح البخاري كتاب التفسير.
(٣) سنن الترمذي.
(٤) التحرير والتنوير (ج٢٥/ ص: ٢٣).

المطلب الثالث : اسم السورة (دلالات وإشارات) .

ومن خلال هذه الآيات في هذه السورة (الشورى)، نجد أن دولة الإسلام الأولى قامت على مبدأ الشورى وهو النهج التشريعي الذي رسمه الإسلام ورسول الإسلام و(نهج أصحاب رسول الله وهو قولاً وفعلاً فيقول أبوبكر رضي الله عنه (الإبرام بعد التشاور)، ويقول عمر رضي الله عنه : (لا خير في أمر أبرم من غير مشورة)، ويقول علي كرم الله وجهه : (الاستشارة من الهداية)، ويقول عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه : (إن المشورة والمناظرة باب رحمة ومفتاح بركة لا يقبل معهما رأي) .

وللمرأة الحق في الشورى كما للرجل إذ يقول الله تعالى : ﴿ **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر** ﴾(١)،

وشاور الرسول ﷺ أم سلمة في الحديبية عندما أمر الصحابة أن يحلوا إحرامهم فأشارت عليه أن يبدأ هو ذلك وعندما فعل تابعه أصحابه في ذلك .

وقد تراجع عمر رضي الله عنه عن تحديد المهور استجابة لرأي امرأة لقوة دليل الإقناع بالمعنى الواضح من آيات القرآن : وذلك في قوله تعالى في سورة النساء : ﴿ **وآتيتم إحداهن قنطارا ..** ﴾(٢)،

وجعلت الشورى في الإسلام عصمة للحاكم من الخطايا والجنوح عن الرزايا والرضوخ للرأي السديد، وهي : حوار مفتوح بين المفكرين ومراجعة أرائهم وتداولها حول أمر من الأمور في مصالحهم الدينية والدنيوية في ما لم يرد فيه نص

---

(١) آية [٧١] سورة التوبة .

(٢) آية [٢٠] سورة النساء .

من الكتاب والسنة، وبهذا تزال الشكوك وتتبدد الهواجس وتدرأ الشائعات عن الأمة، كما أن للشورى شعوراً للمرء بقيمته ومشاركته الفعالة في المجتمع وفيها استفادة من خبرات الأفراد المتعددة، وفيها تذكير للأمة بأنها صاحبة السلطان وأن الحاكم والمحكوم كلهم يعملون امتثالاً لأوامر الله سبحانه وتعالى وهي إنما جعلت لحفظ حدود الشرع وتقبل الآراء وفقاً لانسجامها وموافقتها لمقصد الشريعة الإسلامية. ومن خلال الشورى يتأكد السلطان السياسي الحقيقي الذي يقوم بمهمة الاشراف الفعلي على المجتمع برمته)[1]، وبهذا نجد أن بعض الدروس والعبر تؤخذ من هذه السورة.

أ) دروس من سورة الشورى:

يستفاد من الآية التي نقلناها من سورة الشورى مبادىء هامة متعلقة بمبدأ الشورى نذكر منها ما يلي :-

١- إن نزول هذه الآية في مكة قبل الهجرة وقبل إنشاء الدولة الإسلامية، يقصد به أن الشورى صفة من الصفات المميزة للمسلمين - إلى جانب الإيمان بالله وإقامة الصلاة والتكافل في الإنفاق - مما يجعل هذا المبدأ أساساً للتربية الاجتماعية للأفراد، وممارسته واجبة عليهم في جميع الأحوال حتى لو لم يكن لهم تنظيم سياسي أو حكومة أو دولة.

٢- ذكرت الشورى باعتبارها الصفة الثالثة للمجتمع الإسلامي بعد الإيمان والصلاة، وهذا يفيد أنها تلي مرتبة "أعظم العبادات" وهي الصلاة، كما يفيد أنها إحدى العبادات في مستوى الصلاة والزكاة، والمجتمع الذي يتنكر لها أو يهملها

(٣) الشورى ومعالم الحكم في الإسلام (ص: ١٥ - ١٦).

يعتبر أنه قصّر في الالتزام بإحدى العبادات، كما أن ذكرها قبل الإنفاق يجعلها أساس العلاقات المالية والاقتصادية والتكافل في الإنفاق على الشؤون العامة والمعيشية للمجتمع، يفهم ذلك من نص الآية، فالضمير يرجع (للذين استجابوا لربهم) وهم الجماعة المسلمة، (والأمر) الذي تجب فيه الشورى هو أمر هذه الجماعة، وهو يشمل كل شأن من شؤونهم فيكون المعنى في النهاية: وكل شأن من شؤونهم هو شورى بينهم.

٣- عندما أنزلت هذه الآية كان المسلمون أفراداً لا يجمعهم إلا شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ، واجتماعهم لإقامة الصلاة كان في خوف وحذر، فأراد الله سبحانه وتعالى أن يكون التشاور وتبادل الرأى بداية الطريق، لتكوين مجتمع ناشىء متميز عن مجتمع الجاهلية، وأن يكون مبدأ الشورى أول مقومات هذا المجتمع في مرحلة بنائه وتكوينه، وأول ما يلتزم به أفراده في مرحلة التربية والإعداد ليكونوا نواة للأمة الإسلامية المتضامنة المتعاونة المتكافلة.

٤- إن العبارة في هذه الآية عامة يقصد بها الجماعة كلها بجميع أفرادها وطوائفها وطبقاتها وهيئاتها، وليس الخطاب موجهاً للحاكم أو أولي الأمر فقط، وهذا دليل على أن الأمة هي الملتزمة بإقامة الشورى، وملزمة أن تطلبها من حكامها وأولي الأمر الذين تختارهم ليديروا شؤونها، فالمبادرة بإقامة الشورى وتنظيمها يجب أن تأتي من أفراد الأمة وعامتها، ولا يكفي أن ينتظروا من الحكام أن يقوموا من جانبهم بذلك، فالشورى مسؤولية مشتركة لجميع أفراد المجتمع، وإثم تعطيلها يقع على الأمة كلها)(١).

---

(١) فقه الشورى (ص: ٥٠ - ٥١) د. توفيق الشامي ١٩٩٢م، ط. دار الوفاء مصر الطبعة الثانية.

و(الشورى) كلمة لها مدلولها المعنوي الذي يخترق الأذان نحو التفكير قبل الدخول في أي شيء، وتفيد - مباشرة - أهمية أخذ أراء الآخرين الذين يخصهم هذا الموضوع (المراد).

فجاء هذا العنوان (الشورى) ليرتبط بعلاقة مباشرة بمضمون الآية التي تناولت أمر الشورى وأثنت عليه، فكانت هذه الدلالة واضحة بين اسم السورة ومضمونها الذي أشار تصريحاً بأهمية الشورى في الإسلام، وأنها أحد أركان العمل السياسي للدولة الإسلامية، وفي دلالات الاسماء جاء (الأخبار عن الأمر بأنه شورى من قبيل الإخبار بالمصر للمبالغة، والإسناد مجاز عقلي لأن الشورى تسند للمتشاورين، وأما الأمر فهو ظرف مجازي للشورى.

ألا ترى أنه يقال: تشاورا في كذا، قال تعالى: ﴿وشاورهم في الأمر﴾(١)، فاجتمع في قوله: ﴿وأمرهم شورى﴾(٢). مجاز عقلي واستعار تبعية ومبالغة)(٣).

ولأهمية الشورى في المعاملات السياسية بالذات - لأن أمرها خطير ويتوقف عليه اتخاذ القرار تجاه الدول الأخرى - جعلها الله سبحانه وتعالى عنواناً للسورة مع أنها لم تذكر باستفاضة وإنما ذكرت في جزء من الآية(٤)، ومع ذلك أعطيت هذا العنوان الكبير الذي يلفت الأنظار إلى أهمية هذا العمل (الشورى) في الحياة الخاصة والعامة، لأنها كلها ترتبط بها مصالح متفرقة حسب كل حالة مما جعل لهذه السورة عظيم الأثر في المعاملة اليومية في حياة الأمة الإسلامية.

بعد هذا العرض لقضية الشورى: يلاحظ أن الشورى من قواعد الشريعة،

---

(١) الآية [١٥٩] سورة آل عمران.
(٢) الآية [٣٨] سورة الشورى.
(٣) التحرير والتنوير (ج٢٥/ ص: ١١٢).
(٤) الآية [٣٨] سورة الشورى.

وعزائم الأحكام، وقد كان صحابة رسول الله ﷺ إذا حَزَبَهُمْ أمر تشاوروا فيما بينهم لاستخراج الرأى السديد، وتشاور الأمراء والعلماء فيما أشكل عليهم من أمور الدين، وتشاور ساسة الجيش فيما يتعلق بالحرب، والكتاب والوزراء والعمال فيما يتعلق بمصالح البلاد وعمارتها. وقد أمر الله رسوله ﷺ أن يشاور أصحابه في مكائد الحروب، وعند لقاء العدو، تطييباً لنفوسهم ورفعاً لأقدارهم، وتألُّفاً على دينهم، وإن كان الله قد أغناه بوحيه عن رأيهم، ولكن ليستنوا بسنته من بعده ﷺ، ولذلك درج الأئمة الراشدون من بعده على هذه السنة، وأول ما استنوا به في هذا الشأن أمر الخلافة.

فالشورى تهم الحاكم والمحكوم، والحاكم الصالح هو الذي يحافظ على الرعية عند الخلاف مع الخصوم بالاتجاه إلى التشاور معهم حتى لا يفتح مجالا لخصومه. وهذا التشاور لاستخراج الرأي الصائب من المشورة التي اعتمدت على أطراف مختلفة للوصول إلى نتائج رشيدة تصلح حال جميع الأمة. وصدق القائل:

إذا بلغ الرأى المشورة فاستعن * برأى لبيب أو مشورة حازم**

ولا تجعل الشورى عليك غضاضة * فإن الخوافي قوة للقوادم**

والله أعلم

* * *
* *
*

الخاتمة

خاتمة :

نسأل الله حسنها :

ونختم ختم الواثقين بقوله تعالى : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق[1] خلق الإنسان من علق[2] اقرأ وربك الأكرم[3] الذي علم بالقلم[4] علم الإنسان مالم يعلم[5] ﴾ ،

فقد كانت هذه أول كلمات الوحي ، الدالة على أن القراءة بالاسم توصل إلى أسرار المسميات ، وبها تتجلى عظمة الله عز وجل وقدرته وخلود كلماته على مرّ الزمان في كل الممكنات لكمال الهيمنة على كل ما تبلغه العقول من مدركات ، وما تتوصل إليه من اكتشافات فهو نور الله المبين وذكره الحكيم وهو الصراط المستقيم وحبل الله المتين الذي من تمسك به نال الهبات والثبات .

وبعد :

فإني لا أدعي أني قد بلغت فيه الغاية أو وصلت إلى النهاية في هذا البحث ، وإنما أحمد الله تعالى وأشكره على ما وفقت فيه وأصبت فإن ذلك بفضله وكرمه وله سبحانه المنة وأعتذر عن كل تقصير وقصور فتلك طبيعة البشر وهو تعالى العفو الغفور .

وقد تطرقنا في هذا الكتاب لأربعة أبواب شارحين فيها أسرار هذه اللغة البسيطة وأسباب التسميات ومافيها من إعجاز وقدرة، وما فيها من قصص متميزة تنقل الحقائق بصورها وأسرارها، ومافيها من قوة مادية ومعنوية تنحو إلى إظهار القوة وإيضاح الحقائق وفيها توطيد حكم محكم لبناء الدولة الإسلامية في تميز جلي يبين الخلق السوي الإنساني، والقيادة التشريعية الربانية، والسياسية الشرعية التي ترسم للخلق طرق حياتهم على أعظم وأدق وأعلى مستوى، كل هذا كان يعرض في أسلوب قرآني مميز يستثمر الألفاظ القليلة ليعبِّر بها عن القضايا الكبرى، فيجمع في النص المعاني الكثيرة والصحيحة المقبولة ويصورها بمعانٍ تغوص في أعماق الذهن ومجاهل النفس، حتى يصبح الاسم ناقلاً لصورة لا يمكن للقارىء أن يقف عن أحداثها أو يتركها حتى يصل إلى سرِها، وكانت هذه الأسماء هي المصورة للمعاني المجردة القائمة على تجسيم المحسوس والمتخيل مما يطرأ على القارىء، وقد أكون نقلت كلَّ هذا بلغة عربية بسيطة في محاولة للنفاذ إلى قلوب وعقول قرائها ببساطة السهل الممتنع الذي يولج مع قارئه إلى عمق السر ويهنأ في نهاية كل فصل بما عرفه من تقدير جديد للمعنى المشروح.

وهذا التوخي في البساطة بالشرح ما كان ليتم لولا توفيق الله وتأييده.

وفي الختام أسأل الله أن كون قد أوقدت بهذا الجهد العلمي شمعةً في سراديب منجم غني ثري لا يزال بكراً هو أحوج ما يكون إلى جهد المعنيين بهذه الدراسات القرآنية، لكشف مستوره وإظهار مخبوئه وإخراج كنوزه والاستفادة من ذخائره وجواهره.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين، وله كمال الحمد فإن بفضله تتم جميع الصالحات، والصلاة والسلام على صاحب المعجزات والآيات البينات والسور التي جعلت أسرار الكمال في سمو معاني أسمائها النيرات، وعلى آله شموس سماء العلى، وأصحابه نجوم الهدايات، ما سرت أسرار أسمائك في كل الذرات، ولاحت آثار محاسن صفاتك في قوالب وقوابل المحسوسات والمعنويات.

والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل.

الفهرس

م	الموضوع	رقم الصفحة
١-	**أصل الكتاب**	٥
٢-	**الإهداء**	٧
٣-	**تقديم** .....د. أحمد الكبيسي	٩
٤-	**المقدمة**	١١-١٥
٥-	**تمهيد تفصيلي**	١٧
٦-	المبحث الأول: تعريف موجز لعلوم القرآن الكريم	١٩ - ٢١
٧-	المبحث الثاني: الإعجاز القرآني علم متطور	٢٣ - ٤٣
٨-	المبحث الثالث: أسماء السور والإعجاز القرآني	٤٥ - ٥٤
٩-	المبحث الرابع: أسماء السور بين التوقيف والإجتهاد	٥٥ - ٥٩
١٠-	**الباب الأول** دلالات الاسماء في الإعجاز والقدره	٦١
١١-	**الفصل الأول**: السور الواردة بأسماء المعجزات ويشتمل على أربعة مباحث	٦٣
١٢-	المبحث الأول: سورة البقرة	٦٥- ٧٥
١٣-	المبحث الثاني: سورة المائدة	٧٧ - ٨٧
١٤-	المبحث الثالث: سورة الإسراء	٨٩ - ٩٨
١٥-	المبحث الرابع: سورة القمر	٩٩ - ١٠٩
١٦-	**الفصل الثاني**: السور الواردة تحت معني الكرامات	١١١
١٧-	**تمهيد**:	١١٣
١٨-	**مقدمة**:	١١٥ - ١٢١
١٩-	المبحث الأول: سورة الكهف	١٢٣ - ١٣٥

م	الموضوع	رقم الصفحة
٢٠-	المبحث الثاني :سورة مريم	١٣٧ - ١٤٨
٢١-	**الفصل الثالث** : السور الواردة تحت معني الاستعداد والانتباه للميعاد	١٤٩
٢٢-	**تمهيد** :	١٥١ - ١٥٢
٢٣-	المبحث الأول: سورة الدخان	١٥٣ - ١٦٢
٢٤-	المبحث الثاني: سورة التكوير	١٦٣ - ١٧٢
٢٥-	المبحث الثالث: سورة الإنفطار	١٧٣ - ١٨٠
٢٦-	**الفصل الرابع** : السور الواردة تحت معنى القدرة	١٨١
٢٧-	المبحث الأول: سورة الرعد	١٨٣ - ١٩٠
٢٨-	المبحث الثاني: سورة النحل	١٩١ - ٢٠٠
٢٩-	المبحث الثالث: سورة الجن	٢٠١ - ٢١٠
٣٠-	المبحث الرابع: سورة التين	٢١١ - ٢١٨
٣١-	المبحث الخامس: سورة العلق	٢١٩ - ٢٢٨
٣٢-	المبحث السادس: سورة العاديات	٢٢٩ - ٢٣٧
٣٣-	**الباب الثاني :** دلالات الأسماء في القصص والقرآن	٢٣٩
٣٤-	**التمهيد:**	٢٤٣ - ٢٤٥
٣٥-	**الفصل الأول** : الاشارة إلى التحولات الكبرى	٢٤٧
٣٦-	المبحث الأول: سورة القصص	٢٤٩ - ٢٥٩
٣٧-	المبحث الثاني: سورة سبأ	٢٦١ - ٢٧٢
٣٨-	المبحث الثالث: سورة الفيل	٢٧٣ - ٢٨٢

م	الموضوع	رقم الصفحة
٣٩-	**الفصل الثاني** : الانبياء والاقتداء بهم	٢٨٣
٤٠-	المبحث الأول: سورة إبراهيم	٢٨٥ - ٢٩٨
٤١-	المبحث الثاني: سورة محمد صلى الله عليه وسلم	٢٩٩ - ٣١١
٤٢-	المبحث الثالث: سورة نوح	٣١٣ - ٣٢٢
٤٣-	**الفصل الثالث** : معان ومعالم في الألفاظ	٣٢٣
٤٤-	المبحث الأول: سورة الحجر	٣٢٥ - ٣٣٥
٤٥-	المبحث الثاني: سورة الاحقاف	٣٣٧ - ٣٤٨
٤٦-	المبحث الثالث: سورة المنافقون	٣٤٩ - ٣٥٧
٤٧-	المبحث الرابع: سورة الكافرون	٣٥٩ - ٣٦٧
٤٨-	**الباب الثالث** : دلالات الاسماء نحو النهضة والقوة	٣٦٩
٤٩-	**التمهيد**	٣٧٣ - ٣٧٤
٥٠-	**الفصل الأول** : دلالات القوة المادية والمعنوية لأسماء بعض السور.	٣٧٥
٥١-	المبحث الأول: سورة الفتح	٣٧٧ - ٣٨٥
٥٢-	المبحث الثاني: سورة الحديد	٣٨٧ - ٣٩٥
٥٣-	المبحث الثالث: سورة الصف	٣٩٧ - ٤٠٧
٥٤-	المبحث الرابع :سورة القلم	٤٠٩ - ٤١٨
٥٥-	المبحث الخامس: سورة النصر	٤١٩ - ٤٢٧
٥٦-	**الفصل الثاني** : دلالات القوة في الزمن.	٤٢٩
٥٧-	المبحث الأول: سورة الجمعة	٤٣١ - ٤٤١

م	الموضوع	رقم الصفحة
٥٨-	المبحث الثاني: الحجر	٤٤٣ - ٤٥٠
٥٩-	المبحث الثالث: سورة الليل	٤٥١ - ٤٦٠
٦٠-	المبحث الرابع: سورة العصر	٤٦١ - ٤٦٨
٦١-	**الباب الرابع :** دلالات الاسماء في التشريع والأخلاق والسياسة	٤٦٩
٦٢-	**التمهيد:**	٤٧٣ - ٤٧٥
٦٣-	**الفصل الأول :** المعجزات التشريعية ودلالاتها	٤٧٧
٦٤-	المبحث الأول: سورة الأنفال	٤٧٩ - ٤٨٧
٦٥-	المبحث الثاني: سورة الطلاق	٤٨٩ - ٤٩٧
٦٦-	المبحث الثالث: سورة التحريم	٤٩٩ - ٥٠٦
٦٧-	**الفصل الثاني :** دلالات الأسماء في الأخلاق	٥٠٧
٦٨-	المبحث الأول: سورةالتوبه	٥٠٩ - ٥١٧
٦٩-	المبحث الثاني: سورة المطففين	٥١٩ - ٥٢٧
٧٠-	**الفصل الثالث :** دلالات الأسماء في السياسة	٥٢٩
٧١-	المبحث الأول: سورة الأحزاب	٥٣١ - ٥٤٠
٧٢-	المبحث الثاني: سورة الشورى	٥٤١ - ٥٥٣
٧٣-	**الخاتمة**	٥٥٥ - ٥٥٩
٧٤-	**فهرس المحتويات**	٥٦١ - ٥٦٤